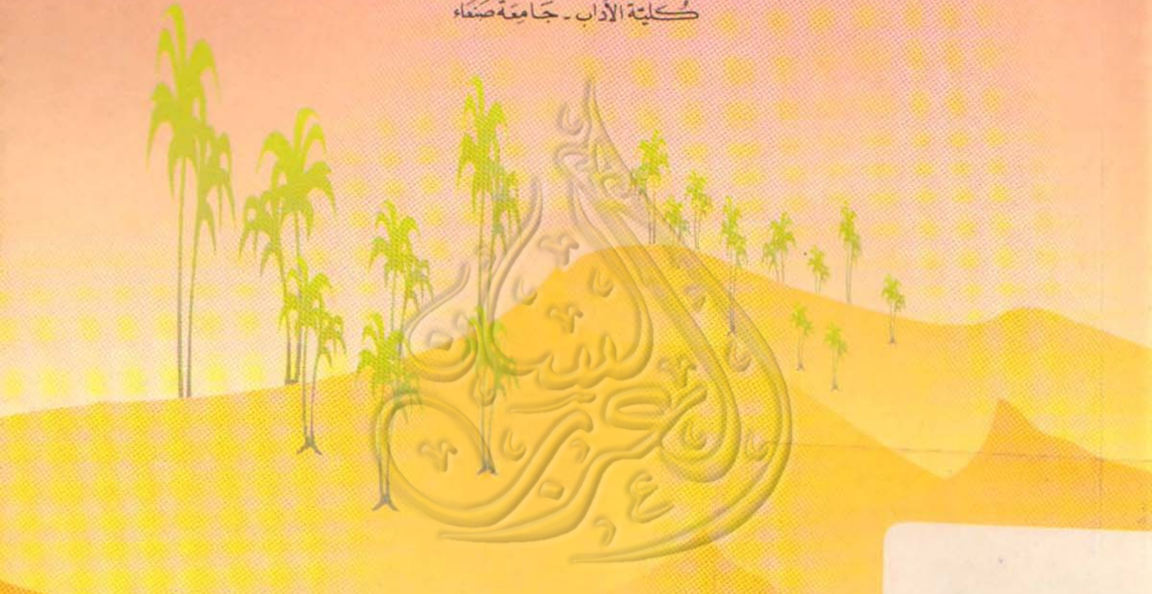
العربية تاريخ وتطور

الدكتور ابراهيم السامرائي
عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة
كلية الآداب - جامعة صنعاء



مكتبة المعارف
بيروت

العربية
تاريخ وتطور

مكتبة المعارف
مؤسسة ثقافية للطباعة والنشر
استيراد وتصدير

يطلب من مكتبة المعارف - ص.ب: ١٧٦١ - ١١ - بيروت - لبنان

العربية
تاريخ وتطور

الدكتور ابراهيم السامرائي
عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة
كلية الآداب - جامعة صنعاء

مكتبة المعارف
بيروت

الطّبعَة الأولى
١٤١٣هـ - ١٩٩٣م
بيروت - لبنان

المقدمة

لقد صاحبت المعجم العربي القديم مصاحبة الصديق، وقد غَبَر لي في هذه الصحبة أعوام طوال أدركت فيها من خصائص العربية ما يشير إلى سعتها وشجاعتها. وقد بدا لي أن أجمع طائفة من وقفـاتي فيه في هـذا «الموجز» أجيل النظر في الماضي والحاضر، فكان لي من ذلك شيء أقدّمه للدارسين راجياً أن أكون قد أنجزت بعض ما عليّ في خدمة هذه اللغـة العامرة.

ورأيت أن أجعله في بابين يشتمل كل باب على عدة فصول.

صنعاء في ٨ ربيع الأول ١٤١١ هـ

إبراهيم السامرائي

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمده وأستعينه

الباب الأول

الفصل الأول
مسيرة في رحاب العربية
في ظلال المعجم القديم

المقدمة:

هذه جولة أخرى[1] في نوادر العرب ولطائفها[2] قصدت إليها لأقف معي الدارسين على هذه اللطائف التي أشرت إليها ليروا أن العربية في بدواتها حفلت بأصول كان لها أن تكون من مواد الحضارة حين تحول العرب إلى عصورهم الحضارية.

إن هذا الدرس التاريخي لا يعني أنه مادة قديمة، ذلك أني ساجتهد فيه إجتهاداً يوصلني إلى عصرنا هذا. وكان في طوقي وأنا أسير هذه المسيرة

---

(١) أقول: «جولة أخرى» مشيراً إلى أني صنعت «معجم الفرائد» ونشرته مكتبة لبنان وجمعت فيه طائفة من المواد وقفت عليها في المعجم، وأشرت إلى موضعها التاريخي وما آلت إليه. وكأن عملي الذي أتهيأ له في كتابي هذا شيء من ذلك، ولا أسميه «الجزء الثاني».

(٢) أريد بـ «اللطائف» دقائق العربية، واللطيفة مادة دقيقة لا يعرفها إلا خاص الخاص، فهي من «الأوابد النوادر» حيناً، كما هي مادة ذات حياة حجبها عن عصرنا جهل الدراسين.

أن أبحث القديم الذي أسعى أن يكون فيه إيماءة خاطفة إلى ما سيخلفه من العصور.

وإذا كان لنا أن نحتفل بالأمجاد فحريّ بنا أن نحتفل بأولئك الذين شقوا فبنوا المعجم القديم. ولا يعني إكباري للخليل بن أحمد الفراهيدي، صاحب «العين» أني أغضّ الطرف عن الذين خلفوه، وأقاموا صناعة المعجم على أسس راسخة متينة. وإذا حظي الأول بالسبق وفاز بالإبداع، وهذا مااتفق عليه أهل النظر، فلا يعني ذلك أننا نلغي مكان المجتهدين الأفذاذ الذين أضافوا إلى مادة المعجم ثروة طائلة(١).

أنك واجد في «لسان العرب» الأعلاق النفيسة التي خلا منها «صحاح» الجوهري، ثم أنك لتجد إضافات أخرى في «تاج العروس» أفادها المرتضى الزبيدي مما عرفه في عصره المتأخر فاجتهد، وكان إجتهاده صائباً، أن يضمها إلى المعجم.

وإني لآمل ألا نؤخذ بالأراجيف التي أثبتها المتحدثون عن المعجم القديم فذهبوا إلى أن المعجمات المتأخرة كالقاموس المحيط، وتاج العروس قد حفلا بمادة ما كان ينبغي أن تكون من مواد المعجم كالتعريف بالرجال، والإشارة إلى أسماء المواضع والقرى ونحو ذلك، والتنويه بالفوائد العلاجية الطبية وغيرها. إن هذه المعجمات مما وصل إلينا وما لم يصل

---

(١) أقول: إن إضافات صاحب «لسان العرب» إلى المعجمات التي سبقت عصره مفيدة كل الإفادة، وهي، على سعتها، تشير إلى أن العربية وحدة متكاملة، أو قل: سلسلة متصلة الحلقات، فما أحوج اللغوي إلى هذه الإضافات، واللغوي محتاج أشد الحاجة إلى الأدب والتاريخ بله القرآن والحديث والفرائض.
ومن هنا كان «المعجم القديم» مصدراً من مصادر الثقافة العربية، فالدارسون في «الأدب الشعبي» محتاجون أشد الإحتياج إلى معرفة ما يهمهم مما هو مثبت في المعجم، ألا ترى أن «الحكاية» أو «الأسطورة» التي أولع بها أهل عصرنا شيء من مواد المعجم القديم؟.

لهي «دوائر معارف»[1]، وهي مظان تاريخية، ومن هنا كان ذكر هذه الفوائد ذا فائدةٍ أي فائدة.

وبعد فهذه مسيرة أخرى في رحاب العربية أقف فيها على فوائد أخرى غير تلك التي ألمعت إليها في «معجم الفرائد». وسأذكرها على نسق حروف المعجم.

وإني لآمل أن يجد فيها أهل الجد مادة تعين على فهم تاريخ هذه اللغة النامية[2] الوافية. ولن يفوتني أن أشير إلى ما ينبغي لنا نعيد الكثير من القديم نرفد به مادة المصطلح الفني الجديد الذي نعالجه علاجاً يبهضنا كثيراً، كما نسعف لغتنا المعاصرة بطرائق من القول حجبت عنا واستبدلنا بها الجديد المترجم عن لغات الغرب[3].

وإني حيث أختم هذه النبذة التي أدعوها «فاتحة» أو «مقدمة» لآمل أن أشارك في أشادة صرح العربية لتعود مادة حياة نشيطة، و الله أسأل أن ينفع بعملي إنه نعم المولى ونعم النصير.

(١) أقول: «دوائر معارف »، وأراها أرجح من «الموسوعة» التي شاعت كثيراً، ذلك أن ما يدعى «موسوعة» كان الأولى أن تدعى «واسعة» فهي تسع مواد العلوم، جاء في لغة التنزيل: ﴿وَسِع ربي كلّ شيء علماً﴾ ٨٠ سورة الأنعام.
ثم إن «دائرة المعارف» ألصق بالتراث، فقد أثر في تراجم الرجال أنهم قالوا مثلاً: اتسعت دائرة معارف (فلان) فشملت أفانين من العلوم.

(٢) أريد بـ «النامية» التي من شأنها النماء والإزدياد، وإني إذ نبّهت على هذا وددت أن احترز عن الشائع المألوف في هذه الكلمة التي حوّلها المعاصرون إلى ما كان من كلمة «المتخلفة» في قولهم: الدول النامية أو الشعوب النامية، وهي الأقل تقدماً وتطوراً. وكأن في هذا التوجيه تعمية وتورية، وذلك ضرب من الخداع، وإن الله لا يحب الجهر بالسوء من القول...

(٣) أقول: حفلت العربية بالجديد المترجم، وأن هذا الجديد قد غزا ما يدرج فيه القوم فيما يكتبون، وقد يهولك أن تسمع في خطبة صلاة الجمعة أن الخطيب يستعمل «ذر الرماد في العيون» ليريد الخداع أو نحو هذا والعبارة مترجمة. وما كان أغنى العربية عن هذه الأساليب الدخيلة.

حـرف الهمزة (ء)[1]

ومما يستدرك على ماورد في حرف الهمزة في «معجم الفرائد»:

١ ـ أبّ:

قال أبو عبيد: أَبَبْتُ أَؤُبُّ أبّـا، إذا عزَمتَ على المسير وتهيّأتَ. وهو في أبابه وأبابته، أي في جهازه.

وفي «التهذيب»: الوَبُّ: التهيّؤ للحملة في الحرب، يقال: هَبَّ ووَبَّ إذا تهيّأ للحملة.

قال الأزهري: والأصل فيه أبَّ، فقلبت الهمزة واواً.

(١) أقول: ورد في العربية فيما بدىء بالهمزة من النوادر المهجورة التي لا نجدها إلا في الأرجاز التي لم يعرف قائلها أو فيما ذكر أنه من قول رؤبة أو العجاج أو غيرهما، ولكنك لا تجد ذلك في الشعر وفي الترسل. هذه ملاحظة ينبغي أن نقف عندها. ومن ذلك: أَبَزَ يأبِز أبْزاً وأبوزاً، أي وَثَبِ وقفز في عدوه، وظبي أبّاز وأبوز. (أنظر لسان العرب). ومنه «أبَسَ» وأبَسَه يأبِسُه أبْساً أي صغّر به وحَقّره.

وقالوا: «التأبُّس» أي التغير، واستشهد عليه بعجز بيت للمتلمس. وقالوا: الإبْس والأبْس هو المكان الغليظ، وقد ورد في رجز لم ينسب إلى قائل. وقالوا: رجل أبص وأبوص للنشيط رجلاً وفرساً.

وقالوا: الأبض هو الشدّ، والأُبض بالضم الدهر، والمأبِضُ باطن الركبة، والتأبُّض التقبّض، وانقباض النسا، وهو عرق. واستشهد عليه ببيت لساعدة بن جؤيّة.

أقول: وهذا من الكلم الممات طوال عصور العربية التي تجاوزت الجاهلية وعصر النبوة.

أقول: ومن معنى السير والتهيّؤ له اتُّسِع في الدلالة فقالوا: والأبُّ النزاع إلى الوطن.

ومن النوادر قولهم للظباء إن أصابت الماء: فلا عَباب، وإن لم تصب الماء فلا أَباب.

أقول: ولعلنا نلمح الصلة بين «الأَبْ»، وهو أبو الرجل، وبين الأبّ المضاعف في دلالة الثاني على السير، وكأن السير أو التهيّؤ له راجع إلى دلالة أن «الأب» وهو أبو الرجل أو القبيلة يُرجَع إليه، ويَتجه إليه النسب...

٢ ـ أبط:

قالوا: استأبَطَ فلان إذا حَفَر حفرةً ضيّق رأسها ووسَّع أسفلها، قال الراجز:

يحفر ناموساً له مستأبطا

٣ ـ أبق:

الإباق هرب العبد من سيده، قال الله تعالى في يونس ـ عليه السلام ـ حين ندَّ في الأرض مغاضباً لقومه: ﴿إذ أبَق إلى الفلك المشحون﴾.

أقول: وهذا من الأفعال التي أُبعدت عن الإستعمال لإنعدام العبودية في عصرنا. ومن الملاحظ أن أغلب الكلم التي تدل على الإبتعاد والهرب جاء مصدرها على فِعال وفعلها ثلاثي نحو: شَرَدَ شِراداً ونَفَر نفاراً وأبَق إباقاً ونزع نزاعاً وغير هذا.

وقالوا: التأبق التواري والإستتار، وأنكره الأصمعي.

٤ ـ أبل:

ورجل آبل حاذق برِعية الإبل، والإبالة، ولاية الإبل.

أقول: ولمكان الإبل لدى العرب في بدوهم كان لها مكان في لغتهم وأدبهم.

والإبّالة: القطعة من الطير والخيل والإبل. ولم يذكر صاحب «اللسان» الإبّالة في قولهم: ضِغَث على إبّالة أي بلية على أخرى، أو خِصب على خِصب كأنه ضد. ولما كان «الضِغْث» قُبضة من حشيش رطب ويابس، كانت «الإبّالة على هذا شيئاً يقرب من ذلك أو أنها الجماعة أو الحزمة من الحشيش والحطب.

و «الأبابيل» في قوله تعالى: وأرسل عليهم ﴿طيراً أبابيل﴾ جماعة في تفرقة، قال أبو عبيدة: هي جمع لا واحد له بمنزلة عبابيد وشماطيط وشعاليل.

وقال الجوهري: ولم أجد العرب تعرف له واحداً.

أقول: والذي قال إن المفرد «إبِّيل» أو «إبَّول» اجتهد فاشتقه من لفظ الجمع.

و «الأبيل»: رئيس النصارى، وقيل: وهو الراهب، وقيل: الراهب الرئيس، وقيل: صاحب الناقوس، وربّما تحوّل إلى «الأيبُليّ» في شعر الأعشى:

وما أيبُليٌّ على هَيَكلٍ بناه وصلَّبَ فيه وصارا

أقول: والذي في «الأبيل» يشير إلى جهل اللغويين العرب بما هو من اللغات السامية، ولو أنهم عرفوا شيئاً من هذه اللغات كالسريانية والعبرانية لأفادوا في ضبط الدخيل الوافد.

و «الأبَلة» بالتحريك: الوَخامة والثقل من الطعام. وهي العاهة أيضاً، وكذلك «الأُبلة» بالضم.

أقول: هي من «الوبال» وفي هذا الإبدال إضافة جديدة في الدلالة.

٥ ــ أبن:

قالوا: أَبَنَ الرجلَ بابُنُه ويأبِنُه أَبْناً: اتهمه وعابه، وقالوا: هو مأبون بخير أو بشرّ؛ فإذا أضربتَ عن الخير والشرّ قلت: هو مأبون لم يكن إلاّ الشرّ.

وفي حديث ابن أبي هالة في صفة مجلس النبيّ ﷺ: مجلسه مجلس حِلمٍ وحياء لا تُرفَعْ فيه الأصوات، ولا تُؤبَنْ فيه الحُرَم، أي لاَ تذكر فيه النساء بقبيح، ويُصان مجلسه عن الرفَث وما يقبح ذكره.

والمأبون من الأُبَن، والأُبْنة هي العُقدة تكون في القسيّ وتعاب، وتكون في الخشب والعود.

ويقال: ليس في حَسَب فلان أُبْنة، بمعنى وَصمْة.

ويقال للمجبوس (الذي يُؤتَى طائعاً): مأبون لأنه يُزَنّ بالعيب القبيح.

أقول: عرضت لهذه المادة اللغوية لأقول: إننا ضيقنا من دلالتها فصرفناها إلى الدلالة الأخيرة وجعلنا المأبون من يُؤتَى طائعاً ليس غير.

٦ ــ أَبَهَ:

ذكرته في «الفرائد» ولكني أعود إليه لأثبت أن هذا الفعل بزنة الماضي عفا أثره في الأستعمال المعاصر وثبت له «يفعل» فيقال: فلان لم يأبه إلى ما صنع، أي لم يفطن.

وأضيف إن هذا الفعل لا يرد في عصرنا إلا منفياً. ولعل نظيره في وروده منفياً الفعل «يعبأ» فيقال: ما أعبأ بفلان، أي ما أبالي. ولم يُسمَع كثيراً ما كان بزنة الماضي.

٧ ــ أبى:

توسعوا في هذا فجعلوا منه كل ما دلّ على الإمتناع، ومن ذلك:

الآبية: التي تعاف الماء (من الإبل) وهي أيضاً لا تريد العشاء. وفي المثل: العاشية تهيّج الآبية، أي إذا رأت الآبية الإبل العواشي تبعتها فرَعَت معها.

وقالوا: أخذه أُباء من الطعام، أي كراهية له، وجعل كسائر ما يأتي من الأدواء كالسعال والصداع.

أقول: وهذا من الكلم المفيد، وهو مستحق أن يعود إليه المعربون ولا سيما أهل الصنعة والأختصاص.

و «الأب» معروف، وقد ذكرته في «الفرائد»، وأضيف أن من جموعه «الأُبّوة» على «فعولة» نظير العمومة والخؤولة.

أقول: وقد صرف المعاصرون «الأبوّة» إلى المصدر نظير «الأمومة». ولم ترد «الأمومة» في المعجم القديم لا جمعاً في «أم» نظير العمومة والخؤولة والأبوة، ولا مصدراً.

٨ ــ أتل:

عن الفراء: أَتَلَ الرجلُ أُتولاً، وفي «الصحاح»: أتلا، وأَتْلا، وأَتَنَ يأتِنُ أُتُوناً إذا قارَبَ الخطوَ في غضب؛ وأنشد لثروان العُكليّ:

أرانــيَ لا آتيــكَ إلاّ كــأنّــمــا أسأْتُ، وإلاّ أنتَ غَضبانُ تَـأْتِـلُ
أردت لكيمــا لا تـرَى ليَ عثـرةً ومَنْ ذا الذي يُعْطَى الكمالَ فيكمُلُ

وقال في مصدره: الأَتَلان والأتنان.

٩ ــ أتم:

المأتَم: كل مجتمع من رجال أو نساء في حزن أو فرح، قال:

حتى تَراهُنَّ لدَيْهِ قُيَّما   كما تَرَى حولَ الأمير المأتَما

فالمأتم هنا رجال لا محالة، وخصَّ بعضهم به النساء يجتمعن في حزن أو فرح.

وفي الحديث: «فأقاموا عليه مأتماً».

وفي «الصحاح»: المأتم عند العرب النساء يجتمعن في الخير والشرّ، وقال أبو حيّة النميري:

رَمَته أناة من ربيعة عامرٍ   نؤوم الضحى في مأتمٍ أي مأتمِ

فهذا لا محالة مقام فرح، وقال أبو عطاء السندي:

عشيَّةَ قامَ النائحات وشقَّقَتْ   جيوبٌ بأيدي مأتَمٍ وخدودِ

أي بأيدي نساء، وهذا لا محالة مقام حزن ونوح.

قال أبو بكر [بن دريد]: والعامة تغلط فتظن أن المأتم النوح والنياحة.

أقول: والذي كان من عامية القرن الثالث الهجري هو المعروف اليوم في عربيتنا المعاصرة.

١٠ ـ أتى:

الإتيان: المجيء.

وفي الحديث: «خير النساء المواتية لزوجها» فالمواتاة: حسن المطاوعة والموافقة.

قالوا وأصلها الهمز.

أقول: إذا كان الأصل الهمز وأبدل به الواو فذلك يعني أن الإبدال حرف الدلالة إلى نحو منها، وهو معروف في العربية، وأكثر منه الإبدال

الذي لا يغير المعنى كالإشاح والوشاح، والإكاف والوكاف وغيرهما.

ومن هذا ما ورد في أدب الخيل، وهو الميتاء والميداء، وهما آخر الغاية حيث ينتهي إليه جري الخيل. وهذا ولا سيما «الميتاء» من الكلم التي تحسِن الإفادة منه في عصرنا.

و «الأَتيُّ والإتاء: ما يقع في النهر من خشب أو ورق، والجمع آتاء وأُتِيّ، وكل هذا يشير إلى الإتيان».

وسَيل أتِيّ وأَتاويّ: لا يُدرَى من أين أتى.

ومنه قول المرأة التي هجت الأنصار، وحبذا هذا الهجاء:

أطَعْتُم أتاويَّ من غيركم ... فلا من مُرادٍ ولا مَذحجِ

أرادت ب «الأتاويّ» النبيّ ﷺ فقتلها بعض الصحابة فأهدرَ دمُها.

وقيل: بل السيل مشبّه بالرجل لأنه غريب مثله.

والأَتيُّ والأتاويُّ الغريب في غير بلده وليس في قومه.

ويقال: أتوتُه أتْواً لغة في أتيتُه، قال خالد بن زهير:

يا قومُ مالي وأبا ذؤيبِ ... كنت إذا أتوتُه من غيبِ
يشُمّ عِطفي ويَبُزّ ثوبي ... كأنّني أَرَبْتُه بَريْبِ

والأَتْو: الإستقامة في السير والسرعة. وحكى ابن الأعرابي: خَطَبَ الأميرُ فما زال على أتْو واحد، أي طريقة واحدة.

أقول: ومجيء الفعل بالواو هنا دليل على أنه قليل، ولذلك هو لغة، والواو والياء يتعاقبان في طائفة من الأفعال وبعضه أكثر من الآخر، وبعضه أفصح من بعض.

وقد تكون الواو لمعنى والياء لمعنى آخر، ومن ذلك تاهَ يتيه وهو

كثير، ويتوه وهو قليل، وما زال كذلك في لغة أهل مصر. وهجا يهجو، وهو الأصل، ولكنك لا تعدم أن تجد يهجي من النوادر، وقد يكون من هذا طار يطير، ولكنك تجد يطور. وسنعرض لجملة ما يكون من هذا في مواضعه.

قلت: أن الواو والياء من الأصوات التي أفادت منها العربية فكانت دلالة جديدة تومىء إلى الأصل، وقد لاتكون جديدة. ومن هذا:

الإتاوة بمعنى الرشوة والخراج، والفعل أتوتُه أتْواً؛ قال حُنَيّ بن جابر التغلبي:

ففي كل أسواق العراق إتاوة وفي كل ما باع أمرؤ مَكْس درهمِ

و «الإتاء»: الغلّة وحَمْل النخلة، وما خرج من الأرض من ثمر وغيره. وكل هذا يومىء إلى المعنى في الأصل وهو الإتيان، ومن هنا كان الزبد إتاء كقوله:

وبعض القول ليس له عِناجُ كَمخضِ الماء ليس له إتاءُ

١١ ـ الأَثَر: ما بقي من رسم الشيء، والآثار: الأعلام.

أقول: و «الأثر» من الكلمات التي هي وثيقة الصلة بالبيئة البدوية القديمة. ومن هنا فقد تصرف يها القدماء وصرفوها إلى حاجاتهم. وكان من ذلك أن قالوا: أَثَر خُفَّ البعير يأثُره أثْراً وأثَّره، أي حزّه.

والأَثَر سمة في باطن خف البعير يُقتَفَى به أثره.

أقول أيضاً: ومن هنا كان اقتفاء الأثر ومعرفة الإبل النادّة، ومن ثمَّ اقتفاء الضالّ من الناس أو الفارّ.

والإثار: شِبه الشمال يُشَدّ على ضَرْع العَنْز شِبه كيس لئّلا تُعان.

أقول: و «فِعال» في أسماء الأدوات كثير، ولنا أن نستقر به فيخرج كتاباً برأسه. ولا بد لي أن أعلق على قول صاحب «اللسان» وغيره من علماء اللغة، وهو: «لئلّا تُعان» وهو يعني الإصابة بالعين الشريرة حسداً، وهذا من عادات العرب في بيئتهم القديمة.

و «المِئثَر»و «التُؤْثور» على «تُفعُول» حديدة يُؤثَر بها خُفّ البعير ليعرف أثره في الأرض.

أقول: «التُؤثور» من الأبنية النادرة في العربية، وهو لا يختص بالأدوات والآلات.

و «الأَثَر»: الخبر، وهو معروف، قال تعالى: ﴿ونكتب ما قدّموا وآثارهم﴾.

و «الأَثَر»: الأَجل، وجاء في الحديث: من سرَّه أن يُبسط الله في رزقه وينسأ في أثره فليصِلْ رَحِمه». وقال زهير:

والمرء ما عاشَ ممدودٌ له أمل لا ينتهي العمر حتى ينتهى الأَثَرُ

و «الأَثَرْ»: مصدر قولك: أثَرتُ الحديث آثُرُه إذا ذكرته عن غيرك.

ومن هنا قيل:

وأثر عن فلان كذا وكذا. والمأثُرة «مَفعُلة» هي المكرمُة.

و «الإيثار» ضد الأَثَرة.

و «استأثَرَ» بالشيء على غيره: خصّ به نفسه.

و «الأثير»: من تختصه بودّك وتؤثره على غيره.

و «الأُثر» بالضم: أثر الجرح يبقى بعد البُرء.

أقول: وما زال «الأَثَر» في العربية المعاصرة محتفظاً بشيء من أصوله

البدوية مع صرف المعاصرين له في مقامات جديدة. ومن ذلك أننا نقول: علم الآثار ونريد به «Archeology». وعلم الآثار لا يُعنَى بالأعلام الظاهرة، وهي البقايا القديمة، بل ينقّب عنها أيضاً في باطن الأرض. ونقول في ترسّلنا: إننا لم نعثر على أي أثر لفلان، كما نقول: ذهبنا في أثره نفتش عنه، وذهبنا في أثره ساعين إلى معرفة الحقيقة.

أقول: هذا كله ممّا لدينا من العربية القديمة في إطارها البدوي القديم.

١٢ ـ أثف:

«الأُثفيَة» مخففة ومشددة، الحجر الذي توضع عليه القدر، وجمعها أثافيّ وأثافٍ...

و «أثّفتُ» القِدر بأثيفاً لغة في «ثَفَّيتُها» تثفية إذا وضعتها على الأثافي.

وقد صرف إستعمالها إلى المجاز فقالوا: «رماه الله بثالثة الأثافي».

قال ثعلب: أي رماه الله بالجبل، أي بداهية مثل الجبل. والمعنى: أنهم إذا لم يجدوا ثالثة من الأثافي أسندوا قدورهم إلى الجبل.

أقول: والحذق في الإفادة من المواد القديمة يظهر قدرة العرب وقدرة العربية على الوفاء بالحاجات اليومية.

وقالوا: مَرَة «موثَّفة»: لزوجها امرأتان سواها، وهي ثالثهما، شُبهت بأثافي القدر.

أقول: وفي هذا بيان عن تصرفهم بموادهم اللغوية القديمة، واتصال تلك المواد بالبيئة البدوية.

وقال النابغة:

لا تقذفنّي بركنٍ لا كِفاء له   وإنْ تأثَّفَكَ الأعداءُ بالرِّفَدِ

أي لا ترمني منك بركن لا مثل له، وإن تأثَّفك الأعداء واحتوشوك متؤازرين، أي متعاونين.

١٣ ــ أثل:

«أثلة» كل شيء: أصله، قال الأعشى:

ألسْتَ مُنتهيـاً عن نحـت أَثلتـنـا ولستَ ضـائرهـا، ما أطَّت الإبِـلُ

يقال: فلان ينحتُ أثلتنا إذا قال في حَسَبه قبيحاً.

وكل شيء قديم مؤصَّل: أثيل ومؤثّل. ومتأثّل. والتأثّل: إتخاذ مال.

أقول: ومن هنا لا بد من النظر في مادة «أثث» التي نجد فيها ما يشير إلى «التأثّل»، و «الأثاث» المال أجمع: الإبل والغنم والعبيد والمتاع. وهذا المال كله دائم مؤصل لصاحبه. وليس هذا بعيداً عن «الأس» وهو مبتدأ كل شيء بمعنى «الأساس»، وهو الأصل.

ثم نتحول قليلاً إلى «الأُصّ» بالضم والكسر والفتح بمعنى الأصل.

أقـول: فكـأن المضـاعف في هـذه المـواد: «أثث» و «أسس» و «أصص» متحد في المعنى في الدلالـة على الأصل، ومن المضـاعف يتحول المعربون إلى الأصل والأثل.

١٤ ــ أثم:

«أثم» فلان يأثَم إثماً ومأثماً، أي وقع في الإثم فهو آثم وأثيم وأثوم. والإثم: الذنب.

وتأثَّمَ الرجلُ: تاب من الإثم واستغفر منه، وهو على السلب كأنـه سلب ذاته الإثم بالتوبة والإستغفار. وفي حديث مُعاذ: فأخبر بها عند موته تأثُّماً أي تجنّباً للإثم، يقال: تأثَّمَ فلان إذا فعل فعلاً خرج به من الإثم، كما يقال: تَحَرَّج إذا فَعَل مـا يخرج بـه عن الحَرَج. و «الأَثـام»: جزاء

الإثم. وفي التنزيل العزيز: يلقَ أثاماً، أراد مجازاة الأثام يعني العقوبة.

١٤ ـ أجر:

«الأجر» الجزاء على العمل، والثواب، وقد أَجَره الله يأجُرُه ويأجِره أجراً.

و «أتْجَرَ» الرجل: تصدَّق وطلب الأجر، وفي الحديث في الأضاحي: كُلُوا وادَّخِروا وأْتجروا أي تصدَّقوا طالبين للأجر بذلك.

وفي حديث أمّ سلمة: «آجَرني الله في مصيبتي، وأخلَفَ لي خيراً منها» أي أثابني وجزاني.

وأجَرَ المملوك يأجُرُه فهو مأجور، وآجرَهَ يؤجره إيجاراً ومُؤاجرة.

وأجر المرأة: مهرها، وفي لغة التنزيل: ﴿يا أيّها النبيّ إنا أحللنا لك أزواجك اللّاتي آتيت أجورهن﴾.

وآجَرَت الأَمَة البغية نفسها مؤاجرةً: أباحت نفسها بأجر.

والأجير: المستأجَر، والإسم منه الإجارة. والأجرة: الكِراء.

و «أجِرَت» يدُه تأجُرُ وتأجِرُ أجراً وإجاراً وأجوراً: جُبرت على غير استواء فبقي لها عَثْم، وهو مَشَشْ كهيئة الوَرَم فيه أوَد.

و «الإجارة» في قول الخليل: أن تكون القافية طاءً والأخرى دالاً، وهذا من «أجِرَ» العظم إذا جُبرِ على غير استواء...

و «الإجّار» السطح بلغة أهل الشام والحجاز، وجمعه أجاجير وأجاجرة.

وقال ابن سيده: «الإجّار» و «الإجّارة» سطح ليس له سُترة.

وفي الحديث: «من بات على إجّار ليس حوله ما يُردّ قدميه فقد بُرِئت من الذمّة».

١٦ ـ أجل:

«الأَجَل»: غاية الوقت في الموت: حلول الدين ونحوه، وحدة الشيء.

وأجِلَ الشيءُ فهو آجل وأجيل: تأخّر، وهو نقيض العاجل، وهو المؤجَّل إلى وقت.

و «الآجلة» الآخِرة، والعاجلة: الدنيا. وفي حديث قراءة القرآن: «يتعجّلونه ولا يتأجّلونه».

و «الإِجْل»: القطيع من بقر الوحش.

و «أَجَلْ» بمعنى نَعَم. قال الأخفش: إلا أنه أحسن من نعم في التصديق، ونعم أحسن منه في الإستفهام.

و «الأجل»: مصدر. وأجَلَ عليهم شرًّا يأجُلُه ويأجِلُه أجْلاً: جناه وهيَّجه، قال خوات بن جُبَير:

وأهل خِباءٍ صالح كنتُ بينهم قد احتَرَبوا في عاجلٍ أنا آجلُهْ

أي أنا جانيه.

١٧ ـ أجم:

«أَجَمَ» الطعامَ واللبنَ وغيرهما يأجِمُه أجْماً: كرِهَه وملَّه من المداومة عليه، وكذلك أجِمَه أَجَماً، فهو آجم.

قال ابن بَرّي: ذكره سيبويه على «فَعِلَ» فقال: أجِمَ يأجَم فهو أجِم، وسَنِقَ فهو سَنِق.

وفي حديث معاوية: قال له عمرو بن مسعود ـ رضي الله عنهما ـ: ما تسأل عمّن سُعِلَتْ مَريرته وأجِمَ النساء، أي كرِهَهُنّ.

و «الأُجُم» حصن بناه أهل المدينة من حجارة. وهو الحصن عامة، والجمع آجام.

و «الأُجْم» بسكون الجيم: كل بيت مربع مسطَّح.

و «الأَجَمة»: الشجر الكثير الملتف، والجمع أُجَم، وآجام وإجام.

١٨ ـ أجن:

و «المِئجنة»: مِدَقّة القصّار...

أقول: وهي في عصرنا ما يُدَق بها الحَبّ لفصل القشر عنه أو لطحنه. وهي «الميجنة» في عاميّة العراقيين.

١٩ ـ إدد:

قال تعالى: ﴿لقد جئتم شيئاً إدًّا﴾، وهو الأمر الفظيع العظيم.

و «الإدّ»: الداهية، والشدّة.

أقول: لم يبق من هذا كله إلا ما استشهدنا عليه بالآية.

٢٠ ـ إرب:

«الإرْب» و «الإربة» و «الأَرَب» و «المَأْرُبة» الحاجة.

أقول: أما الفعل «أرب» بمعنى دَرِبَ، وصار ماهراً في الشيء، بصيراً فلم يبق شيء منه في العربية المعاصرة، وهو من الكلم القديم، قال قيس بن الخطيم:

أرِبتُ بدَفع الحرب لما رأيتُها على الدفع لا تزداد غيرَ تقارُبِ

والإرْب: الدهاء وهو أريب.

٢١ ـ أفن:

أفَنَ الناقة والشاة يأفِنُهاأفْناً: حَلَبها في غير حينها، وقيل: هو إستخراج جميع ما في ضرعها.

قال المخبّل:

إذا أُفِنَتْ أروَى عيالك أفنُها   وإنْ حُيِّنَت أَرْبَى على الوَطْب حينُها

والتحيين: أن تُحلَب كل يوم وليلة مرة.

قال أبو منصور: ومن هذا قيل للأحمق مأفون، كأنه نُزع عنه عقلُه كلّه.

أقول: وفي هذه المادة جلاء ما في العربية من مادة حملتها اليهم بيئتهم. وصلتهم بالبيئة في ضوء المادة اللغوية تكشف عن طاقة هذه اللغة في تصريف المادة المحسوسة إلى حاجات أخرى في الدلالة، فإذا المحسوس يتحول إلى المدرَك في العقل انتقالاً من خصوصية خاصة في أصل المادة.

ثم يتحول الفعل «أفَنَ» المتعدي إلى القاصر فيأتي على «فَعِلَ» فقالوا: أفِنَت الناقة أي فل لبنها، فهي أفِنة.

ومن هنا كان «الأَفْن» بمعنى النقص، وفي حديث عليّ: «إياكَ ومشاورة النساء فإن رأيهنّ إلى أفْن».

٢٢ ـ أقش:

بنو أُقَيش: حيّ من الجن تنسب الإبل الأُقيشية، أنشد سيبويه:

كأنّك من جِمال بني أُقَيشٍ   يُقَعْقَعُ بين رِجْلَيهِ بشَنِّ

وقال ثعْلب: هم قوم من العرب.

أقول: هذا شيء من أوابد العرب في بيئتهم يظهر تصورهم لعالَم الجنّ.

٢٣ ـ أكر:

«الأكرة» الحفرة في الأرض يجتمع فيها الماء فيُغرَف صافياً، والفعل أكَرَ يأكُرُ أكْراً.

و «الأكّار»: الحراّث، والأَكَرَة جمع أكّار، كأنه جمع آكر في التقدير.

و «المؤاكرة»: المخابرة، أي المزارعة، وفي حديث قتل أبي جهل: «فلو غيرُ أكّار قتلني» وهو الزرّاع وأراد احتقاره وانتقاصه.

أقول: وهذه مادة مفيدة تتصل بالأرض وصنعتها وهي الزراعة، وإن حديث قتل أبي جهل يكشف عن نظرهم إلى الزراعة، وهي من هنا ليست صنعتهم بل صنعة المجتمعات غير العربية المحمولة إليهم، والتاريخ يصدق هذا.

ومن العرب من يقول للكرة التي يُلعَب بها: أُكرة، واللغة الجيدة الكرة، قال:

حَزاورةٌ بأبطحها الكُرينا

أقول: أذا كان بين الكرة والأكرة صلة وقرابة، فهل لنا أن نراها في «أكَرَ» بمعنى حرث وزرع وبين كرى الأرض يكريها والمصدر الكَرْي أي حفرها وشقها وأصلحها، يقال: كرى النهر أي حفره وشقه وأصلحه مما تجمع في قاعه من الغِرْيَن ونحوه...

٢٤ ـ أكل:

ورجل أُكَلة وأَكول وأكيل: كثير الأكل.

أقول: والأبنية كلها في المبالغة.

والرجل يستأكِلُ قوماً أي يأكل أموالهم من الإسنات. وفلان يستأكل الضعفاء أي يأخذ أموالهم.

والأُكْل: الطُعْمة. ويقال: ما هم إلا أُكلة رأس، أي قليل.

والمِئكلة: الصغيرة من البرام أو الصِّحاف التي يستخفُّها الحيُّ أن يطبخوا اللحم فيها والعصيدة، وقيل: كلّ ما أُكِل فيه فهو مِئكلة.

٢٥ ــ أكم:

الأَكَمَة: والجمع أكَمات وأَكَم، وجمع الأكم إكام مثل جبل وجبال، وجمع الإكام أُكُم مثل كتاب وكُتب، وجمع الأُكُم: آكام مثل عُنق وأعناق.

أقول: وليس هذا بشيء ذلك أننا قد نجد «جمع الجمع» وهو بناء يراد به خصوصية خاصة لا تبعد عن معنى القلة مثل رجل ورجال ورجالات، وبيت وبيوت وبيوتات، فأما ما ذكر من مجموع «أكمة» فكله أبنية جمع للمفرد.

إن أبنية جموع التكسير تلقي ضوءاً على سعة العربية التي جاءت من تعدد القبائل والجماعات، إذ ليس من المنطق أن تكون الجماعة الواحدة قد عرفت ثلاثة أبنية أو أربعة لمفرد بعينه.

و «الأَكَمَة ما اجتمع من الحجارة غلظ أم لم يغلظ في مكان ما وارتفع قليلاً.

٢٦ ــ ألت:

الأَلْتُ: الحَلِف.

وأَلَتَهَ يمين أَلْتاً: شدَّد عليه. وأَلَت عليه: طلب منه حَلِفاً أو شهادة، يقوم له بها.

ورُوِيَ عن عمر ـ رضي الله عنه ـ: أن رجلاً قال له: اتَّقِ الله يا أمير المؤمنين، فسمعها رجل، فقال: أَتَأْلِتُ على أمير المؤمنين؟ فقال عمر: دَعْه، فلن يزالوا بخير ما قالوها.

قال ابن الأعرابي: معنى قوله «أتألِته» أتحُطّهُ بذلك؟ أتَضَع منه؟ أتنقُصه؟

والأَلْتُ: القَسَم، يقال: أذا لم يُعطكَ حقَّك فقيّده بالأَلْت.

وقال أبو عمرو: الأُلْتة: اليمين الغموس، والأُلْتة: العطيّة الشَقْنة.

وأَلَته: حَبَسه عن وجهه وصَرَفه مثل لاتَه، لغتان، حكاها اليزيدي عن أبي عمرو ابن العلاء.

وأَلَتَه ماله وحقّه يألِته أَلْتاً وألاتَه، وآلَتَه إيّاه: نقصه.

وفي التنزيل العزيز: ﴿وما أَلَتناهم من عملهم من شيء﴾.

وقال الشاعر:

أبلغ بني ثُعَلٍ، عني مُغَلْغَلةً   جَهْدَ الرسالة، لا أَلْتاً ولا كذبا

أقول: وقولهم: أَلَتَ مثل لاتَ يشير إلى أن المهموز الأول قد يأتي فيه أجوف وناقص، وقد مرّ بنا أَكَرَ وكَرَى، على أن التحول من هذا إلى هذا قد يكون لمعنى واحد، وقد يتأتى منه خصوصية دلالية، ومثل هذا ناء ونأى، وشاءَ وشأى، وأَمَدَ ومَدَى.

٢٧ ــ ألف:

أود أن أشير في هذه المادة إلى «التأليف» بمعنى تصنيف الكتب. وهو غير بعيد من الإلف والألفة وتأليف القلوب أي جمعها.

على أننا نجد في حشو هذه المادة «الإيلاف» التي جاء خبرها في قوله تعالى: ﴿لإيلاف قريش﴾، ومعناها: لتُؤلَف قريش الرحلتين فتتصلا ولا تنقطعا، واللام في «الإيلاف» متصلة بالسورة التي قبلها، أي أهلك الله أصحاب الفيل لتُؤلَف قريش رحلتيها آمنين.

وعن ابن الأعرابي أن أصحاب «الإيلاف» أربعة إخوة: هاشم وعبد شمس والمطلب ونوفل بنو عبد مناف، وكانوا يؤلِّفون الجوار يُتبعون بعضه بعضاً يجيرون قريشاً بمِيَرهم، وكانوا يُسَمَّون المجيرون، فأما هاشم فإنه أخذ «حبلاً» من ملك الروم، وأخذ نوفل حبلاً من كسرى، وأخذ

عبد شمس حبلاً من النجاشي، وأخذ المطلب حبلاً من ملوك حمير، قال: فكان تجار قريش يختلفون إلى هذه الأمصار بحبال هؤلاء الإخوة فلا يُتَعَرَّض لهم.

أقول أيضاً: و «الحبل» في هذا الخبر يؤدّي ما يؤديه «جواز السفر» في عصرنا.

٢٨ ـ إمع:

الإمَّعَة والإمَّع: الذي لا رأي له ولا عزم فهو يتابع كل أحد على رأيه ولا يثبت على شيء، والهاء فيه للمبالغة. ولا نظير له إلّا رجل إمرٌّ أي أحمق.

أقول: وهو من الظرف «مع»، كما أخذوا من هذا الظرف المصدر الصناعي «المعيّة» مصطلحاً في النحو.

٢٩ ـ أمل:

الأمل: الرجاء.

أقول: ولم يشع في الأستعمال إلا «يفعُل» وهو «يأمُل» بضم الميم لا فتحها كما هو شائع في اللغة المعاصرة. والماضي «أَمَل» يكاد يكون من الأفعال المنسية.

ونظير «أَمَل» من الأفعال المنسية التي أشير إليها «وَذَرَ» وبقي مضارعه مستعملاً «يَذَر»، وكذلك «وَدَعَ» ومضارعه المستعمل «يَدَع». على أنهم جعلوا من هذا المنسي قراءة بعضهم: ﴿ما وَدَعَك ربّك وما قلى﴾.

ومن المنسي «انبغَى» ومضارعه المشهور ينبغي، وكذلك مضارع «كرب» من أفعال المقاربة. ولم يسمع مضارع «حَرَى واخلولق» من أفعال الرجاء.

٣٠ ـ أمن:

«الأمن» هو السلامة، والأمانة ضد الخيانة.

غير أن «الإيمان» مصطلح إسلامي ذهب في العهد الإسلامي مذهباً خاصاً تكشف عنه لغة التنزيل العزيز. وهو التصديق كثيراً، ولكنه يتصف بخصوصيات خاصة في الحديث الشريف. ومن المفيد أن نقف وقفة خاصة على «آمين».

أقول: وهمزة «آمين» بالمد، وقد تأتي مقصورة فيقال «أمين»، وهي كلمة تقال في إثر الدعاء، قال عمر بن أبي ربيعة:

يـاربِّ لا تَـسلُبَـنّي حُـبَّهـا أبـداً ويـرحم الله عبـداً قـال آمـينـا

وأنشد ابن برّي:

سَقَى الله حيًّا بين صارة والحِمىٰ حِمَى فَيْدَ صَوبَ المُدجِنات المواطرِ
أَمـيـنَ وردَّ اللَّهُ ركبـاً إلـيهـم بخيـرٍ ووقّـاهم حِمـامَ المقـادرِ

قال الفارسيّ: هي جملة مركبة من فعلٍ واسمٍ، معناه اللهم استجبْ لي، قال: ودليل ذلك أن موسى ـ عليه السلام ـ لما دعا فرعون وأتباعه فقال: ربَّنا اطمس على أموالهم واشدُد على قلوبهم، قال هٰرون ـ عليه السلام ـ: آمين، فطبّق الجملة بالجملة.

والتأمين قول القارىء بعد الفراغ من فاتحة الكتاب «آمين».

أقول: لم يصل إلينا أن الجاهليين قد عرفوا هذه الكلمة اعتماداً على ما وصل إلينا من أدبهم، ولكننا عرفناها في الأدب الإسلامي. وهي من الكلم القديم الذي عرفناه في الأدب العبراني، على أنني لا أقول: إنها عبرانية الأصل استعارها العرب، ولكني أقول: إنها من المشترك السامي القديم الذي عرف في جملة من اللغات السامية القديمة. وقد يكون أهل

الجاهلية قد عرفوا هذه الكلمة، ولكن النصوص الجاهلية لم يصل إلينا منها إلا القليل كما قال أبو عمرو بن العلاء.

٣١ ــ أمه:

«الأُميهة»: جُدَري الغنم، وقيل: هو بَثَـر يخرج بهـا كالجـدري أو الحَصْبَة. وقد أمِهَت الشاة تُؤمَه أمْهاً.

قال ابن سيده: هذا قول أبي عبيدة، وهو خطأ لأنّ الأميهة اسم لا مصدر، أذ ليست من أبنية المصادر. وشاة أميهة: مأموهة.

وقال ابن الأعرابي: الأَمَه النسيان، والأَمَه الإقرار، والأَمَه الجدري.

وقرأ ابن عبّاس: «وادَّكر بعد أَمَةٍ» قال الزجاج: أي بعد نسيان، وقال أبو عبيدة: أي بعد إقرار.

أقول: «وإذا كان «الأَمَه» الجدَري، فهو نظير الأدواء والأعراض التي تأتي على «فَعَل» وهي كثيرة.

ثم ألنا أن نقول إن الأَمَهَ نظير العَمَه...

٣٢ ــ «أنف»:

المَنْخَر، والجمع آنُف وآناف وأنوف. والأنف للإنسان وغيـره وأَنَفَه يأنفُهُ: أصاب أنفه.

ورجل «أنافي» عظيم الأنف، ومثل هـذا عُضادي: عـظيم العضد، وأذاني: عظيم الأذن، وكذلك رُواسي: عظم الرأس.

أقول: والياء في هذا كله زيادة في المبالغة والتكثير، وذلك لأن بناء «فُعال» وحده يفيد المبالغة مثل طُوال وكُبار وعُظام وغير ذلك.

ومثل هذا ما جاء في «فعّال» للمبالغة فقال رؤبة:

والدهر بالأنسان دوّاريُّ

وقد يحمل على هذا: اليلمعي والألمعي، والأحـوذيّ والأحوريّ.

و «الأَنوف»: المرأة الطيبة ريح الأنف.

وروضة «أُنُف»: التي لم تُرعَ، وقيل: لم تُوطَأ.

واستأنف الشيء: أخذ أوله وابتدأه.

أقول: وكأنه رجوع إلى الأول، ومقام الأنف في خلق الإنسان في الموضع الأول من العلو.

ومن هذا ما يقال: ذكرته آنفاً أي في أول الأمر.

وأما ما يقال في العربية المعاصرة في قول المعربين: واستأنف الكلام أي عاد إليه واستمر، فاستعمال حديث.

٣٣ ــ أون:

«الأَوْن»: الدعة والسكينة والرفق.

أقول: وما ورد في المعجم القديم من الفعل آنَ يؤون بمعنى استراح وترفَّه، فكله كلم قديم يندر الوقوف عليه في النصوص.

و «الأون» المشي الرُوَيد، مُبَدل من الهون.

أقول: ومن هنا تحوّل «آن» بهذا المعنى إلى الناقص، أو قل إنهما أصل واحد.

فقيـل: «أنَى» يأنى، والمضـاعف منه ضـارب في المعنى «تأنّى»، و «الأناة» من هذا.

وقالوا: تأوَّن في الأمر بمعنى تأنّى.

ثم نجد «الأون» بمعنى الإعياء والتعب كالأين، وكنت أشرت غير مرة

إلى تعاقب الواو والياء في الأصول الثلاثية بمعنى واحد أو بتحول طفيف إلى معنى مقارب آخر.

«الأوْنان»: العِدْلان يعكمان، وجانبا الخرج.

أقول: قد يكون هذا مناسباً أن يطلق على ضرب من الحقائب الجديدة التي تشتمل على ما يشبه جانبي الخُرج. و«الأوان»: الحين والزمان، وجمعه «آونة».

أقول: وابتعدت «آونة» عن إدراك المعاصرين فظنوها مفرداً نظير ناحية وشاحنة وغيرهما، وفاتهم أن المدّ فيها عوض من همزتين، والأصل «أأْونة» على «أفعِلة» جمعاً لـ «فعال» بفتح الفاء أو كسرها نحو مَتاع أمتعة، وسِلاح أسلحة.

وهي في كلام المعاصرين تقابل مدة أو حقبة قصيرة.

و «الإوان» و «الإيوان»: الصُفَّة العظيمة، وفي «المحكم»: شبه أَزَج غير مسدود الوجه، وهو أعجمي.

أقول: وما زال في عامية العراق «الإيوان» ولكنه تحوّل إلى «ليوان» باللام، ومجيء اللام من ذهاب الهمزة في لام التعريف فقالوا: «اللّيوان».

٣٤ ــ أين:

و «آن» الشيء أيْناً: حان، وهي مثل «أَنى» وليس مقلوباً عنه لاتحاد المصدر.

وآنَ لك أن تفعل، أي حان مثل: أَنَى لك...

وقالوا: «الآن» لزمان الحال. وقالوا والألف واللام زائدتان فيه، لأنه معرفة بغيرهما، أي بلام محذوفة أخرى. أقول: ليس هذا بشيء، وإذا كان

اللام للتعريف فلِمَ حذفت وجيء بالزائدة. إن هذا من حذلقة النحويين، ولو قالوا: إنها للتعريف لازمة لكان قولهم حسناً.

ومن النادر الغريب في «الآن» أنهم قالوا: «تَلآن» فذكروا أن رجلاً سأل ابن عمر عن عثمان قال:
أنشدكَ الله هل تعلم أنه فرَّ يوم أُحُد وغاب عن بدْر وعن بيعة الرضوان؟
فقال ابن عمر:

أما فِراره يوم أُحُد فإنّ الله ـ عز وجل ـ يقول: ﴿ولقد عفا الله عنهم﴾؛ وأما غيبته عن بدر فإنه كانت عنده بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضة وذكر عذره في ذلك، ثم قال:

اذهب بهذه تَلآن معك.

قال أبو عبيد: قال الأموي قوله «تلآن» يريد الآن، وهي لغة معروفة، يزيدون التاء في الآن وفي حين ويحذفون الهمزة الأولى، يقال: تَلآن وتحين، قال أبو وجزة:
العاطفون تحين ما مِن عاطفٍ والمطعمون زمان ما من مُطعِمِ

و «الْأين»: الإعياء والتعب.

أقول: وهي تومىء إلى «الحَيْن» وهو الهلاك.

* * *

حـرف البـاء

٣٥ ــ بأر:

«الأبَار»: حافر البئر، على القلب، والأصل بآر.

أقول: وقد عُرف «الأبّار» لصانع الإِبَـر، وابن الأبّار صـاحب كتاب الصلة «في رجال الأندلس».

وبَأَر البئر وابتأرها: حفرها.

وفي الحديث: «البئر جُبار» قيل هي العادّية القديمة لا يُعلَم لها حافر ولا مالك، فيقع فيها الإنسان أو غيره فهو جُبار أي هَدَر، وقيل: هو الأجير الذي ينزل البئر فينقيها أو يخرج منها شيئاً يقع فيموت.

و «البؤرة»: كالزبية من الأرض، وقيل: هي موقد من النار، والفعل كالفعل بَأَرَ الشيء يبأر بأراً، وابتأر، بمعنى خبّأه وادّخره، ومنه قيل للحفرة: البؤرة.

والبُؤرة والبِئرة والبئيرة: ما خبِّىء وادُّخِر.

أقول: وكثيراً ما صرفت «البؤرة» في العربية المعاصرة إلى موطن ما يكره من الأشياء: فقالوا: موضع كذا بؤرة للأمراض، وفلان بؤرة للعيوب، ومثلها «مَباءة» وستأتي.

٣٦ ـ بأس:

وأذا قال الرجل لعدوّه: لا بأس عليك فقد أمّنه، أي لا خوف، قال قيس بن الخطيم:

يقول لَي الحدّاد وهو يقودني إلى السجن: لاتجزَعْ فمابك من باسِ

أقول: والحدّاد في البيت الذي يضع الحديد في يد السجين ورجله.

وفي لغة حمير لَبَاتَ عليك أي لا بأس عليك، قال شاعرهم:

شربنا النوم، إذ غضِبت غلاب بتسهيد وعَقد غير مَيْنِ

تنادَوا عند غدرهمُ: لَباتِ وقد بَرَدَت معاذرُ ذي رُعَيْنِ

قال الأزهري: كذا وجدته في كتاب شِمر.

وفي الحديث: نَهَى عن كسر السكّة الجائزة بين المسلمين إلاّ من بأس، يعني الدنانير والدراهم المضروبة، أي لا تُكسَر إلا من أمر يقتضي كسرها، إمّا لرداءتها أو شكّ في صحة نقدها، وكُرِه ذلك لما فيها من اسم الله تعالى. وقيلَ: لأنّ فيه إضاعة المال، وقيل: إنما نهى عن كسرها على أن تعاد تبراً، فأما للنفقة فلا، وقيل: كانت المعاملة بها في صدر الإسلام عدداً لا وزناً، وكان بعضهم يقص أطرافها فنُهوا عنه.

أقول: وفي هذا الحديث جاءت كلمة «بأس» وتعني النقص أو العيب، وعرفنا من الحديث فوائد تتصل بالسكة الجائزة وكيف يُفعل بها في التعامل.

٣٧ ـ بأو:

«البأو» العظمة والفخر والكبر، والفعل بَأَى يبأى بأْواً، قال حاتم:

وما زادَنا بأواً على ذي قرابةٍ غناناً، ولا أزري بأحسابنا الفقرُ

أقول: كأن في «البأو» السعة والانتفاخ، ومن هنا اتسع فيه إلى المعاني المذكورة.

٣٨ ــ بتت:

بتَّ فلان طلاق امرأته وأبتَّها، وفي الحديث: طلَّقها ثلاثاً بتّةً أو بتاتاً، أي قطعاً لا عود فيه. ولا أفعله البتّه، أي بتاتاً.

وقال الخليل بن أحمد: الأمور على ثلاثة أنحاء: شيء يكون البتّة، وشيء لا يكون البتّة، وشيء قد يكون وقد لا يكون. فأما ما لا يكون، فما مضى من الدهر لا يرجع، وأما ما يكون البتة، فالقيامة تكون لا محالة، وأمّا شيء قد يكون وقد لا يكون فمثل: قد يمرض وقد يصحّ.

أقول: والذي في قول الخليل استعمال «البتّة» مع سياق الإثبات لا النفي، وهو استعمال فصيح، غير أن معنى القطع كثر لزومه مع النفي، نظير الظرف «أبداً».

وفي استعمال الخليل أيضاً لـ «قد» مخالفة للمتعارف المشهور من أنها للتحقيق فلا تدخل في سياق النفي. وعندي أن كلام الخليل غاية في الفصاحة، وأن المتعارف المشهور لم ينته فيه أصحابه على نحو من الإستيفاء التام.

وفي الحديث: «أبتّوا نكاح هذه النساء» أي اقطعوا الأمر فيه وأحكموه بشرائطه، وهو تعريض بالنهي عن نكاح المُتعة، لأنه نكاح غير مبتوت، بمقدّر بمدة.

ومن التوسع بمعنى القطع في «بتت» جاء «المنبتّ» لمن انقطع في سفره، وعطبت راحلته، ومنه قول مطرِّف: «إن المنبتَّ لا أرضاً، ولا ظهراً أبقى».

ابن سيده: والبَتّ كساء غليظ مهلهل، مربّع، أخضر، وقيل: هو من وَبَر وصوف، والجمع: أَبُتٌّ و «بتات».

وفي «التهذيب»: البتُّ ضرب من الطيالسة يسمى الساج، مربّع، غليظ، أخضر، والجمع البتوت، قال الراجز:

من يكُ ذا بتٍّ، فهذا بتّي مقيِّظٌ مصيِّفٌ مُشتّي
تخذتُه من نعجات سِتّ

وصانعه البتّيّ أو البتّات.

أقول: ومن فوائد هذه المادة أنها كانت من بعض نصوص تاريخية ذات قيمة اجتماعية ومن ذلك ما ورد من حديث دار الندوة وتشاورهم في أمر النبي ﷺ: فاعترضهم إبليس في صورة شيخ جليل عليه بتّ أي كساء غليظ مربع، وقيل: طيلسان من خز.

وفي حديث علي ـ عليه السلام ـ: أنّ طائفة جاءت إليه، فقال لقنبر: بتّتهم، أي أعطهم البتوت.

وفي حديث الحسن ـ عليه السلام ـ: أينَ الذين طرحوا الخزوز والحِبَرات، ولبسوا البتوتَ والنِمرَات.

و «البَتات» متاع البيت.

وفي حديث النبيّ ﷺ أنه كتب لحارثة بن قَطَن ومَن بدومة الجندل من كلب: إنّ لنا الضاحية من البَعْل، ولكم الضامنة من النخل، لا يُحضَر عليكم النبات، ولا يؤخذ منكم عُشْر البتات.

قال أبو عبيد: لا يؤخذ منكم عُشر البتات، يعني المتاع ليس عليه زكاة مما لا يكون للتجارة.

أقول: وهذا التدبير النبوي يشير إلى أنهم (أي كلب) لمّا يسلموا.

و «البَتات» الزاد والجِهاز، والجمع أبتّة، قال ابن مقبل:

أشاقَكَ ركبٌ ذو بَتاتٍ ونِسوةٍ بكِرْمانَ يُغبَقنَ السويق المقنّدا

وأنشد:

ويـأتيـك بـالأنبـاء مَن لم تَبِـعْ لـه   بَتاتاً، ولم تضرب له وقتَ مـوعِدِ

وهو كقوله:

ويأتيك بالأخبار من لز تُزَوِّدِ

ومن الطرائف: أبو زيد: طحن بالـرَّحَى شَزْراً، وهـو الذي يـذهَب بالرحى عن يمينه، وبَتًّا، ابتدأ إدارتها عن يساره. وأنشد:

ونـطحنُ بـالـرَّحى شَـزْراً وبَتًّـا   ولـو نُعطَى المغـازلَ ما عَيينـا

أقول: وددت أن أعود إلى هذه المادة بعد الذي ذكرته في «الفرائد» لأني وجدت الكلام فيها معوزاً، وأن الفوائد فيها تكشف عن أصالة العربية وصلتها بالبيئة القديمة.

٣٩ ـ بتر:

و «الأبتر» المقطوع الـذنب من جميع الـدوابّ، وقد أبتـرته فبَتَـر، وبترتُه: قطعته.

وفي الحديث: أنه نَهَى عن «البُتيراء» وهو أن يوتر بـركعة واحـدة، وقيل: هو الذي شرع في ركعتين فأتمّ الأولى وقطع الثانية.

وفي حديث سعد: أنه أوتر بركعة، فأنكر عليه ابن مسعود وقال: ما هذه البتراء؟

و «الأبتران»: العَيْر والعبد، سيِّما أبترين لقلة خيرهما.

وخطبة «بتراء» لم يذكر الله تعالى فيهـا ولا صُلِّي على النبي ﷺ. ومن ذلك خطبة زياد.

و «الأبتر» من الحيات: الذي يقال له الشيطان قصير الذنب لا يراه أحد إلا فرّ منه، ولا تبصره حامل إلّا أسقطت.

وفي الحديث: كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أبتر» أي أقطعَ.

وقيل في قوله تعالى: ﴿إن شانئك هو الأبتر﴾ الذي لا عقب له.

و «الأُباتِر»: الذي يبترُ رحمه ويقطعها، قال أبو الرئيس المازني، واسمه عبادة بن طَهفة يهجو أبا حصن السُلَمي:

لئيم نَـزت في أنفـه خُنـزُوانـةٌ   على قَطع ذي القربى أحَـذُّ أُباتِـرُ

قال ابن برّي: كذا أورده الجوهري، والمشهور في شعره:

شديد وكاء البطن ضَبّ ضغينةٍ

والأُباتر: من يسرع في بتر ما بينه وبين صديقه.

والبُتيـراء: الشمس. وفي حديث علي ـ كرّم الله وجهه ـ وسئل عن صلاة الأضحَى أو الضُحَى فقال: حين تبهر البُتَيراء الأرض؛ أراد حين تنبسط الشمس على وجه الأرض وترتفع.

أقول: ليس لنا من هذه الفوائد القديمة شيء في عربيتنا المعاصرة، مع أن شيئاًمنها ما زال له مكان. ولو اجتهد فاستفيد من «الأبتر» في جديد من الأدوات والآلات لكان ذلك ممكناً.

أقول: و «البتر» و «البتك» و «البتل» كله يشتمل على القطع الذي رأيناه في المضاعف «بتت».

وهذا يعني أن أصل المادة الثنائي «بت» وقد تحول إلى المضاعف فالمواد الأخرى.

٤٠ ــ بتل:

و «البتل» القطع.

أقول: هذا هو أصل الدلالة لما ورد في «ب ت ل»، غير أن العربية

اتسعت في دلالة القطع فذهبت فيه في مناحٍ عدة، ولنتابع مسيرتنا مع شواهد الكلمة:

قال ذو الرمة:

رخيمات الكلام مبتّلات جواعل في البُرَى قصباً خِدالا

قال ابن سيده: زعم الفارسي أن الكسر رواية وجاء به شاهداً على حذف المفعول؛ أراد مُبَتِّلات الكلام مقطِّعات له. وفي حديث حذيفة: أقيمت الصلاة فتدافعوها وأبوا إلا تقديمه، فلما سلَّم قال: لَتَبْتِلُنَّ لها إماماً أو لَتَصلُنَّ وُحداناً، معناه: لَتَنصِبُنَّ لكم إماماً وتَقْطَعُنَّ الأمر بإمامته، من البتل أي القطع.

قال ابن الأثير: أورده أبو موسى في هذا الباب، وأورده الهروي في باب الباء واللام والواو، وشرحه بالامتحان والأختبار من الإبتلاء، فتكون التاءان فيها عند الهروي زائدتين، الأولى للمضارعة والثانية للافتعال، وتكون الأولى عند أبي موسى زائدة للمضارعة والثانية أصلية، قال: وشرحه الخطابي في «غريبه» على الوجهين معاً. وفي «التهذيب» أن «المُبتِل» النخلة يكون لها فسيلة قد انفردت واستغنت عن أمها فيقال لتلك الفسيلة «البَتول».

ابن سيده: البَتول والبتيلة والبتيل من النخل الفسيلة المنقطعة عن أمها المستغنية عنها. والمُبتِلة: أمّها، يستوي فيها الواحد والجمع، وقول المتنخّل الهذلي:

ذلك ما دُينك إذ جُنِّبَتْ أجمالُها كالبُكُر المُبتِلِ

أراد جمع مُبتلة كتمرة وتمر، وقوله: «ذلك مادينك» أي ذلك البكاء دينك وعادتك، والبُكُر جمع بَكور وهي التي تدرك أول النخل.

و «تَبَتَّل» إلى الله تعالى: انقطع وأخلص. وفي التنزيل: ﴿وتَبَتَّلْ إليه

تبتيلا﴾ وجاء المصدر على غير طريق الفعل، وله نظائر ، ومعناه أخلَصَ له إخلاصاً.

والتبتُّل: الإنقطاع عن الدنيا إلى الله تعالى.

و «البَتول» من النساء: المنقطعة عن الرجال لا أرب لها فيهم، وبها سميت مريم أم المسيح.

٤١ ــ بحر:

وبَحَرَ الناقة والشاة بَحْراً: شق أذنها بنصفين، وهي البحيرة.

و «البحيرة» من أوابد العرب، وهي إذا كانت ناقة ونُتِجَت خمسة أبطن وكان آخرها ذكراً بحروا أذنها وأعفوا ظهرها من الركوب والحمل والذبح، ولا تُحَلّأ عن ماءٍ ترده، ولا تمنع من مرعىً، وإذا لقيها المعيي المنقطع به لم يركبها. ونهى الله تعالى عن ذلك فقال: ﴿ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام﴾.

ومن هذه الأوابد ما ذكروا من أنهم كانوا إذا ولدت إبلهم سَقْباً بحروا أذنه أي شقوها، وقالوا: اللهم إن عاش فقَنِّي. وإن مات فذكيّ، فإذا مات أكلوه وسمّوه البحيرة.

وكانوا إذا تابعت الناقة بين عشر إناث لم يركب ظهرها ولم يُجَزَّ وبرها، ولم يَشْرَب لبنها إلا ضيفٌ، فتركوها مسيَّبة لسبيلها وسمّوها السائبة، فما ولدت بعد ذلك من أنثى شقوا أذنها وخلّو سبيلها، وحُرِّم منها ما حُرِّم من أمهّا وسموها البحيرة.

أقول: وجملة ذلك من أوابدهم، ولعل اختلافهم في ذلك راجع إلى اختلاف القبائل في العادات، وهذا حاصل في كل عصر.

و «الباحور» القمر، وكذلك الساهور.

أقول: وبناء «فاعول» كثير في السريانية، وما ورد منه في العربية فبعضه مستعار من السريانية، ومنه «الساهور» وهو يومىء إلى مادة «شهر»، والشهور في العربية متصلة بدورة القمر. ومن هنا جاء الفعل «سهر».

٤٢ ـ بخس:

و« بخسه» حقّه إذا نقصه، قال تعالى: ﴿ولا تبخسوا الناسَ أشياءهم﴾ أي لا تظلموهم شيئاً، وقال تعالى أيضاً: ﴿فلا يخاف بخساً ولا رهقاً﴾.

و «البخس» بالزكاة: ما يأخذه الولاة باسم العشر. والبخس: فقء العين بالإصبع، وتأتي بالصاد، و «البخس » أرض تنبت بغير سقي، والجمع بخوس.

و «البَخس» من الزرع: ما لم يُسق بماء عِدّ إنما سقاه ماء السماء.

٤٣ ـ بخع:

و «بخع» نفسه يبخَعُها بخعاً وبخوعاً: قتلها غيظاًأو غمًّا. وفي التنزيل: ﴿فلعلّك باخع نفسك﴾. وفي حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنها ذكرت عمر ـ رضي الله عنه، فقالت: بَخَعَ الأرض فقاءت أُكُلَها، أي قهر أهلها وأذلّهم واستخرج ما فيها من الكنوز وأموال الملوك.

وبخع لي بالطاعة بخوعاً، وبخعتُ له: قد تذللت وأطعت وأقررت. وفي حديث عمر ـ رضي الله عنه ـ فأصبحت بجنبتي الناس ومن لم يكن يبخع لنا بطاعة.

وفي حديث عقبة بن عامر: أن النبي ﷺ، قال: أتاكم أهل اليمين هم أرق قلوباً وألين أفئدة، وأبخع طاعة، أي أنصح وأبلغ في الطاعة من غيرهم، كأنهم بالغوا في بخع أنفسهم، أي قهرها وإذلالها بالطاعة.

قال ابن الأثير في «النهاية في غريب الحديث. . .» قال الزمخشري (في الكشاف): هو من بخع الذبيحة إذا بالغ في ذبحها، وهو أن يقطع عظم رقبتها ويبلغ في الذبح البخاع بالباء، وهو العرق الذي في الصلب، والنخعْ بالنون دون ذلك وهو أن يبلغ بالذبح النخاع، وهو الخيط الأبيض الذي يجري في الرقبة، هذا أصله ثم كثر حتى استعمل في كل مبالغة.

قال ابن الأثير: هكذا ذكره في «الكشاف» وفي كتاب «الفائق» في غريب الحديث، ولم أجده لغيره، قال: وطالما بحثت عنه في كتب اللغة والطب والتشريح فلم أجد البخاع، بالباء مذكوراً في شيء منها.

أقول: كأن ابن الأثير قد حمل ما أورده الزمخشري في «الكشاف» و «الفائق» على التصحيف، وأن تفرّد الزمخشري بإيراده يشعر بضعفه، والذهاب إلى أنه مما صحف فيه مقبول.

٤٤ ــ بخل:

و «أبخله» وجده بخيلاً، ومنه قول عمرو بن معدي كرب: «يا بني سُلَيم، لقد سألناكم فما أبخلناكم، أقول: ومثل «أبخل» أحمَدَ أي وجد الشيء محموداً.

٤٥ ــ بدر:

و «بادرت» إلى الشيء أبدر بدوراً: أسرعت. وابتدروا السلاح وتباروا إلى أخذه. وفي حديث اعتزال النبي ﷺ، نساءه قال عمر: فابتدَرَت عيناي، أي سالتا بالدموع. وبادرة الشر، ما يبدرُك منه، والبادرة: الحدّة، وهو ما يبدر من حدة الرجل عند غضبه من قول أو فعل. والبادرة: البديهة. والبادرة من الكلام التي تسبق من الإنسان في الغضب، ومنه قول النابغة:

ولا خير في حلم إذا لم تكن له بوادر تحمي صفوه أن يُكَدَّرا

والبادرة الغضبة السريعة.

وفي الحديث: أنه لما أنزلت عليه سورة: إقرأ باسم ربك، جاء بها ﷺ، تُرعَدُ بوادره، فقال: زمّلوني زملوني. والبوادر من الإنسان جمع بادرة وهي اللحمة التي بين الكتف والعنق.

أقول: و «البادرة» بمعنى الحدة أو ما يرتكب عند الغضب، شيء نجد أثره في العربية المعاصرة، يقال: كان عمل فلان بادرة سيئة، وهي هنا بمعنى سابقة في الشرّ. كما يقال: إن عمله بادرة حسنة.

٤٦ ـ بدل:

«الأبدال» جمع بِدْل وبَدَل بمعنى شريف، والجمع كالجمع، والأبدال الأولياء والعباد، سمّوا بذلك لأنهم كلما مات منهم واحد أبدل بآخر.

أقول: كأن الطاء في «بَطَل» جاءت من «بَدَل»، ذلك أن «بطل» بمعناها بعيدة عن معنى البطلان والباطل.

٤٧ ـ بدَن:

ورجل «بادن» سمين جسيم، والأنثى بادن وبادنة، والجمع بُدْن وبُدَّن، أنشد ثعلب:

فلا ترهَبي أن يقطع النأي بيننا ولما يُلَوِّحْ بُدْنَهُنّ شروبُ

وقال زهير:

غزَتْ سِماناً فآبَتْ ضُمّراً خُدُجاً من بعد ما جنّبوها بُدَّناً عُقُفا

وقد بدُنَت وبَدَنَت تبدُن بَدْناً وبُدناً وبداناً وبدانةً.

وبدَّن الرجل إذا أَسَنَّ.

أقول: ولم تعرف العربية المعاصرة من هذا كله إلا الصفة بدين وبدينة زنة «فعيل» و «فعيلة» ولم ترد في المطوّلات من المعاجم.

٤٨ ــ برجس:

«البِرجِسُ» والبِرجيس: نجم قيل هو المشتري.

و «البُرجاس»: غرض في الهواء يُرمَى به. قال الجوهري: وأظنه مولداً.

أقول: والذهاب إلى أنه مولّد يأتي من أن الكلم في العربية قلما يجتمع فيها جيم وسين في آخرها. ومن هنا لا بد أن يكون «البرجِس» من الدخيل.

٤٩ ــ برز:

البَراز، بالفتح، المكان الفضاء، من الأرض البعيد الواسع، وبَرَزَ، الإنسان، يبرُز إذا خرج البَراز، والبَراز الذي ليس فيه خَمَر من شجر ولا غيره.

وفي الحديث: كان إذا أراد البَراز أبعَدَ...

أقول: وقد انتقل «البَراز» إلى ما يخرج من الإنسان، وذلك لإقتران الأمر بالمكان ذي الخصوصية الخاصة. ومثله «الغائط» وهو المطمئن من الأرض الذي كانوا يقصدونه لقضاء الحاجة، فتحول من الشيء المعروف إلى ما يبرزه الإنسان ويطرحه، وهو «الخراء».

أقول أيضاً: ليس هذا بعيداً عن ضرب من المجاز الذي تدل فيه الكلمة على الملابس لها، وهو ما دعي بـ «القرينة» الحاليَّة كقوله تعالى: ﴿واسأل القرية التي كنا فيها﴾، والمراد أهل القرية، وكذلك خطاب الدار والربع في الشعر القديم، إذ المراد: أهل الدار، وأهل الربع، وهذا كثير.

٥٠ ــ برطم:

البرطام، بكسر الباء وضمها: الرجل الضخم الشفة.

والبَرطْمة: عبوس في انتفاخ وغيظ.

أقول: والبرطمة من الكلم العامي في عصرنا، وقلما نجدها في الفصيحة المعاصرة.

٥١ ــ برقش:

و «البرقش» طويئر من الحمَّر متلوِّن مثل العصفور، يسمّيه أهل الحجاز «الشُرْسور».

قال الأزهري: وسمعت صبيان الأعراب يسمّونه أبا بَراقِش..

وقالوا: إذا انتفش تغّير ألواناً شتّى، قال الأسدي:

إنْ يبخَلوا أو يجبنُوا أو يغدروا لا يجفِلوا
يغدوا عليك مُرجَّلين، وكأنهم لم يفعَلو
كأبي براقِشَ، كل لونٍ لونُه يتخيل

وقد وصف الشاعر قوماً مشهورين بالمقابح، ولا يحتفلون بمن رآهم على ذلك، وغدوّهم مرجَّلين دليل على أنهم لم يحفلوا. والترجيل قشْط الشعر وإرساله.

أقول: كأن الحسر عن الرأس وترجيل الشعر عُدّ مما يخرج به المرء عن الأدب فهو من المقابح. وأذكر أن هذا كان معروفاً لدى العراقيين فلم يكن مقبولاً أن يحسر الأنسان عن رأسه ويمشي مرجّلاً شعره، ومن أجل هذا كنا صبية نستر رؤوسنا إذا كنا خارج الدار.

٥٢ ــ برك:

و «البَروك» من النساء: التي تتزوج ولها ولد بالغ.

أقول: وهذا من الكلم الذي فينا حاجة إليه لخصوصيته.

٥٣ ـــ برم:

و «البريم» الحبل المفتول يكون فيه لونان، وربما شدته المرأة على وسطها وعضدها، وقد يعلق علي الصبيّ تدفع به العين. ومنه قيل للجيش بريم لألوان شعار القبائل فيه.

والبريم أيضاً: الماء الذي خالط غيره..

والبريم: القطيع من الغنم يكون فيه ضربان من الضأن والمعز...

أقول: وجملة هذه المعاني جاء من «الحبل» يفتل وفيها لونان، فأدى هذا إلى أن يتوسعوا فيطلقوا البريم على كل ما فيه لونان.

والبَرَم: الذي يدخل مع القوم في المسير...

أقول: ليس بعيداً هذا عن فكرة الخلط في الألوان، فكأنه يلحق بالمشاركين فيكون واحداً منهم.

و «البَرَم» مادة أُخرى فارسية معربة، وهي عَتَلة النجّار، وهي بتفخيم الباء. وهو «البريمة» من أدوات النجّار في عصرنا.

٥٤ ـ بزم:

و «البزيم» خوصة يُشدّ بها البقل.

الليث: البزيم وهو الوزيم حزمة من البقل، وقال:

وجاؤوا ثائرين فلم يؤوبوا   بِأُبْلُمَةٍ تُشَدُّ على بَزيمِ

أقول: والبزيم خوصة سعف النخل، وأما الأبلمة فخوصة المقل.

وقد تعجب من ثراء العربية وحذق أهلها في توليد الدلالات.

٥٥ ـ بسط:

و «البسيط»: الرجل المنبسط اللسان عن اللبث، والمرأة بسيط.

ورجل بسيط اليدين: منبسط بالمعروف، وبسيط الوجه: متهلّل، وجمعها بُسُط، قال الشاعر:

في قتيبةٍ بُسُط الأكُفِّ مَسامحٍ عند الفصال، قديُمهم لم يَدْثُر

أقول: ونفيد من قوله تعالى: ﴿لئن بسطت إليّ يدَك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك﴾.

وقوله تعالى: ﴿أذ همَّ قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكفَّ أيديهم﴾.

إن «بسط اليد» دليل على المعروف والسماح، ولكن هذا لم يتحصل في الآيتين بقرينة مانعة وهي إرادة القتل.

أقول: ومن هنا نجد سعة في تفسير «البسط» في عامية أهل العراق، وهو الضرب وإلحاق الأذى بمن يتجه إليهم الضرب.

٥٦ ــ بسل:

قال تعالى: ﴿أولئك الذين أُبسِلوا بما كسبوا﴾ أي أسلموا بجرائرهم.

وفي حديث عمر: مات أُسَيْد بن حُضَيْر وأبسِلَ ماله، أي أسلم بدينه واستغرقه وكان نخلاً، فردّه عمر وباع ثمره ثلاث سنين وقضى دينه.

أقول: ومن هنا كان «الإبسال» هو الهلاك أو الرمي للهلاك بما كسب صاحبه من جرائر. و «البْسل» نخل الشيء في المنخُل. والبسيلة ما يبقى من شراب القوم فيبيت في الإناء. أقول: ومثل هذا ما بقى لنا في عامية أهل العراق لبقايا الشراب وهو «بْساله» بسكون الباء. وقد يكون مثل هذا في المعنى في عاميتهم أيضاً «البثل» بكسر الباء والثاء.

٥٧ ــ بصر:

و «باصرته»: إذا أشرفتَ تنظر إليه من بعيد.. (الجوهري).

وتباصَرَ القوم: أبصر بعضهم بعضاً.

أقول: والذي في عامية أهل العراق: تباصر الرجل مع صاحبه، بمعنى تشاور.

والبصيرة: الفطنة، وتقول العرب: أعمى الله بصائره.

وتقول: فَعَلَ ذلك على بصيرةٍ، أي على معرفة من الأمر ويقين.

وقال تعالى: ﴿بل الأنسان على نفسه بصيرة﴾ أي على فطنة ويقين.

٥٨ ــ بصص:

و «البصيص» : البريق. وبصَّ الشيء يبصُّ وبصيصاً: بَرَقَ وتلألأ ولمع. أقول: لقد غام على المعاصرين معنى «البصيص» فذهبوا فيه إلى الضوء الطفيف الضعيف، وذلك في استعمالهم المجازي: بصيص من أمل. وكأن البصيص شيء غير البريق واللمعان.

٥٩ ــ بصم:

رجل ذو بُصْم: غليظ، وثوبٌ له بُصْم إذا كان كثيفاً كثير الغزل.

قال ابن الأعرابي: يقال ما فارقْتك شِبراً ولا فِتْراً ولا عَتباً ولا رَتَباً ولا بُصْماً.

قال: البُصْم مابين الخِنْصر والبِنْصر، والعَتَبُ مابين السبّابة والوُسطى، أو ما بين الوسطى والبنصر، والرَّتَب هو الفَوت بين الخنصر والبنصر كذا بين البِنصِر والوُسطى وأن تجعل أربع أصابعك مضمومة، والفِتْر ما بين السبّابة والإبهام، والشِبْر مابين الإبهام والخِنصِر، والفَوت ما بين كل إصبعين طولاً.

أقول: وهذ الضبط في تقدير مابين الأصابع يشير إلى إحكام العربية وفطنة أهلها وذهابهم إلى التقدير الدقيق.

٦٠ ــ بطر:

و «البَطَر»: النشاط، وقيل التبختُر، وقيل: قلة احتمال النعمة، وقيل: الدَهشُ والحَيْرة.

وقيل: البطر الطغيان في النعمة. وقيل الأثر وهو شدة المَرَح.

أقول: وهذا كله معروف مستعمل في العربية المعاصرة إلا الدهش والحيرة، ولم أجد لهذا المعنى شاهداً. وقال تعالى: ﴿وكم أهلكنا من قريةٍ بطِرَت معيشتها﴾ أراد بطِرت في معيشتها، فحذف وأوصل. ومن معاني «البطر» الشقّ ومنه جاء البَيْطر والبيطار، وهو من يعالج الدواب. وكأن في هذا إليماء إلى «البتر».

٦١ ـ بطرق:

و «البِطريق» بلغة أهل الشام والروم هو القائد، معرّب.

أقول: وهو «البَطْرَك» أيضاً، وكأنهم عربّوه على صيغتين.

قال الأصمعي في قول الراعي يصف ثوراً وحشياً:

يعلو الظواهر فرداً لا أليف له ... مشيَ البِطَرْك عليه رَيْط كَتّانِ

قال: «البِطْرك» هو البطريق...

أقول: وهذا من المعّرب القديم فقد ورد شيء من ذلك في شعر الجاهليين.

٦٢ ـ بطل:

و «بَطَل» الشيء يبطُلُ بُطْلاً وبُطلاناً ذَهَب ضياعاً وخسراً.

والباطل نقبض الحق. والأباطيل جمع أبطولة (أبو حاتم)، وقال ابن دريد: واحدتها إبطالة، أقول: والوصول إلى المفرد وهو أبطولة أو إبطالة استفيد قياساً ولم يؤثر في كلام استعمال المفرد بصيغته.

والتبطّل: فعل البطالة وهو اتباع اللهو والجهالة.

و «البَطَل» هو الشجاع.

وقالوا: إنما سُمِّي بَطلاً لأن الأشدّاء يبطلون عنده، وقيل: هو الذي تبطل عنده دماء الأقران فلا يدرك عنده ثأر من قوم أبطال.

وبطّال: بين البَطالة والبِطالة، وقد بَطُلَ بطولةً وبطالةً أي صار شجاعاً.

قلت: في مادة «بَدَل»: إنها أعطتنا كلمة «بطل» على البَدَل، ومن هنا كان القارىء مطالباً أن ينظر في «بدل».

أقول: إن المصدر «بطالة» ينصرف في العربية المعاصرة إلى الخلو عن العمل كأن يقال مثلاً: البطالة واضحة بين العمّال في هذه الحقبة.

وهذا المعنى بعيد عن «البطالة» المتصلة بالباطل، وهو اتباع اللهو والجهالة. ثم إننا لا نعرف «البَطالة» مصدراً بمعنى «البطولة» في العربية المعاصرة، ومن هنا نستطيع أن نقرر أن سبيل العربية المعاصرة هو الإيجاز والإقتصار على القليل من الأبنية. وبعد، فهذا شيء يسير من مجموع كثير سآتي عليه إن تيسَّر لي ذلك.

الفصل الثاني

مع المسيرة في رحاب العربية
في ظلال المعجم القديم

وقفت في المرحلة الأولى من هذه «المسيرة» عند مادة «بطل» فأثبتُ شيئاً منها مفيداً ومعلّقاً. وأعـود الآن فأتـابع الـرحلة مبتدئـاً بمادة «بـطن» فأقول:

٦٣ ــ بطن:

قالوا: البطن خلاف الظهر، والكلمـة من الإنسان وسـائر الحيـوان مذكر. وحكى أبو عبيدة أن تأنيثه لغة.

أقول: وهذا الذي حكاه أبو عبيدة من أن تأنيث «بطن» لغة، أي أنه قليل، هو المعروف الشائع في الألسن الدارجة، فيقال: مـرضْتْ بطنـه، وبطنه واسعة، وقد يخطىء المعربون في الفصيحة المعـاصرة فيستعملون «البطن» مؤنثاً. وإذا كان التأنيث، كما حكى أبو عبيدة، لغة، فإننا نجـد وجهاً لهذا الخطأ الشائع.

ويجمـع «البطن» على «أبـطُن» في القلة من الثلاثـة إلى العشـرة، و «بطون» لأكثر من ذلك. ويجمع «بطُنان» وليس من شاهد لهذا الجمع.

وقالوا في تصغير البطن: «بُطَين» وهذا يدل على أنه مذكر ليس غير.

ومن المفيد أن أشير إلى أن المعاصرين جروا على هذا التصغير في

المصطلح العلمي فقالوا: البُطَين الأيمن، والبُطَين الأيسر لتجويفَي القلب الأسفَلَين. وكأنهم قاسوا على هذا فقالوا للتجويفين المقابلين لهما من الجهة العليا: الأُذَين الأيمَن، والأُذَيْن الأيسر، وهما من تصغير «أُذُن».

وكأن أهل المصطلح قد جهلوا قاعدة التصغير التي يُرَدّ فيها اللفظ إلى أصله تذكيراً وتأنيثاً.

وهذا يعني أن تصغير الأُذُن «أُذَيْنَة» لأن «الأذن» مؤنث بخلاف البطن فإنها مذكّر.

ومن هنا قالوا «أذَينة» للعَلَم المذكر، ومن ذلك اسم الشاعر عروة بن أذينة، وغيره.

وقد تصرَّف المعربون في «البطن» أو قل اتَّسعَت العربية فيه، فكان منه «البِطْنة».

و«البِطْنة»: امتلاء البطن من الطعام، وهي الأَشَر من كثرة المال أيضاً.

أقول: كأنهم أدركوا ما هو حقيقة من «البطنة»، وما هو مجاز، على سبيل من الاتّساع.

وجاء الفعل «بطِنَ يَبْطَن بَطَناً»، وهو بطين، وكأن هذا مما اختص بالادواء والعيوب نحو الشلَلُ والعَرَج والصَمَم والعَمَى، والصَلَع ونحو ذلك.

ومن هنا كان «البَطَن» مما يلتحق بالأدواء، ، وصاحبه بطين، ومن هنا قالوا: ماتَ فلان بالبَطَن.

فإذا كان الفعل «بَطُنَ» «يَبْطُنُ»، والمصدر «بِطْنة» والنعت «بطين» فهو للأعراض، ومن هنا قالوا في صفة عليّ ـ عليه السلام ـ: البطين الأنزع، وهو العظيم البطن.

وجاء في المَثَل: «البِطنة تذهب الفطنة».

أقـول: وقد يـرد المثل في العـربية وتُشيعـه السجعة، ولـولا مكان التناسب من البطنة والفطنة لم يكن المثل، وذلك لأن المثل، وإن جاء في الغالب من تجربـة وممارسـة، إلا أن للتناسب في الألفـاظ أثراً فيـه كما في هـذا.

والبَطِن والمِبطان: الكثير الأكل العظيم البطن...

ونجد ما يقابل «المبطان» كلمة «المُبَـطّن»، وهذا الثـاني للخميص البطن.

أقول: يتأتّى من أنّ وزن «فعَّل» من الفعل قد ينصرف في طائفة من الأفعال إلى السَّلْب كقولهم: فزَّعَتْ الأُمُّ وَلَدَها، أي أزالتْ عنه الفزع، ومنه مرَّضَ الطبيب المريض، أي أزال عنه المرض، ولذلك اشتقوا «الممرِّض» في عصرنا لمن يقوم بالعلاج.

ومن اتساع العربية أخذهم «البطان» بكسر البـاء من البطن للحـزام الذي يلي البطن للبعير والدابّة.

ومن الأمثال التي تضرب للأمر إذا اشتدّ: «التَقَت حَلَقَتا البطان».

أقول: وبناء «فِعال» بكسر الفاء، في العربية ينصرف كثيراً للأدوات، ومنه الخِياط، والحِزامُ والقِناع واللثام، والسِّداد وغيرها، وكذلك بناء «فِعالة» كالعمامة والعصابة ونحوهما.

وينصرف «البطن» إلى ما هو باطن، وفي صفة القرآن: لكل آية ظهر وبطن.

والبطن دون القبيلة وفوق الفخذ.

والباطن من أسماء الله، قال تعالى: ﴿هو الأول والآخر، والـظاهر والباطن﴾.

وبِطانة الرجل: وَليجته. وباطنة الثوب خلاف ظِهارته.

٦٤ ــ بعث:

و «البَعَث»: القوم المبعوثون المُشخَصون، ويقال أيضاً: هم البَعْث، بسكون العين.

وجمع البَعْث: البُعوث، وجمع البعث: البُعُث. والبعيث هو المبعوث.

أقول: والبَعَث، بفتحتين هو المبعوث، ويكون واحداً وجمعاً.

٦٥ ــ بعج:

بَعَجَ بطنه بالسكّين، يبعَجُه بَعْجاً فهو بَعيج ومبعوج: شقّه...

أقول: وهذا مما بقي في الألسن الدارجة في عصرنا، وقلّ استعماله في الفصيحة المعاصرة.

٦٦ ــ بعد:

و «البُعد»: الهلاك، قال تعالى: ﴿ألا بُعْداً لمدين كما بَعِدَت ثمود﴾، وقال مالك بن الريب:

يقولون لا تَبْعَدْ وهم يدفنونني وأين مكان البُعد إلّا مكانيا

أقول: والفعل «بَعُدَ» مثل كَرُم، يفيد البُعد على الحقيقة، فأما الفعل «بَعِدَ» مثل «فَرِح» فيفيد الهلاك، وهو على المجاز.

٦٧ ــ بعل:

قالوا: «البَعْل»: الأرض المرتفعة التي لا يصيبها المطر إلّا مرةً واحدة في السنة، ولا يصيبها سَيْح ولا سيل.

والبعل كل شجر أو زرع لا يُسقى. وقيل: البعل والعَذْي واحد، وهو ما سقته السماء.

وقد استَبْعَلَ الموضع.

والبَعْل من النخل: ما شرب بعروقه من غير سقي ولا ماء سماء. وقيل: ما اكتفى بماء السماء، وبه فسّر ابن دريد ما في كتاب النبيّ ﷺ لأُكَيدِر بن عبدالملك: لكم الضامنة من النخل، ولنا الضاحية من البَعْل. والضامنة ما أطاف به سور المدينة، والضاحية ما كان خارجاً، أي التي خرجت من العمارة من هذا النخيل.

أقول: والبَعْل في لغة الفلاحين في عصرنا هو الشجر والزرع المعتمد على المَطَر.

والكلمة من الكلم القديم الذي ورثته العربية من اللغات القديمة التي دُعيت «سامية»، فقد عُرف «البعل» إله المطر في اللغة الكنعانية، وهو سيد المطر. ومن هنا جاءت دلالة «سيّد» في هذه الكلمة القديمة، فكان «البعل» الزوج في العربية كما ورد في قوله تعالى: ﴿وهذا بعلي شيخاً﴾.

وجمع «البَعْل» على «بعول» و «بعولة» نظير سَهْل وحَزْن وخيط فتجمع هذه على سهول وحزون وخيوط كما تجمع على سهولة وحُزونة وخيوطة.

وقد يتفق في بناء «فُعولة» دلالة الجمع والمصدر كما في «سهولة»، وكذلك «فحولة»، وهذه خالصة للجمع في كتاب الأصمعي «فحُولة الشعراء».

ودلالة «بَعْل» على صَنَم بعينه مما تشير إليه الآية الكريمة: ﴿أتدَعون بَعْلاً وتذَرون أحسَن الخالقين﴾.

قال كراع: هو صنم لقوم يونس. وفي «الصحاح»: البعل صنم كان لقوم إلياس ـ عليه السلام ـ وقال الأزهري: قيل: إن بعلاً كان صنماً من ذهب يعبدونه.

٦٨ ـ بغي:

بَغَى الشيء ما كان خيراً أو شرّاً يبغيه بُغاءً وبُغىً، الأخيرة عن اللحياني، والأول أعرف: طَلَبه وأنشد غيره.

فلا أحبِسَنْكُم عن بُغَى الخير، إنّني سَقَطْتُ على ضِرغامةٍ، وهو آكلي

وبَغَى ضالَّته، وكذلك كل طَلِبة، بُغاةً، بالضم والمدّ، وبُغاية. . .

وفي حديث سُراقة والهجرة: انطلقوا بُغياناً أي ناشدين وطالبين، جمع باغٍ كراعٍ ورُعيان.

وبغاه وابتغاه، واستبغاه، كل ذلك: طَلَبه.

والاسم: البُغية والبِغية. ويقال: بَغَيت الأمرَ من مَبْغاته كما تقول: أتيت الأمرَ من مَأْتاتِه.

ويقال: أَبغني شيئاً أي أعطني، وأَبغِ لِي شيئاً.

والبَغِيَة: الضالّة المبغيّة، والباغي الذي يطلب الشيء الضال.

ويقال: ابغِنِي، بهمزة الوصل، أي اطلب لي. وأَبغِني، بهمزة القطع أي أَعِنّي على الطلب.

وفي حديث أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ: أنه خَرَجَ في بُغاء إبل.

والبِغية في الولد نقيض الرِّشْدة. وبَغَت الأَمَة تبغي بَغياً، وباغَت مباغاةً وبِغاءً، بالكسر، والمدّ، وهي بَغِيّ وَبَغوٌّ: مَهَرَت وَزَنَتْ.

والبِغاء مصدر بَغَتْ وباغَتْ، وهي بَغِيّ، ولا يقال بغيّة، قال تعالى: ﴿وما كانت أُمكِ بغيّاً﴾، أي فاجرة، وقال تعالى: ﴿ولا تُكرهوا فتياتكم على البِغاء﴾.

أقول: وقد فُرِّقَ في المصدر فكان البُغاء والبُغَى في الطلب، والبِغاء

في الفجور، والبَغي في التعدّي، وبغى الرجل علينا بَغياً. قال تعالى: ﴿قل إنما حرَّمَ ربّي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثمَ والبَغيَ بغير الحق﴾.

والباغي هو الطالب اسم فاعل من بَغَى، ولكنه غلب على طالب البغي، وجمعه بُغاة، قال تعالى: ﴿فمن اضطُرَّ غير باغٍ ولا عادٍ﴾.

قال ﷺ لعَمّار: «ويحَ ابن سُمَيّة تقتله الفئة الباغية» وهي الفئة الظالمة.

وقالوا: ينبغي لك أن تفعل هذا، ولم يسمع انبَغَى إلا عن اللحيانيّ.

وهو مطاوع بغَى، تقول: بغيتُه فانْبَغَى، قال تعالى: ﴿لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر﴾ أي يُراد لها.

أقول: وقد شاع في العربية المعاصرة استعمال «ينبغي» وتضمَّنت معنى يجب، فكما يقال: يجب عليكَ أن تفعل شيئاً، يقال: ينبغي عليك أن تفعل شيئاً، ولولا هذا التضمين لم يصل الفعل إلى مدخوله بـ «عَلَى». والوجه الصحيح أن يصل الفعل إلى مدخوله باللام كما ورد في الآية: ﴿لا الشمس ينبغي لها...﴾.

٦٩ ــ بقر:

البَقْر: الشقّ والفتح والتوسعة. ومنه قيل لمحمد بن علي بن الحسين «الباقر» لأنه بقَر العلم وعرف أصله واستنبط فرعه.

ومنه أُخِذ «البقيرة» أو «البقير»، وهو بُرْد يُشَقّ فيُلْبَس بلا كُمَّين ولا جيب، وقيل: هو الإتْب، تلبسه النساء.

و «البُقَّيْرَى»: لعبة للصبيان، وهي كومة من تراب وحولها خطوط، وبَقَرَ الصبيان: لعبوا البُقَّيْرَى، يأتون إلى موضع قد خُبِّىء لهم فيه شيء فيضربون بأيديهم بلا حَفر يطلبونه، قال طفيل الغنويّ يصف فَرَساً:

أَبَنَّتْ فما تنفكُّ حول متالع لها مثلُ آثار المُبَقِّر ملعَبُ

قال ابن برّي: قال الجوهري: في هذا البيت يصف فرساً، وقوله ذلك سهو وإنما هو يصف خيلاً تلعب في هذا الموضع (مَتالع).

٧٠ ـ بقق:

البقُّ: البعوض، واحدته بَقَّة. وأنشد ابن بَرّيّ لعبدالرحمن بن الحكم، وقيل لزُفَر بن الحارث:

ألا إنّما قيس بن عيلان بَقّةٌ إذا وَجَدت ريحَ العصير تَغَنَّتِ

وبقَّ المكان وأَبَقّ: كثُر بَقُّه، وأرض مُبَقّة كثيرة البقّ.

أقول: والبَقّ في العربية المعاصرة قريب من العامية الدارجة، ويُستعاض عنها بـ «البعوض» و «الناموس».

٧١ ـ بقل:

«البَقْل»: من النبات ما ليس بشجر، وحقيقة رسمه أنه ما لم تبق له أرومة على الشتاء بعدما يُرعَى.

والمَبْقَلة: موضع البقل.

وأبقل النبت وبَقَلَ: طَلَعَ. وبَقَل وجهُ الغلام إذا بدا أول لحيته.

والبَقْل والجمع البقول في العربية المعاصرة ما يُطلَق على الخضراوات.

٧٢ ـ بكر:

نارٌ «بِكْر»: لم تقبَس من نار، وحاجه «بِكر»: طُلِبَت حديثاً.

وأنا آتيك العشيّة فأبكِّر، أي أعجِّل ذلك.

أقول: والأصل البُكرة بمعنى الغدوة، وهي تقابل العَشيّ كما في قوله تعالى: ﴿بالعشيّ والأبكار﴾.

والبكور والتبكير: الخروج في ذلك الوقت. والإبكار: الدخول في ذلك الوقت.

والباكور من كل شيء: المعجِّل المجيء والإدراك، ومؤنّثه الباكورة، وباكورة الثمر منه، أي أول الفاكهة. وابتكر الرجل الشيء إذا استولى على باكورته.

و «البِكـر»: أول ولد الـرجل، غـلاماً كـان أو جاريـة، والبِكْر من النساء: التي لم يقربها رجل، ومن الرجال: الذي لم يقرب امرأة بعد.

أقول: وقد تـوسع المعـاصرون في الفعـل «ابتَكَرر» فجعلوه بمعنى اخترع وجاء بجديد.

٧٣ ـ بكم:

«البَكم»: الخَرَس مع عِيّ وبَلَه، وقيل: هو الخَرَس ما كان.

وقال ثعلب: البَكَم أن يولد الإنسان لا ينطق ولا يسمع ولا يُبصر.

أقول: وليس قول ثعلب بشيء يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾.

والصواب: هو من ولد أخرَس، فأما ما قيل من العِيّ والبَلَه فزيادة ألحقها المعربون.

٧٤ ـ بلت:

البَلْت: الفطع...

وبَلَتَ الرجل يبلُت، وبَلِتَ، بالكسر، وأبلَتَ: انقطع من الكلام فلم يتكلّم.

قال أهل اللغة: إنه مقلوب «بَتَلَ».

٧٥ ــ بلح:

وفي الحديث: «لا يزال المؤمن مُعنِقاً صالحاً ما لم يُصب دماً حراماً، فإذا أصاب دماً حراماً «بلَّحَ» أي أعيا.

ومنه الحديث في الذي يدخل الجنّة آخر الناس، يقال له: «اعْدُ ما بلَغَت قدماك، فيعدو حتى إذا ما «بَلّحَ».

٧٦ ــ بله:

«البَلَهُ»: الغفلة عن الشر، والأَبْلَهُ: الذي غلب عليه سلامة الصدر وحسن الظنّ بالناس لأنهم أمر دنياهم فجهلوا حِذق التصرّف فيها وأقبلوا على آخرتهم، وهذا هو المراد في الحديث: «أكثر أهل الجنّة البُلْه».

وقد يكون «الأبله» مَن لا عقل له، وهو غير مقصود في «الحديث» المذكور.

والفعل: بَلِهَ مثل فَرِحَ.

أقول: أما جمع المعاصرين للأبلَه على «بُلَهاء» فمن الخطأ الشائع، لأن وزن «فُعَلاء» يكون واحده «فَعيل» غالباً، و «فاعل» على قلّة نحو أديب وشاعر.

٧٧ ــ بند:

«البَنْدُ»: العلم الكبير، فارسي معرّب، وجمعه بنود.

وفي المحكم: من أعلام الروم ويكون للقائد.

أقول: لقد اضطرب أهل اللغة في مادة «المعرّب» فلم يتّفقوا على أصول كثير من المعرَّبات. وقد كانوا أقرب إلى العلم في ردّ المعرب إلى الأصل الفارسي، فأما غيره مما كان من الهندية أو الرومية (الإغريقية) أو اللغات التي دُعيت «سامية» كالعبرانية والآرامية والبابلية وغيرها فلم يكونوا

علـى ثقـة فيمـا حسبـوه أصـلاً لمعرَّباتهـم مـن هـذه اللغـات.

ثم إن «البند» مادة حديثة في العربية المعاصرة، وهو القِسم أو نحو ذلك فيقال مثلاً: يتألف هذا الفصل من الكتاب من أربعة بنود، ويقال أيضاً في لغة أهل القانون: البند الرابع من قانون المعاملات، أو نحو ذلك.

وهذه الدلالة جديدة عربية معاصرة.

٧٨ ـ بنك:

«البُنْك»: الأصل، أصل الشيء، وقيل: خالصه.

وقال الليث: تقول العرب كلمة كأنّها دخيل، تقول: ردَّه إلى بَنْكه الخبيث، تريد به أصله.

قال الأزهري: البُنْك بالفارسية الأصل.

٧٩ ـ بنو:

أقول: هذا أصل قديم تصرّف به المعربون منذ أقدم الأزمنة فكان من ذلك ثروة لغوية وافية.

والأصل كما أرى هو «ابن»، والألف فيه هـو همزة الـوصل، وقـد رسمت ألفاً. ولا بد من معرفة أن هذه الألف قد جيء بها لتحقيق النطق بالباء الساكنة، ولتجاوز البناء الثنائي وهو «بن».

وهذا يعني أن الثنائي «بن» هو الأصل، ويدل عليه الجمع القديم[١] «بنون» و «بنين». على أن العربية في تصرفها بالكلم كان لا بد أن تحتال على ما ورد فيها من ثنائيات قديمة فجرت على تحويلها إلى كلمات ثلاثية بزيادة صوت إما في أولها وإما في آخرها.

---

(١) أما الجمع «أبناء» فهو جمع حادث بعد النظر إلى أن «بن» قد أصبح ثلاثياً بزيادة ألف همزة الوصل في أوله، فجمع على «أفعال» نظير: اسم وفِعل وغيرهما.

وهكذا انساق المعربون إلى عدّ ابن واسم وغيرهما كلمات ثلاثية فكان الجمع أبناء وأسماء، وكان النسب إلى «ابن« بالرجوع إلى الأصل الثنائي فكُسع بالواو فقيل: «بَنويّ».

ومن هنا جعلوا «ابن» ثلاثياً حذف صوته الثالث وهو الواو، وأغفلوا النظر إلى الألف الزائدة لهمزة الوصل.

وقالوا: «بُنُوّة» مصدراً لفعل تخيّلوه منتهياً بالواو، وهو بناء «فُعُولة» مثل «صعوبة» و «سهولة». و «بُنُوّة» أيضاً جمع «ابن» بالنظر إلى الثالث المحذوف مثل: «أُبوَّة» و «أُخوَّة» و «عمومة» و «خؤولة» و «حُزونة» و «سهولة» و «خيوطة» وهذه جموع: «أب» و «أخ» و «عَمّ» و «خال»، و «حَزْن» و «سَهْل» وخيط.

وفي هذا البناء يتفق المصدر والجمع ولا سيما في الأُبُوّة والأُخُوّة والعمومة والخؤولة. إن المعربين في عصرنا يستعملون هذه الألفاظ على أنها مصادر.

ولمكان «الابن» في الأسرة وبنائها ذُهِبَ من هذه الكلمة إلى الفعل «بَنَى» فكان «البناء». وكأن العربية أفادت من الواو التي كُسِعَ بها الثنائي «بن» للوصول إلى مواد لغوية عرضنا لها، كما أفادت من الياء التي كُسِعَ بها هذا الثنائي فكان بناء الفعل «بَنَى يبني».

ثم جاء المعاصرون فاستعملوا كثيراً الفعل «تَبَنَّى» للوصول إلى فائدة تتصل بنظام الأسرة، وقولهم: تَبَنَّى ولداً أي اتخذه لنفسه ولداً، وهو ليس منه ولم يكن المُتَّخذ هذا أباً أو أمّاً في الحقيقة. وتجاوزوا الحقيقة فقالوا: تَبَنَّى الفكرة أو الرأي، بمعنى جعله له واختص به.

٨٠ ــ **بهت**:

و «بَهَتَ» الرجلَ يبهَته بَهْتاً وبَهَتاً وبُهتاناً فهو بهّات، أي قال عليه ما لم يفعله، فهو مبهوت.

وبَهَتَـه بَهْتاً: أخـذه بغتةً. وفي التنـزيل العـزيز: ﴿بـل تأتيهم بَغْتـةً فتَبْهَتُهُم﴾.

و« البهتـان»: افتـراء، وفي التنـزيـل العـزيـز: ﴿ولا يـأتين ببُهتـان يفترينه﴾.

و «البُهْت والبَهيتة»: الكذب.

وبَهَتُّ الرجل أبهَتُه بَهتاً إذا قابلته بالكذب، قال تعالى: ﴿أتأخذونه بُهتاناً وإثماً مبيناً﴾.

وقد بَهُتَ وَبَهِتَ الخصم، أي استولَت عليـه الحُجّة، وفي التنـزيل العزيز: ﴿فبُهِتَ الذي كفر﴾.

أقول: وبناء «بُهِتَ» للمجهول هو المعـروف المستعمل في العـربية المعاصرة، وليس الفعل «بَهَت» بمعنى افترى وكذب شائعاً فيها، وربما ورد في الألسن الدارجة.

على أن المصدر «البهتان» بمعنى الكذب والافتراء والباطل مـا زال معروفاً دون فعله.

٨١ ــ **بهر**:

ومن هذا «البُهْر» وهو تتابع النفس من الإعياء، بَهَره الحِمْل يبهَرُه أي أوقَعَ عليه البُهْر فانبَهَرَ.

وبُهِرَ الرجل إذا عَدَا حتى غَلَبَهُ البُهْر، فهو مبهور وبَهير، والبُهْر الرَّبْو.

أقول: وهذه الكلمة قد تقدّم فائدة لأصحاب المصطلح الطبّي.

٨٢ ـ بهرج:

«البَهْرَج»: هو الشيء المباح، يقال: بَهْرَج دمَه.

ودِرهَمٌ بَهْرَج، أي رديء، وهو أيضاً الذي فضّته رديئة.

وقالوا: هو معرَّب «نَبهره»، فارسي.

والبَهْرَج: الباطل، من معنى الدرهم المُبطَل السِّكّة.

أقول: ولنا في العربية جملة كلمات أصولها فارسية تنتهي بحرف مفتوح تليه هاء لا تنطق، فكان سبيل العرب في إعرابها ختمها بالجيم، ومن ذلك: ساذَج ومالَج، وبابونَج، وطازَج وفالَج، ونيلَج وبرنامَج.

ومن الملاحظ أن العرب فتحوا ما قبل الجيم في إعرابها.

وأقول أيضاً: إن «البَهرَج» في شيء من العربية المعاصرة لا يعني إلا الزائف وإلا الزخرف الذي لا يُلمح إلى أصالة.

٨٣ ـ بوء:

باءَ يبوء بَوْءاً: رجع، قال تعالى: ﴿وباءوا بغضب من الله﴾.

والباءة والباء: النكاح.

قال أهل اللغة في «الباءة» لأن الرجل يَتَبَوّأ من أهله أي يستمكن كما يَتبوّأ من داره.

جاء في الحديث: «من استطاع منكم الباءة فليتزوّج، ومن لم يستطع، فعليه بالصوم فإنه وِجاء».

أراد بـ «الباءة» النكاح والتزويج. ويقال: الجماع نفسه باءة.

أقول: والباءة غير بعيدة عن «البَوء» بمعنى الرجوع أي أن المتزوج يبوء إلى داره وأهله.

و «البَواء»: السواء، وفلان بَواء فلان، أي كفؤه إن قُتِل به.

والبَواء: التكافؤ، يقال: ما فلان ببَواءٍ لفلان، أي ما هو بكفء.

وتباوَأَ القتيلان: تعادلا. وفي الحديث: «الجراحات بَواء» يعنى أنها متساوية في القصاص، وأنه لا يقتص للمجروح إلا من جارحه الجاني، ولا يؤخذ إلاّ مثل جراحته سواء وما يساويها في الجرح.

والمباءة: معطِنَ الإبل في الأصل، وهي منزل القوم في كل موضع.

والبيئة والباءة والمباءة: المنزل.

أقول: هذا هو أصل البيئة، ولكن الكلمة حظيت باستعمال المعاصرين بدلالة واسعة تتجاوز المنزل إلى ما يُدعَى لديهم «المحيط».

ثم إن «المباءة» قد انصرف المعربون فيها في الأغلب الأعم إلى ما هو دون، فقالوا: مباءة الرذيلة، وقالوا: المحلات العامة مباءة للأمراض.

وليس هذا التحديد في الدلالة معروفاً في استعمالها في العربية القديمة.

٨٤ ــ بوب:

الباب مذكر، والفعل منه التبويب، والجمع أبواب وبيبان. فأما قول القُلاخ بن حُبابة، وقيل لابن مقبل:

هَتّاكُ أخبيةٍ، وَلاّجُ أبوبةٍ يَخْلِطُ بِالبِرِّ منه الجِدَّ واللينا

فإنما قال أبوبة للازدواج والتناسب لمكان أخبية. قال: ولو أفرده لم يجز.
وزَعَم ابن الأعرابيّ واللحيانيّ أن أبوبة جمع باب من غير أن يكون إتباعاً.

والبوّاب: الحاجب، وفعلُه البِوابة بإظهار الواو ولا تقلب ياءً إذا أريد هذا الاشتقاق.

والباب والبابة في الحدود والحساب ونحوه: الغاية.

والبابة: الوجه. والبابيّة: الأعجوبة، قال النابغة الجعديّ:

ولكنّ بـابيّـةً فـاعجَبـوا   وعيـد قُشيـر وأقـوالُـهـا

أقول: والبابة في لغة أهل التجارة الصنف من البضاعة.

ومن الغريب أن «الباب» مؤنث في قسم من الألسن الدارجة.

٨٥ ــ بور:

البَوار: الهلاك، وبار الرجل بَواراً، وأبارهم الله. ورجل بُور، وكذلك الاثنان والجمع والمؤنث، وفي التنزيل: ﴿وكنتم قوماً بُوراً﴾، وقد يكون «بُور» هنا جمع بائر مثل حُول وحائل.

وحكى الأخفش عن بعضهم أنه لغة وليس بجمع لبائر، كما يقال: أنت بشر وأنتم بشر.

والبائر: الهالك، والبائر المجرِّب، والبائر الكاسد، وسوق بائرة، أي كاسدة، والبَوار: الكساد.

والبُور: الأرض التي لم تزرع، والمعامي المجهولة والأغفال ونحوها.

أقول: والبُور بهذا المعنى كثير في عامية أهل العراق قليل في الفصيحة المعاصرة.

والبوريّ والبوريّة والبورياء والباريّ والباريّة والبارياء: فارسيّ معرب، وهو الحصير المنسوج.

وفي «الصحاح»: التي من القصب.

أقول: و «البارية» هي كذلك من القصب ما زالت معروفة في عامية العراقيين، وليس شيء منها في الفصيحة المعاصرة.

٨٦ ــ بوش:

البوش: الجماعة الكثيرة، لا يكونون إلا من قبائل شتى، وقيل: الجماعة من الناس المختلطين.

أقول: كأنها مقلوب «وبش» التي لم يأتِ منها إلا الجمع أوباش. وإذا نظرنا هذا وصلنا إلى «الأوشاب» ثم إلى «الشوب»، وكل هذا يدل على ما هو مختلط.

٨٧ ــ بوع:

الباع والبَوْع والبُوع: مسافة ما بين الكفَّين إذا بسطتهما.

وقالوا: الباع: السعة في المكارم، وطويل الباع دلّ على الكرم والشرف.

أقول: وهذا على الاتساع مجازاً وليس من الحقيقة.

٨٨ ــ بيت:

والبيت معروف والفعل بات. . . .

أقول: ومنه هذا الفعل وغيره نحو بيَّت، وبيَّت الأمر: عمله ليلاً أو دبَّره.

وماء بَيّوت: بات فبَرَدَ.

أقول: و«البيّوت» مما بقي في الألسن الدارجة للماء يبيت فيبرُد. وهو في هذه الألسن «بيّوتي».

٨٩ ــ بين:

البَيْن في كلام العرب جاء على وَجْهين: يكون الفُرقة، ويكون الوصل. . .

أقول: والبين لا بد أن يكون وثيق الصلة بـ «بين» الظرف، وهو الأصل كما أرى، ودلالته على الفُرقة معروفة، وهو في الوقت نفسه من حيث كونه يفصل بين شيئين، يصل بينهما، ومن هنا نصل إلى دلالة الضدّية.

حــرف التــاء

٩٠ ــ تأم:

«التَوْأم» من جميع الحيوان: المولود مع غيره في بطن من الاثنين إلى ما زاد، ذكراً كان أو أنثى.

والجمع تُؤام وتَوائم، والولدان تَوْأمان، وهي تَوْأمَة.

وأتأمَتَ المرأة، وهي مُتئِم إذا ولدت اثنين في بطنٍ واحد.

أقول: «التوأم» في العامية الدارجة يدل على الاثنين وُلدا في بطن واحد، وربما سَرَى هذا الخطأ في الفصيحة المعاصرة.

٩١ ــ تبب:

«التَّبُّ»: الخَسَار والهلاك، وكذلك التبـاب. وتبّاً لـه على الدعـاء، وقوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يدا أبي لهب﴾ على الدعاء أيضاً.

٩٢ ــ تحف:

«التُّحْفة»: الطُّرفة من الفاكهة وغيرها من الرياحين. وما أتحفتَ به الرجل من البِرّ واللُّطْف والنَّغَص.

وقال صاحب «العين»: تاؤه مبدلة من واو، وقالوا: أصل التُحفة وحُفة مثل التُهَمة وكذلك التُخمَة، ورجل تُكَلة.

أقول: والتحفة في عصرنا غير هذا فهي كـل شيء نفيس وكذلـك العتيق القديم فما يستخـرج من الآثار المـدفونـة في الأرض وغيرهـا من

حاجات وتماثيل ونقوش وغيرها كلها تُحَف، وكذلك من الآثار الشاخصة فوق الأرض.

وقد ولّد المعاصرون «المُتحف» بضم الميم وكأنهم أخذوه من الفعل «أتحَفَ»، والذي أراه أن «التحفة» قبل الفعل «أُتحف»، وقد صير إلى الفعل من الاسم، وهو أقدم وأشهر، ولذلك كان يجب أن يقال «متحف» بفتح الميم كما كنا ننطق هذه الكلمة قبل ثلاثين سنة.

٩٣ ــ تخم:

«التُخوم»: الفصل بين الأرَضين من الحدود والمعالم، قال أُحَيحة بن الجُلاح، ويقال هو لأبي قيس بن الأسلت:

يا بَنيّ التخوم لا تَظلموها إنّ ظُلمَ التُخوم ذو عُقّالِ

والواحد تَخْم وقيل أيضاً: تُخْم.

وقالوا: هي شامية.

أقول: وكأنهم أرادوا أن يقولوا إنها معرّبة.

أقول أيضاً: وكأنها تُلمح إلى الكلمة العبرانية «تْهُوم» التي وردت في أول سفر التكوين.

ولعلّي أقرِّب بين هذه الكلمة العبرانية وكلمة «تهم» التي جاء منها «تِهامة» السهل الفسيح المحاذي للبحر الأحمر في اليمن.

٩٤ ــ ترب:

«وتَرِبَ» الشيء: أصابه التراب فهو تَرِب، وتَرِب الرجل: لصق بالتراب من الفقر فهو تَرِب أيضاً.

وأترَب الرجل: استَغْنَى وكثر ماله، وقيل: أترَبَ: قلّ ماله.

قال اللحياني، قال بعضهم: التَّرِبُ هو المحتاج، وكله من التراب،

والمُترِب: الغنيّ إما على السلب، وإما على أن ماله مثل التراب كثرةً.

والمَترُبة: المسكَنة والفاقة.

وفي حديث خزيمة: أنعِم صباحاً تَرِبَت يداكَ. وهو دعاء أريد به استَغْنَت يداكَ.

و «التِّرْب»: اللِدَة والسنّ، يقال: هذه تِرْب هذه أي لِدَتها، وأكثر ما يكون في المؤنث.

وقال تعالى: ﴿عُرُباً أتراباً﴾ وفسّره ثعلب فقال: الأتراب هنا الأمثال، وهذا حسن إذ ليست هناك ولادة.

أقول: وليس شيء من هذه المادة في العربية المعاصرة، على حاجتنا إلى ما هو تِرْب في حياتنا الحاضرة.

٩٥ ــ ترح:

«التَّرَح»: نقيض الفَرَح.

أقول: وهذه الكلمة لا ترد في عربية العصر إلاّ إتباعاً للفَرَح، فيقال مثلاً: يحدث هذا في الفَرَح والتَرَح.

٩٦ ــ ترع:

و «تَرِعَ» الشيء، بالكسر، يترَعُ تَرَعاً، وهو تَرِعٌ وَتَرَعٌ: امتَلأ. وحوض تَرَع، ومُترَع.

وقيل: لا يقال: تَرِع الإناء، ولكن أُترِعَ.

والتُّرعة: الدرجة، وقيل الروضة على المكان المرتفع خاصة، وقيل: الترعة المتن المرتفع من الأرض.

وفي الحديث: «إن منبري هذا على ترعةٍ من تُرَعِ الجنّة» قيل فيه: الترعة هي الباب.

وفيه أيضاً: «إنّ قَدَمَيّ على تُرعةٍ من تُرَع الحوض» قال أبو عمرو: الترعة مقام الشاربة من الحوض.

وفي «الصحاح»: الترعة أفواه الجداول. والترعة مسيل الماء إلى الروضة.

أقول: وبعد هذه المسيرة القصيرة انتهينا إلى أنها شبه ساقية إلى الروضة. إلاّ أن هذه الكلمة انصرفت في عربيتنا المعاصرة إلى الجدول الصغير يخرج من مجرى النهر يستقي منه أهل حيّ أو أهل زرع.

٩٧ ــ ترف:

«الترف»: التنعُّم، والتُّرْفة: النعمة، والتتريف: حسن الغذاء. والمُترَف: الذي أبطرَتْه النعمة وسَعَة العيش.

وقوله تعالى: ﴿إلاّ قال مُترفوها﴾، أراد رؤساءها وقادة الشرّ منها.

أقول: وكأنّ «الترف» ارتبط بما تفضي السعة والنعمة الزائدة إلى الشرّ.

٩٨ ــ ترك:

«التريكة»: التي تترك فلا تتزوّج، قال اللحياني: ولا يقال ذلك للذكر.

وتَرِكَ الرجل إذا تزوّج بالتريكة وهي العانس في بيت أبويها.

والتريكة: الروضة التي يغفلها الناس فلا يرعونَها.

والتريكة: المرتَع الذي كان الناس رَعَوه إما في فلاة وإما في جبل، فأكله المال حتى أبقَى منه بقايا من عُوَّذ.

والتريكة: هي بيض النعام، وهي التَّرْكة أيضاً، وجمعها التَّرْك.

والتريك، بغير هاء: العنقود إذا أُكل ما عليه...

أقول: هذه المعاني للتريكة شيء قصدت إليه لأنبّه الدارس إلى أن التريكة والتريك هما فعيلة وفعيل بمعنى مفعول، فهي المتروكة. ومن هنا نعرف أن الحقيقة ذهب بها توسعاً إلى المجاز فأضيفت إلى الدلالة الحقيقية. ولم يُشر أصحاب المعاجم إلى هذا الضرب من الاتساع في هذه الكلمة.

٩٩ ــ ترن:

«تُرْنَى»: المرأة الفاجرة، وقد قيل: إنها تُفْعَل من الرُنوّ.

وابن تُرنَى وابن فَرْتَنى هما وَلَد البغيّ.

قال أبو منصور: يحتمل أن يكون تُرنَى مأخوذاً من «رُنِيَت تُرْنَى» إذا أُديم النظر إليها.

أقول: وأنا ألمح هذا قبل أن أقف على قول أبي منصور، وأتأمل سعة العربية وطرائقها في الوصول إلى الدلالة القريبة والبعيدة.

١٠٠ ــ تعر:

قالوا: جُرح تَعّار وتَغّار، بالعين والغين، إذا كان يسيل منه الدم، وقيل: جُرحٌ نَعّار، بالعين والغين.

قال الأزهري: وسمعت غير واحد من أهل العربية بهَراة يزعم أن تغّار بالغين المعجمة تصحيف، قال: وقرأت في كتاب أبي عمر الزاهد عن ابن الأعرابي أنه قال: جُرح تعّار، بالعين والتاء، وتغّار؛ بالغين والتاء، ونَعّار بالنون والعين بمعنى واحد، وهو الذي لا يَرْقَأ، فجعلها كلها لغات وصححها.

أقول: وأنا أذهب إلى أن الأصل هو بالنون نَعّار ونَغّار وإن قولهم

بالتاء والعين والغين فتصحيف، وقد يكون لي أن أذهب إلى هذا لأن الفعل وأوله نون قد ورد في كلامهم، وما زال معروفاً في الألسن الدارجة، وأما ما زعم أن أوّله تاء فلم يرد. وقد تقول، وهل تمَّ لك استقراء كلام العرب لتذهب إلى هذا، والجواب: إن دلالة الفعل مهمة، وحيز ورود الجرح في حياة العرب واسع، فكان لا بد أن يرد في حروبهم ومعاركهم شيء من هذا.

وقد يقوّي ما ذهبت إليه من أن الفعل تَغَرَ في الجراح ويرد بالعين تَعَرَ قد ورد في القِدْر فقالوا: تَغَرَت القدر بالتاء والغين، فقال الأزهري: هذا تصحيف والصواب: نَغَرت بالنون.

١٠١ ــ تعس:

«التَّعْس»: العَثْر. والتَّعْس: أن لا ينتعش العاثر من عَثرته.

وقال الزجّاج: التَّعْس: الانحطاط والعثور ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿فتَعْساً لهم وأضَلَّ أعمالهم﴾.

وتَعِس يتعَس تَعْساً، والتَّعْس: الهلاك.

وفي الدعاء: تَعْساً له، أي ألزمه الله هلاكاً، وتَعِسَه الله وأتعَسَه (فَعَلتُ وأفعَلتُ بمعنى واحد).

أقول: وتصرّف المعاصرون فولّدوا مصدر هو «التعاسة» لتدلّ على الفقر، وهذا جديد شائع في الفصيحة المعاصرة.

١٠٢ ــ تفف:

قالوا: التُّفّ وسخ الأظفار، أي بين الظُّفُر والأَنْمُلة. والأُفّ: وسخ الأذن.

١٠٣ ــ تفل:

تَفَلَ يتفُل تَفْلاً: بَصَقَ، والتُّفْل والتُفال: البُصاق.

أقول: ولم يبق هذا إلا في الألسن الدارجة واستُعيض عنه بالبُصاق.

١٠٤ ــ تقن:

وأتقَنَ الشيءَ: أحكَمَه، وإتقانه: إحكامه.

ورجل تِقْن وتَقِن: متقِن للأشياء، حاذق...

أقول: وأفاد المعاصرون من هذا فولّدوا «التقنية» وأرادوا بها ما يقابل «التكنولوجيا» واستعملت اصطلاحاً بلفظ الجمع لهذه الدلالة فقالوا: «تقنيات».

وقد نطقوا بها بتشديد النون لجهلهم بأصلها أو لتجنّبهم أن يكون فيها إيماء إلى الفعل العربيّ.

١٠٥ ــ تلد:

التالد: المال القديم الذي وُلِدَ عندك، وهو التليد والمُتْلِد.

وقال يعقوب إن تاءه من الواو، وكذا ذهب بعض النحويين.

قال أبو منصور: سمعت رجلاً من أهل مكّة يقول: تلادي بمكّة، أي ميلادي.

وقالوا: التليد الذي وُلِدَ ببلاد العجم، ثم حُمِلَ صغيراً فثبت في بلاد الإسلام.

أقول: إذا كانت التاء من الواو، فهذا البدل قد أكسب الفعل ومشتقاته خصوصية دلالية.

إن عامية أهل العراق تشتمل على «تَلَد» اتباعاً لـ «وَلَد».

والتالد والتليد يقابل في الاستعمال الطارف والطريف.

١٠٦ ـ تلع:

تَلَعَ النهارُ يتلَعُ تَلْعاً وتلوعاً، وأتلَعَ: ارتفَعَ. وتَلَعَت الضُحى تُلوعاً واتلَعَت: انبسَطَت.

أقول: ومن غير شك أن هذا يومىء إلى الأصل «طَلَع».

١٠٧ ـ تلف:

والفعل تلِفَ، والمصدر التَلَف. وهو الهلاك والعَطَب.

أقول: وتحوّل الفعل إلى «تَلَف» مثل ذَهَبَ في العربية المعاصرة، وشاع استعماله، يقال: تَلَفَت البضاعة وتَلَف الطعام.

١٠٨ ـ تلل:

و «التلّ» من التراب معروف، واحد التلال، وهو كومة من تراب أو رَمل.

أقول: وفي لغة أهل الشام «تَلّة» مؤنث، ولا وجود له في العربية.

١٠٩ ـ تلو:

وتلا الشيءُ الشيءَ: وَليه وتبعه.

أقول: وقد يكون التاء من الواو والتوالي مثل التتالي.

و «تلوتُ الكلام» لا يبتعد عن هذا بمعنى أني أتبعت كلماته كلمةً بعد أخرى.

١١٠ ـ تنر:

والتَنّور معروف.

أقول: وهو تفعول، والأصل مادة «نور ونار»، والتاء من باب توهّم الأصالة فيها.

١١١ ـ تور:

والتارة: الحين والمرّة، وألفها واو وجمعها تارات وتِيَرَ، وقد صير إلى الياء لموضع الكسر قبلها.

أقول: وهي شيء من «الطَور» على سبيل الإبدال، و «طوراً» مثل «تارةً».

والفعل منسيّ وهو «طار يطور» نظير «طار يطير» ويقرب من دلالته.

١١٢ ـ توو:

التَوَّة في قولهم: مَضَت توّة من الليل والنهار، أي ساعة.

أقول: ومضى المعاصرون في استعمال «التـوّ» بمعنى في «الحال» فيقولون: أجاب على التوّ. وليس هذا بعيداً عن دلالة «الساعة».

وفي عامية العراقيين شيء من هذا فهم يقولون: الرجل تَـوَّه (كذا) ذَهَبَ.

حـرف الثـاء

١١٣ ــ ثأر:

الثأر: الطلب بالدم، وهو الذَّحْل، والاسم الثُؤرة.

والثائر: الذي لا يبقي على شيء حتى يدر ثأره.

أقول: وغلب علينا في كلامنا الثائر من الثورة، وهو الطالب لحق، وفاعل من ثأر وثارَ واحد.

١١٤ ــ ثغر:

و «ثُغِرَ» الغلام: سقطت أسنانه. واثَّغر واتَّغَرَ وادَّغَر، على البـدل: نبتت أسنانه.

١١٥ ــ ثفرق:

و «الثُفْروق»: قِمَع البُسْرة والتمرة.

وقيل: الثفروق العنقود أكل ما عليه من التمر، وهو عُمشوش أيضاً.

١١٦ ــ ثفل:

و «الثُفْل» من كل شيء، وكذلك ثافله: ما استقر تحته من كَدَره.

قال أبو منصور: وأهل البدو إذا أصابوا من اللبن ما يكفيهم لقوتهم فهم مُخصبون، لا يختارون عليـه غذاءً من تمـر أو زبيب أو حَبّ، فإذا اعوزهم اللبن وأصابـوا من الحبّ والتمر مـا يتبلّغون بـه فهم مُثـافلون،

ويسمّون كل مـا يؤكل من لحم أو خبـز أو تمر ثفـلاً، ويقال: بنـو فلان مُثافلون، وذلك أشدّ ما يكون حال البدويّ.

والثفالة: الإبريق وكذلك الثفال بكسر الثاء وفتحها.

١١٧ ــ ثفا:

و «الأُثْفيّة»: ما يوضع عليه القدر، والجمـع أثافيّ، وقـد تخفَّف. وثَفَّيتُ القدر: جعلتها على الأثافيّ، وأثفيتُها أي جعلت لها أثافيّ.

ورماه الله بثالثة الأثافي، قال أبو عبيـدة: ثالثـة الأثافي القـطعة من الجبل يجعلَ إلى جانبها اثنتان، والمعنى رماه بالشرّ كله.

١١٨ ــ ثقل:

«الثِقَلُ»: نقيض الخفة، مصدر الثقيل، وثَقُل الشيء ثِقَلاً وثقالة، فهو ثقيل، والجمع ثِقال.

والثِقْل: الحمل الثقيل، والجمع أثقال مثل حِمْل وأحمال.

وأثقَلَت المرأة فهي مثقل، وامرأة ثقال: مكفال.

وثَقِلة القـوم: أثقـالهم، وارتحــل القـوم بثَقَلَتهم وثَقْلتهم، وثِقْلتهم وثِقَلتهم.

والثُقْلة: ما وجد الرجل في جوفه من ثِقَل الطعام.

وثَقُلَ سمعه.

وقـولـه ﷺ في آخـر عمـره: «إني تــارك فيكم الثقلين كتـابَ الله وعترتي».

والثَقَـل كـل شيء نفيس خـطيـر مصـون، وأصله في بيض النعـام المصون.

والثَقَلان: الجن والإنس.

١١٩ ـ ثكل:

«الثُكْل»: الموت والهلاك، والثُكْل والثَكَل: فقدان الحبيب، وأكثر ما يستعمل في فقدان المرأة زوجها.

وفي «المحكم»: أكثر ما يستعمل في فقدان الرجل والمرأة ولدهما. وفي «الصحاح»: فقدان المرأة ولدها.

وهي ثَكول وثاكل وثَكُلى، وهي المرأة الفاقد، والرجل ثاكل وثَكلان.

وهي مُثكلة، ومُثكل من نسوة مثاكيل.

والأُثكول والإثكال لغة في العُثكول والعثكال، وهو العِذق الذي تكون فيه الشماريخ.

١٢٠ ـ ثكن:

«الثُكنة»: الجماعة من الناس والبهائم، وخص بعضهم به الجماعة من الطير أي السرب من الحمام.

والثُكنة: القلادة، وهي الإرة أي بئر النار، والثُكنة: القبر، أو المحجة، وثُكنة الذئب.

وثُكْن الطريق: سَنَنه ومحجّته.

وثُكَن الجند: مراكزهم، واحدتها ثُكنة (فارسية).

والثُكنة: الراية والعلامة، وفي الحديث: يحشر الناس يوم القيامة على ثُكَنهم، أي على راياتهم ومجتمعهم على لواء صاحبهم (ابن الأعرابي).

ويقال للعُهَن التي تُعلَّق في أعناق الإبل ثُكَن.

أقول: واختصَّت «الثكنة» في العربية المعاصرة بالجند لا تتجاوزه إلى غير ذلك من دلالات.

١٢١ ـ ثلب:

«ثَلَبَهُ يثلِبه»: لامَه وعابه، وصرّح بالعيب فيه، والثلْب أيضاً: شدة اللوم والأخذ باللسان.

والمثالب: العيوب، وهي المَثلَبة والمثلُبة.

ورمح ثِلِب: متثلّم. وامرأة ثالبة الشوى: متشقّقة القدمين.

ورجل ثِلْب: منتهى الهرم، متكسّر الأسنان، والجمع أثلاب، وهي ثِلْبة وثِلْب.

والثِلْب: الشيخ (هذلية).

والإثْلِب والأثلَب: التراب والحجارة، وبفيه الإثلبِ (دعاء).

أقول: وفي «الثَلْم» معنى الثَلْب في اللوم والعيب، على البدل.

١٢٢ ـ ثور:

و «الثَّور»: السيد، وبه كني عمرو بن معديكرب. ومنه قول علي ـ رضي الله عنه ـ: إنما أُكِلتُ يوم أُكِلَ الثور الأبيض، وعنى به عثمان ـ رضي الله عنه ـ لأنه كان سيداً، وجعله أبيض لأنه كان أشيب، وقد يجوز أن يعني به الشهرة.

أقول: لم يبقَ شيء من هذا في عربيتنا المعاصرة، وانحصرت دلالة «الثور» فيها على الحيوان المعروف.

ومن هنا ليس عجيباً أن نرى في «أعلامهم» الثور، ومنه حميد بن ثور الهلالي. و «ثور» حيّ من تميم. وبنو ثور: بطن من الرباب، وإليهم نسب سفيان الثوريّ.

وفي «الصحاح»: إن «ثور» أبو قبيلة من مضر، وهـو ثور بن عبـد مَناة بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر وهم رهط سفيان الثوريّ.

و «ثور» بناحية الحجاز: جبل قريب من مكة يُسمّى ثور أطحل.

و «ثور» جبل بمكة وفيه الغار نسب إليه ثور بن عبد مَناة لأنه نزله.

وفي الحديث: إنه حرَّم ما بين عَيْر إلى «ثور»، قال ابن الأثير: هما جبلان، أما عَير فجبل معروف بالمدينة، وأما ثور فالمعروف أنه بمكّة، وفيه الغار الذي بات فيه سيـدنا رسـول الله ﷺ لما هـاجر، وهـو المذكـور في القرآن.

أقول أيضاً: و «الثور» الذي انصرف إلى السيّد متأت من أن الأمم السامية القديمة كانت تقدس الثور وتعبده، ولذلك جاء رمزاً للقوة الإلهية في تماثيل الآشوريين الذين عبدوه وأضافوا إليه الجناحين تأكيداً لقوته في الجسم وأنه قادر على أن يطير بجنـاحيه. و «الثـور» في أدب الجاهليين حيوان عظيم فهم يبصرون فيه القوة والطاقة والعمل.

وقد تكون هذه النظرة قد زالت، فصار «الثور» قوة مع غباء في العهود الإسلامية، وهو هكذا في عصرنا، قد يكون هذا بسبب أن «الإسلام» أبطل الأوثان والأصنام ونحـوها، فسلبت منـه الصفات التي كـانت له في أدب الجاهليين. ولم يكن الساميون وحدهم الذين قدسوا «الثور»، وذلـك لأن جمهرة من الأمم القديمة الأخرى عرفت «الثور» في رسومها وعباداتها.

ومن معـاني «الثور»: الـطُحْلب الذي يعلو المـاء، وقالـوا في قول الأعشى:

لكـالثـور، والجنّيّ يضـرب ظهـره   ومـا ذنبه أن عـافت الماء مشـرَبـا

وأراد بـ «الجنّي» اسم راع، والثور ههنا ما علا المـاء من القِماش يضربه الراعي ليصفو الماء للبقر.

وقال أبو منصور (الأزهري) وغيره: يقول ثور البقر أجرأ فيقدّم للشرب لتتبعه إناث البقر وأنشد:

أَبَصَّرْتَنِي بأطير الرجال وكلَّفْتَني ما يقول البَشَرْ
كما الثورُ يضربه الراعيان وما ذنبه أن تعافَ البَقَرْ

أقول: وفي هذا اختلطت الأسطورة بالحقيقة اللغوية، أيكون «الثور» في هذه النماذج الأدبية الحيوان المعروف أم الطحلب الذي يعلو الماء؟

ومن دلالة «الثور» أنه حمرة الشفق الثائرة فيه.

وفي الحديث: صلاة العشاء الآخرة إذا سقط ثور الشفق، وهو انتشار الشفق، وثَوَرانه: حمرته ومعظمه.

وقال في المغرب: ما لم يسقط ثور الشفق.

أقول: وكأن المعنى في الأصل هو «الحيوان»، وهذا من صفاته العظمى أنه قوة وحركة، ومن هنا جاء الحديث: ثار يثور ثوراناً وثورة، والفعل يشير إلى القوة العظيمة، وفي هذا شبهوا «الشفق» حين يسقط أو يثور.

وفي التهذيب: ثورة من رجال وثورة من مال الكثير.

و «الثور»: القطعة العظيمة من الأقط.

وروي عن عمرو بن معديكرب أنه قال: أتيت بني فلان فأتوني بثو وقوس وكعب، فالثور هذا، وأما القوس فهو البقية من التمر تبقى في أسفل الجُلّة، وأما الكعب فهو الكُتلة من السمن الحامس.

وجمع «الثور»: أثوار وثيار وثيارة وثِوَرة وثِيَرة وثيران.

أقول: لم يبقَ لنا من أبنية الجمع هذه إلا «ثيران» في عربيتنا المعاصرة.

١٢٣ ـ ثول:

و «الثَّوْل»: جماعة النحل، والـدَّبْر، ولا واحـد لشيء من هذا من لفظه، وكذلك الخَشْرم.

و «الثَّوالة»: الكثير من الجراد، اسم كالجمّالة والجبّانة، وثَويلة من الناس أي جماعة جاءت من جملة متفرّقة وصبيان.

وانثال عليه القوم وتثوَّلوا.

و «الثَوْل»: الجنون، والأثول: المجنون أو الأحمق، يقال: ثال فلان يثول ثَوْلاً، إذا بدا فيه الجنون ولم يستحكم، فإذا استحكَمَ قيل: ثَوِلَ يَثْوَل ثَوَلاً، وهكذا في الحيوان.

وفي «الثاء»: الثَوَل، يقال للذكر أُثول، وللأنثى ثولاء.

أقـول: «و «الثوَل» مصـدر، والأثوَل، والثـولاء، أكثر مـا يقـال في العربية العامية، وليس شيء منه في العربية المعاصرة.

١٢٤ ـ ثوا:

و «الثَواء»: طول المقام، وثَوَى بالمكان يثوي ثَواءً وثُوِيّاً، وأثـويت بالمكان لغة في «ثويت».

و «المثوَى»: الموضع.

والثَـوِيّ: البيت المهيّأ للضيف، والثَـويَ: الضيف نفسه، والثَويّ: المجاور في الحرمين.

و «الثَوِيّ»: المحبوس والأسير.

و «الثُوَى»: قماش البيت، واحدتها ثُوّة، وهي الخرقة تُبَلّ وتجعَـل على السقاء إذا مُخِضَ لئلا ينقطع، وكذلك الثاية.

وثاية الإبل والغنم مأواها وكذلك الثويّة.

و «الثوية»: حجارة ترفع بالليل فتكون علامة للراعي إذا رجع إلى الغنم ليلاً يهتدي بها.

و «الثُوّة»: خرقة أو صوفة تُلَفّ على رأس الوتد يوضع عليها السقاء ويمخض وقاية له.

أقول: وهذه من المواد اللغوية التي تظهر أن الأقدمين من الجاهليين وغيرهم قد حصلوا لغتهم لتكون مادة بيئتهم.

حرف الجيم

١٢٥ ـ جأر:

جَأَرَ يجأَرُ جَأْراً وجُؤاراً: رَفَع صوته مع تضرّع واستغاثة، وفي التنزيل: «إذا هم يجأَرون»، قال ثعلب: هو رفع الصوت إليه بالدعاء.

وفي «الصحاح»: الجُؤار مثل الخُوار، جَأَر الثور والبقرة يجأَرُ جُؤاراً: صاحا، وخار يخور بمعنىً واحد.

أقول: وابدَل عامة العراقيين العين من الهمزة فقالوا : جَعَرَ لصوت الحيوان دون تحديد، وهم أكثر ما يستعملونه نَبْزاً لصوت الرجل المستنكر، والمصدر في استعمالهم «جعير».

١٢٦ ـ جأش:

الجَأْش: النفس، وقيل: القلب، وقيل: رباطه وشدّته، ويقال: رابط الجأش ، أي يربِط نفسه عن الفرار لشناعته،

أقول: و«الجأش» لايرد في استعمالهم، ولا سيما المعاصرين إلا مسبوقاً بالمضاف «رابط» وأكثر المعربين يفهمون المركب الاضافي «رابط الجأش» وقد لا يعرفون «الجأش».

١٢٧ ـ جبر:

ومعاني الجبّار قولهم: نَخلة جَبّارة للطويلة العظيمة، وقد يقال: رجل جَبّار للطويل العظيم القوي تشبيهاً بالنخلة.

أقول: وما يزال أهل النخل يقولون هذا، وربما توسع المعربون من العامة فقالوا: عمود جبار للطويل المتين.

١٢٨ ـ جبس:

الجِبْس: الجبان القَدْم والضعيف اللئيم، وقيل الثقيل.

أقول: و«الجبس» في لغة عوام العراق للصَّلف اللئيم البخيل، وقلما نظفر بالكلمة في الفصيحة المعاصرة.

١٢٩ ـ جدد:

وجادّة الطريق: مسلكه وما وَضَحَ منه، وجمعها جَوادُّ. وقيل: هي الطريق الأعظم الذي يجمع الطرق ولا بد من المرور عليه. وأجدَّ ثوباً واستجدّه: لبسه جديداً واتخذه، وأصله من الجدّ أي القطع.

أقول: وكانت الجادة قبل عدة عقود من السنين نعني في العراق الشارع العريض الطويل المرصوف بالحجارة أو المعبّد، غير أن الكلمة زالت أو اوشكت تزول. ويقال: «المستجدات» بمعنى ماجدَّ جديداً. وهو كلام مولدٌ جديد.

١٣٠ ـ جدف:

والتجديف هو الكفر بالنعم، يقال: جدَّف الرجل بنعمة الله

وفي الحديث: «شر الحديث التجديف».

أقول: و«التجديف بما يقرب هذا المعنى يرد في كتابات النصارَى في رسائلهم النصرانية.

١٣١ ـ جذع:

الجَذَع: الصغير السن، والمؤنث: جَذَعة، والجمع جُذعان وجِذعان.

قال الأزهري: أمّا الجَذَع فإنه يختلف في أسنان الإبِل والخيل والبقر والشّاء. . .

أقـول: وقد ابـدلت الدال من الـذال في لغة عـوامّ المصريين في عصرنا، وخُصَّت بالحَدَث الشاب النشيط.

١٣٢ ـ جذف:

وجَذَف الطائر يجذِف: أسرع تحريك جناحَيه، وهي لغة في جَدَف.

ومجذاف السفينة: لغة في مجدافها.

أقول: والذي في لغة عوام العراقيين هو الجَذْف والمجذاف، بالذال المعجمة.

١٣٣ ـ جذل:

الجِذل: أصل الشيء الباقي من شجرة وغيرها بعد ذهاب الفـرع. والجمع أجذال وجِذال وجُذول جُذولة.

أقول: وهو الباقي في لغة العوام في العراق وربما في أمكنةٍ أخرى.

ولا بد ان نصل بين هذه الكلمة ونظيرتها بالراء، وهي الجَذْر، بفتح الجيم بقول الأصمعيّ، وهي أصل كل شيء، والجَذر: أصل اللسان وأصل الذكر أيضاً. .

وقال ابو عمرو: هي الجِذْر، بكسر الجيم.

أقول: وقد اختصَّ «الجَذْر» بفتح الجيم في لغة المعاصرين بـ «جذر الشجرة» والجمع جُذور، وقد يوسعون فيه فيقولون: جذور القضية.

١٣٤ ـ جرج:

و«جَرِجَ» الخاتَم في يدي جَرَجاً اذا قَلِق واضطرب من سعته وجالَ فهو جَرِج. وسكيّن جَرِجُ النصاب: قَلقِه.

أقول: وهذا من الكلم الذي بنا حاجة إليه.

١٣٥ ــ جرح:

الجَرْح معروف، والاسم الجُرح، بالضم.

و «جَرَح الشيءَ واجتَرَحَه: كسَبَه، وفي التنزيل: «وهو الذي يتوفّاكم بالليل ويعلم ما جَرَحتم بالنهار».

وفلان يجرَح لعياله ويجترح ويَقرِش ويَقترِش بمعنى، وفي التنزيل: «أم حَسِبَ الذين اجترحوا السيّئات» أي اكتسبوها.

وقالوا: الجوارح من الطير والسباع والكلاب: ذوات الصيد لأنها تجرَح لأهلها أي تكسب لهم.

وجوارح الأنسان: اعضاؤه وعوامل جسده كيَدَيه ورجلَيه، واحدتها جارحة، لأنّهنّ يجرحْن الخير والشر أي يكسبنه.

أقول: كأنّ الكتاب انصرفوا إلى «اجترَح» على «افتَعَل» لإفادة الكسب وتركوا «جَرَح» لدلالتها الأولى وهي إحداث الجرح بالآلة كالخنجر والسيف والسكين ونحو ذلك

١٣٦ ــ جرد:

والجَراد: معروف، الواحدة جَرادة.

وجُرِدت الأرض فهي مجرودة اذا أَكَل الجراد نبتها فهو يجرُدُها جَرْداً.

والجَرَد: ان يشْرَى جلد الأنسان من أكل الجراد، وجُرِدَ الأنسان إذا أَكَلَ الجراد فاشتكى بطنه فهو مجرود وجَرِد.

أقول: وهذا كله من الكلم ذي الدلالة الاجتماعية في ممارسات العرب القدماء. ونفيد منه ان وزان «فَعَل» ينصرف الى الادواء كالجَرَب والجَرَد والعَمَى ونحو ذلك.

وخيل جريدة: لا رَجّالة فيها، ويقال: نَدَبَ القائد جريدة من الخيل اذا لم ينهض معهم راجلاً.

والجريدة من الخيل: الجماعة منها جُرِدت من سائرها لوجه.

أقول: هي جريدة لأنها مجرودة عن غيرها.

وكذلك «الجريدة» للسعفة الطويلة الرطبة أو اليابسة، والجمع جريد.

وفي «الصحاح»: الجريد الذي يُجرَد عنه الخوص، ولا يُسمَّى جريداً ما دام عليه الخوص، وإنما يسمى سَعَفاً.

وفي الحديث «كُتِب القرآن في جَرائد».

أقول: وكان من هنا أن أطلقت الجريدة على «الصحيفة» التي هي (وَرَق» وشاعت في أول هذا القرن، وقد كتب ابراهيم اليازجي مقالاته التي جعل لها عنواناً «لغة الجرائد». ثم بدأ استعمالها يضعف.

١٣٧ ــ جرر:

والجريرة: الجناية والذنب يجنيه الرجل. وقد جرَّ على نفسه وغيره جريرةً، أي جنى جنايةً.

وفي الحديث: قال يا محمد بمَ أخذتَني؟ قال بجريرة حلفائك، وذلك أنه كان بين رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبين ثقيف موادعة، فلما نقضوها ولم ينكر عليهم بنو عقيل، وكانوا معهم في العهد صاروا مثلهم في نقض العهد فأخذه بجريرتهم.

أقول: وقرأت في كتاب «فقه اللسان» لأحد علماء الهند ان «الجريرة» أتت من كون المرتكب لذنب ما يعود على آثاره فيمسحها بثوبه جرّاً ، وقد يحدث أن يُعرَف أثره على ما كان من مسحه فيؤخذ بما جرّه اي بجريرته.

وإلى هذا كان الفهم لقول امرىء القيس:

خَرجتُ بها أمشي تجُرُّ وراءنا	على أَثَرَيْنا ذَيْلَ مِرْطٍ مُرَحَّلِ

١٣٨ ـ جرف:

وسَيْل جُراف وجاروف: يجرِف ما مرّ به من كثرته يذهب بكل شيء.

أقول: وبناء «فُعال» من أبنية المبالغة مثل هُمام وجُراز.

١٣٩ ـ جرم:

الجَرْم: القطع. جَرَمه يجرِمه جَرْماً، وتمر جَريم: مجروم، واجرَمَ: حان جِرامُه.

و«الجريمة»: واحدة الجريم، وهو النوَى.

والجُرامة: التمر المجروم، وقيل: ما يُجرَم منه بعدما يُصرَم يُلقَط من الكرب، والجريم: النوى والتمر اليابس.

وجَرَمَ النخل جَرْماً واجترمه: خرصه وجزّه.

والجُرْم: الذنب، وكذلك الجريمة، واجتَرَمَ الذنب وتَجَرَّمه، فكأنّه كسبه واكتسبه كما اجتَرَم التمر.

أقول: ومن هنا التقت الدلالتان بمعنى الكسب والاكتساب والاقتراف. وقد يكون مثل هذا جنى التَمرَ والفاكهة أي اجتناها واكتسبها، ثم جَنَى الذنْب جناية.

١٤٠ ـ جزء:

والجَزْء: الاستغناء بالشيء عن الشيء، وكأنه الاستغناء بالأقلّ عن الأكثر، يُجزء قليل من كثير.

وجَزَأَ بالشيء وتجزّأ: قنع واكتفى به، وأجزأه الشيءُ: كفاه، واجتزأت بكذا وتجزّأت: اكتفيت.

أقول: وأصل هذا كله من «الجُزء» وهو القسم، ولذلك قالوا: جَزِئت الإبل: اذا اكتفت بالرُطب عن الماء.

١٤١ ــ جفر:

الجُفرة: جوف الصدر، والجُفرة الحفرة الواسعة المستديرة.

أقول: والجُفرة بمعنى الحفرة المستديرة ما زالت معروفة في بعض الألسن الدارجة.

١٤٢ ــ جني:

انظر جَرَمَ.

١٤٣ ــ جيش:

جاشت النفس جَيشاً وجَيَشاناً: غثت او دارت للغثيان.

وجاشت القدر: غَلَتْ.

أقول: ومن هنا اطلق على جماعة الجند جيشاً، والأصل فيها ما يصحب جماعة الجند من أصوات وضجة وجلبة من الناس والحيوان والسلاح.

ومثل هذا كلمة «الوغَى» وأصلها دلالتها على الصوت والضجيج، ومن ثم اتُّسع فيها فذهب إلى «الحرب».

* * *

حرف الحاء

١٤٢م ـ حبتر:

الحَبْتَر والحُباتِر: القصير كالحَتْرَب والبُحْتُر، والأنثى حَبْترة.

أقول: وما زال «حَبْتَر» للقصير في عامية العراقيين، ويجيء مصغّراً في جنوب العراق.

١٤٣م ـ حبذ:

أقول: اشتقّ المعاصرون من «حَبَّذا» فعلاً مضعفاً هو «حبَّذَ» بمعنى استَحْسَنَ وفضَّل.

١٤٤ ـ حبر:

و«الحِبْر» و«الحَبْر» للرجل العالم، وكان يقال لابن عباس الحَبْر والبَحر لعلمه.

أقول: كأن «الحَبر» هو «البحر» على القلب. وقد اتُّسِع في العربية في معاني «البحر» لسعته وعِظَمه فقالوا: للسيد الكريم «البحر».

١٤٥ ـ حبط:

وحَبِطَ حَبْطاً وحبوطاً: عمل عملاً ثم أفسده، وفي التنزيل: «فأحبَطَ اعمالهم» أي أفسَدَها.

أقول: والفعل «احبط» يذهب مصدره «الإحباط» في العربية المعاصرة إلى الخيبة والشعور بمرارتها.

١٤٦ ــ حبل:

الحَبْل: معروف، وهو الرباط، والحِبالة: التي يصاد بها.

أقول: والحَبْل هو الأصل، والحبالة بمعنى المصيدة لا بد ان كانت في الأصل من الحبال، ثم نجيء إلى «الأحبولة» للمصيدة أيضاً، وهي شَرَك الصائد من الحبال. ثم اتُّسع في دلالة «الأحبولة» فذهبت إلى الحيلة الخادعة.

١٤٧ ــ حبو:

أقول: وحبا الطفل يحبو بمعنى زحف قبل المشي.

ومن هنا جاءَ دلالة الدنو، فيقال: حبا للخمسين اي دنا منها.

ومن هنا ايضاً جاء «الحِباء» بمعنى العطية، وحبا الرجل صاحبه: أكرمه.

١٤٨ ــ حتد:

المحتِد: الأصل والطبع، ويقال: فلان من محتِد صدق.

أقول: هذا هو المعروف في استعمالنا المعاصر، فأما الحَتِد فهو الخالص من كل شيء فلا نعرفه.

وأما الفعل حَتدَ بالمكان يحتِد بمعنى أقام به وثبت فهو فعل مُمات حتى في العربية القديمة.

١٤٩ ــ حتم:

الحَتْم: القضاء وإيجابه، وفي التنزيل: «كان على ربك حتماً مقضياً».

والحَتمْ: اللازم الواجب الذي لا بدَّ من فعله.

أقول: وهذه الدلالة الأخيرة هي المعروفة التي يجرى بها استعمال المعاصرين.

١٥٠ ـ حثرم:

الحِثْرِمة: الدائرة التي في وسط الشفة العليا، وقيد: الخِثرمة، بالخاء وهي «التَفِرة» بفتح وكسر.

أقول: وهي من الكلم المفيد، ولا نعرفه في العربية المعاصرة، والكلمة تندرج في «خَلق الأنسان».

١٥١ ـ حجج:

و«التحاجّ»: التخاصم، وحاجَّه مُحاجَّةً وحِجاجاً: نازعه الحجّة.

واحتَجَّ بالشيء: اتّخذه حُجَّة.

أقول: فأما قول المعاصرين: احتجّت الحكومة «س» على الحكومة «ص» لما بدَر [اي من ص] من مخالفة، فعربية جديدة معاصرة.

١٥٢ ـ حجر:

الحَجَر: الصخرة، والجمع أحجار، وفي الكثرة حِجار وحجارة، وفي التنزيل: «وَقودُها الناس والحجارة»

أقول: وجملة ما ورد من هذه المادة فأصله الحَجَر، إذ منه الحجرة، ومنه الحَجْر بمعنى المنع.

فأنت حين تقول: حُجِرَ عليه، لا بد أن تتخيَّل «الحِجر» بالكسر، وهو الحاجز، وسمى العقل حِجْراً لأنه يمنع صاحبه ويحكمه.

١٥٣ ـ حجم:

و «الحَجْم»: كفُّك إنساناً عن أمر يريده، وأحجَمَ الرجل اذا جَبُن وكفّ، وحَجَمته عن حاجته بمعنى منعته.

أقول: والأصل في هذا من الحجام «بكسر الحاء، وهو شيء يجعل

في فم البعير أو خَطمه لئلا يَعَضّ، وبعير محجوم، اذا جُعِل على فمه حِجاماً.

وقد ذهب المعاصرون إلى معنى المنع فولّدوا الفعل «حجَّم» بالتضعيف يريدون المبالغة والتكثير.

١٥٤ ــ حجن:

يقال احتجن الرجل الشيء لنفسه دون أصحابه أي اختص نفسه به.

أقول: وهذا من الكلم الذي نراه في لغة المتأدبين من المعاصرين، ولا نراهم يستعملون: احتجن على الشيء بمعنى حَجَرَ عليه.

واحتجان المال: اصلاحه وجمعه وضم ما انتشر منه، واحتجان مال الغير: اقتطاعه وسرقته.

١٥٥ ــ حدب:

و«الحَدَب»: حدور في صَبَب كحَدَب الريح والرمل. وفي التنزيل: «وهم من كل حَدَبٍ ينسِلون».

أقول: ومن المفيد أن أشير أن الحَدَب يرد في العربية المعاصرة مُتَبعاً بكلمة «صَوب» فيقال مثلاً: وجاءوا من كل حَدَب وصوب. وكثيراً ما يخطئون فيُسكِّنون الدال من «حَدَب».

١٥٦ ــ حدج:

و«التحديج»: شدة النظر بعد رَوعة وفزعة. وحَدَجَه ببصره حَدْجاً وحدوجاً، وحدَّجه: نظر إليه نظراً يرتاب به الآخر ويستنكره.

أقول: ولم يبق شيء من هذا في الفصيحة المعاصرة إلا أن طائفة من عوام العرقيين من أهل الأطراف القروية والبدوية يستعملون الفعل بمعنى النظر ليس غير.

١٥٧ ـ حدد:

الحَدُّ: الفصل بين الشيئين لئلا يختلط أحدهما بالآخر، او لئلا يتعدّى أحدهما مع الآخر، وجمعه حدود.

ومنتهى كل شيء: حدّه، وحددت الدار احُدّها حدّاً، والتحديد مثله.

وحدَّ الشيءَ من غيره يحُدّه، وحدّدَه: ميّزه.

أقول: ومن هنا ورد حدُّ الشيء بمعنى تعريفه وما يلزم، وحدُّ السارق في الجنايات، وهذا كله يتأتى من فقه المعربين وفطنتهم إلى دلالة الحدّ وما يمكنهم ان يتّسعوا فيه.

ومنه أيضاً حدَّ نابه وسلاحه أي جعل لها طرفاً حاداً، وحدّ السكين واستحدّها. ولا بدّ ان يكون هذا ذا صلة ليس قريباً إدراكها بالحديد.

والحدّ المنع، وكأن هذا يوصلنا إلى الحِداد الذي تلزمه المرأة على زوجها الميت من لُبس الثياب السود ونحو ذلك:

أقول: ومن «الحدّ» صار المعربون إلى «تحدَّى» مثل سبيلهم إلى تصدَّى من «صدَّ».

١٥٨ ـ حدق:

حَدَق به الشيء وأحدَقَ: استدار.

أقول: ولا بد أن نصل الى «الحَدَقة» وهي السواد المستدير وسط العين، وكأنه الأصل في هذا الفعل.

وهو الأصل في «التحديق» الذي هو شدة النظر بالحدقة، ولابد أن نلتفت إلى الصلة بينه وبين الفعل «حَدَج» ولعل هذا الأخير قد جاء من إبدال الجيم بالقاف.

ومن معنى الأستدارة في هذا الفعل جاءت «الحديقة» وهي كل أرض ذات شجر أحدَق بها حاجز.

١٥٩ ــ حدل:

حَدَل عليَّ فلان يحدِل ويحدَل حَدْلاً أي ظَلَمني، ومال عليّ بالظلم وجار.

والأحدَل هو المائل احد الشقّين، ويمشي في شقّ. وقال ابو عمرو: الأحدل الذي في منكبيه ورقبته انكباب أو إقبال على صدره، وقد حَدِل حَدَلاً.

والأحدل: ذو الخِصية الواحدة من كل شيء.

أقول: وكان مفيداً أن يرد «الأحدَل» في المصطلح العلمي الحديث.

ومن الغريب: ان المعاصرين أطلقوا على المركبة الكبيرة الحديثة التي تسوّي الأرض مصطلح «الحادلة» مثل الطائرة والبارجة والحافلة، ولست على علم كيف كان هذا.

١٦٠ ــ حذفر:

و«حَذافير» الشيء: أعاليه ونواحيه، والواحد حُذْفور أو حِذفار.

وفي الحديث: «فكأنّما حيزَت له الدنيا بحذافيرها» وهي الجوانب والأعالي، وأريد بذلك: بأسرها. وفي حديث المبعَث: «فاذا نحن بالحيّ قد جاءوا بحذافيرهم» أي جميعهم.

أقول: والحذافير في هذا الأستعمال مثل جمع قديم آخر هو «الجزامير».

غير أن المعاصرين أدركوا الأجزاء الصغيرة المتفرّقة التي يشتمل عليها الشيء.

والـذي أراه: ان الكلمة احـدى جموع كثيـرة في العـربيـة عُـرفت واستعملت، ولم يُعرف في الاستعمال المفرد، ولكن اللغويين ولّدوه[1].

١٦١ ـ حذلق:

الحَذْلقة: التصرُّف بالظرف، والمتحذلِق: المتكيّس الذي يريـد أن يزداد على قدره.

وإنه لَيتَحذلق في كلامه، أي يتظرَّف ويتكيَّس.

أقـول: وإلى شيء يقرب من هـذا يـرى المعـاصـرون «الحـذلقـة» والمتحذلق هو المتنطّع المتفلسف.

والفعل كما » أراه مولد من أصلين على طريقة النحت التي أصَّلها أحمد بن فارس في كتابه «معجم مقاييس اللغة». والفعلان هما: حَـذِق وذَلَق، وقد انضم الأول الى الثاني لإحداث المعنى الجديد.

١٦٢ ـ حرج:

الحَرَج في الأصل الضيق، وأضيق الضيق، واستعمل لضيق الصدر. وحَرِج صدره يحرَج حَرَجا: ضاق فلم ينشرح لخير، فهو حَرِج، قال تعالى: «يجعل صدره ضيّقاً حَرَجاً» وحَرِجاً.

أقول: ومن هنا اتُّسع فيه فدل على الإثم، وتحرَّج بمعنى تأثَّم.

والحَرَج في استعمال المعاصرين بـاق على الأصل، يفيـد الضيق، وموقف حَرِج: ضيّق مُتعب.

١٦٣ ـ حرص:

الحِرص معروف، وفعله حَرَص يحرِص ويحرَص، وجاء فيه حَرِصَ حَرَصاً.

أقول: وقد يسمع حَرِص في استعمال المعاصرين خلافاً للكثير الشائع.

١٦٤ ـ حرن:

وحَرَنَت الدابة تَحرُن حِراناً وحُراناً، وحَرُنَت، لغتان، وهي حَرون: وهي التي اذا استُدِرَّ جَرينها وقَفَت.

أقول: وهذا الفعل مما بقي في بعض الألسن الدارجة بالمعنى نفسه، وقلما يرد في استعمال المعاصرين في عربيتهم المعاصرة. وقد يُستعار نبزاً للرجل الذي يتوقَّف في أمر فلا يدرك وجهه الصحيح.

١٦٥ ـ حزب:

وحَزَبَه أمر أي أصابه ونابه، وفي الحديث: «كان اذا حَزَبَه أمرٌ صلى». وأمر حازب وحزيب بمعنى شديد.

أقول: ليس في العربية المعاصرة شيء من هذا، ولكننا نلقاه في بعض المواطن القروية في العراق، فقد تسمع الأمّ تستحثّ ولدها على العمل والخروج له قائلةً: احزب يا بني، بمعنى سارعْ وبادرْ.

١٦٦ ـ حزز:

والحَزازة والحزازُ والحَزّاز والحُزّاز كله: وَجَع في القلب من خوف، وقال زفر بن الحارث الكلابيّ:

وقد ينبُت المَرْعَى على دِمَن الثرى وتبقَى حزازات النفوس كما هيا

والحَزازة واحد الحَزاز وهو هِبرِية في الرأس كأنّها نخالة.

أقول: وقد ذهب المعاصرون في «حَزازة» إلى ما يشبه «النّعرْة» فقالوا: الحزازات العِرقية والطائفية.

و «الحَزُّ»: الحين من الدهر، قال ابو ذؤيب:

حتى اذا حَزَزَتْ مياهُ رُزونِه وبأيِّ حَزّ قلاوة يتقطَّع

و«الحَزّة»: الساعة، يقال: أي حَزّةٍ أتيتني قضَيتُ حقَّكَ، قال:

«وأَنْبتُ للأشهاد حَزَّةَ أدّعي»

أقول: و«الحَزُّ» و«الحَزّةُ» بهذا المعنى مما بقي في عامية بعض جهات في شمال بغداد.

١٦٧ ـ حزم:

الحَزْم: مصدر الفعل حَزَمَ، وحَزَم الشيءَ: شدَّه، والحُزمة المحزوم.

والحزم: ضبط الأنسان أمره، والأخذ فيه بالثقة.

أقول: والأصل هو «الحِزام» للسرح والرحل والدابة. وقد استعار المعاصرون «الحزام» للرباط الذي يربط به الرجل وسطه. وأنت ترى نقل الدلالة من المحسوس إلى غيره مما يدركْ فكان الحزمْ والحازم.

١٦٨ ـ حزي:

التَحزّى: التكهُّن، وحَزَى حَزْياً اي تكهَّن، والحازي الذي ينظر في الأعضاء وفي خِيلان الوجه يتكهّن، وكذلك حَزا حَزْواً.

أقول: وقد بقي شيء من هذا الفعل في بعض الألسن الدارجة، فأهل جنوب العراق يقولون هذا، و«الحُزّاوة» عندهم بمعنى اللُّغز.

١٦٩ ـ حسس:

الحِسُّ والحسيس: الصوت الخفيّ، قال الله تعالى: «لا يسمعون حسيسَها».

أقول: ودلالة الصوت الخفيُّ في كلمة «الحِس» غير معروفة في

العربية، بل اقتصر فيها «الحِسّ» على ما هو إحساس وشعور. غير أن الألسن الدارجة احتفظت بدلالة الحس على «الصوت».

ومن معاني «الحسّ» أنه يفيد الوجع الذي يصيب المرأة بعد الولادة.

أقول: وبعض هذا معروف في عامية أهل بغداد، إذ يقال مثلاً: بدأت المرأة تُحسّ، أي تعاني ما يعرض للحامل من وَجَع.

ومن معاني هذه الكلمة قولهم: حَسَّ الدابّةَ يحسُّها حَسّاً: نفض عنها التراب. وقد اتّسعت العربية في هذا فكان من الاستعمال ان الفعل «حَسَّ» قد أفاد نفض التراب عن الرجل، ومنه قول زيد بن صُوحان حين ارتُثَّ[1] يوم الجمل: «ادفنوني في ثيابي ولا تحسُّوا عنيّ تراباً» أي لا تنفضوه.

أقول: و«الحَسُّ» بمعنى نفض التراب ما زال في عامية أهل جنوب العراق، واتسعوا في المعنى فذهبوا فيه إلى كل مَسْح، وهم يقولون: حسَّ الثوب بمعنى مسحه وأزال ما علق به.

١٧٠ ــ حشش:

وحَشَّ الحشيش يحُشُّه حَشّاً واحتَشّه: جمعه بعد قطعه.

أقول: وهذا كثير في الألسن الدارجة قليل في العربية المعاصرة.

١٧١ ــ حصب:

الحَصَبُ والحَصُبة والحَصْباء: الحَصَى، وواحدة الحَصْباء حَصَبة مثل القَصبْاء واحدتها قصبة.

أقول: ولا نعرف في عربيتنا المعاصرة إلا الحَصَى، غير أن «البحص» وهو مقلوب «الحصب» من لغة العامة في بعض الجهات من شمالي العراق.

١٧٢ ـ حصص:

و«الحَصُّ» من معانيه ذهاب الشعر بحَلق أو بغيره، وحُصَّ شعر الرجل وانحَصَّ: انجَرَد وتناثَرَ..

أقول: وقد بقيت هذه الدلالة في عامية القرى في العراق، وفيها ان «الأحص» هو من ذهب شعره.

١٧٣ ـ حصف:

و«الحَصَف»: بَثْر صغار يقيح ولا يعظُم، وربّما خَرَج في مَراقِّ البطن أيام الحرّ، وحَصِفَ جلده يحصَف حَصَفاً.

أقول: وهذا مما هو معروف في لغة العوام، وقلَّ أن يرد في لغة المعربين بالفصيحة.

١٧٤ ـ حصن:

قال ابن جنيّ: قولهم: فرس حِصان بيِّن التحصُّ هو مشتق من الحَصانة لأنه مُحرز لفارسه...

أقول: والذي أراه هو العكس فالحَصانة المصدر من «الحِصان» الجواد الذي رأى فيه العرب هذا المعنى وأحَلّوه وعرفوا قدره، ومن هنا قالوا: إنه الجواد أي أنه يجود ويُتوسَّم فيه الجود، ولذلك قالوا: كرائم الخيل.

ومن أجل هذا عنوا بالخيل عناية لا مزيد عليها فصانوها وأكرموها وحفظوا «أنسابها».

١٧٥ ـ حصي:

الحَصَى: صغار الحجارة، الواحدة منه حصاة...

وقال بعض أهل العلم: أن فعل الإحصاء اعتمد فيه على «الحَصَى»

فكأن هذه مادة كانوا يعدونها في حالات معينة، أقول: ويدلّ على هذا قول امرىء القيس.

ظَلِلتُ ردائي فوق رأسي قاعداً أعُدُّ الحَصَى ما تنقضي عَبَراتي

وقال ذو الرمة:

عشيَّةَ ما لي حيلة غير أنّني بلقط الحصى والخط في الدار مُولَعُ
أخُطُّ وأمحو الخطَّ ثم أعيدُه بكَفَّيَّ والغِربان حَوليَ وُقَّعُ

١٧٦ ــ حظر:

والحظيرة جرين التمر، وما أحاط بالشيء، وهي تكون من قَصَب وخشب، قال المرّار بن منقذ:

فإنّ لنا حظائرَ ناعِماتٍ عطاء الله ربّ العالمينا

فاستعار الحظيرة للخيل.

أقول: ونجد في مادة «حضر»: الحضيرة، بالضاد المعجمة، وهي موضع التمر، وتُسمىً الجُرُن والجرين، والحضيرة من الرجال السبعة والثمانية...

أقول: أيضاً: وهذا يدل على تداخل الصوتين الضاد والظاء، ولم يحصل التداخل إلّا لأن المعربين يقرِّبون بين الصوتين في إخراجهما فيتولد الغلط لهذا الاشكال.

١٧٧ ــ حظل:

الحظل: المنع من التصرف والحركة...

أقول: واذا رجعنا إلى «الحَظْر» رأينا صلة وشَبَها، فالحَضْر هو الحَجْر، وهو خلاف الإباحة.

وهو هنا يعني المنع.

١٧٨ ـ حفز:

الحَفْز: حثّك الشيء من خلفه سَوقاً وغير سوق.

والحَفْزُ: الحَثُّ والإعجال.

أقول: وأفاد المعاصرون من دلالة «الحفز» على الحَثُّ فولّدوا مادة «الحَوافز» وهي هبات عينية أو غيرها توهب للعاملين في المصانع تشجيعاً لهم على زيادة الإنتاج.

١٧٩ ـ حفف:

والمرأة تحُفُّ وجهها حَفّاً وحفافاً: تزيل منه الشعر. واحتَفَّت المرأةُ وأحَفَّت: تأمر مَن يحُفّ شعرَ وجهها نَتْفاً بخيطيْن، وهو من القَشْر

والحُفافة: ما سقط من الشعَر المحفوف...

أقول: وهذا من الكلم الذي زال، ولم يبق إلاّ في الألسن الدارجة.

١٨٠ ـ حمل:

أقول: والأحتمال مثل الحمل، واحتَمَل القوم وتحمّلوا: ارتَحلوا. غير أن المعاصرين ذهبوا في «الأحتمال» الذي هو الحَمْل إلى معنى ما يمكن وما لا يمكن، وما يكون وما لا يكون فيقولون مثلاً: وهذا يحتمِل ان يكون أي أنه يحمل المعنى، وما لا يَحتَمل أن يكون كذا أي لا يحمِل المعنى.

ثم جنحوا إلى جعل الفعل مبنياً للمجهول فقالوا: يُحتَمَل ولا يُحتَمل، والأصل هو المبني للمعلوم فهو يحتمل المعنى أو الشيء، أو لا يحتمله.

ومن هنا احتَمَل هذا الفعل معنى الشك فاذا قالوا: يُحتَمَل، فكأنه مظنون به أن يكون أو لا يكون.

١٨١ ــ حيص:

و«الحَيْص»: الحَيْـد عن الشيء، وحـاصَ يحيص حَيُصـاً: رجـع، ويقال: ما عنه محيص أي مَحيد ومهرب.

أقول: وهذا من الكلم الذي لزمه النفي، ومثله في الألسن الدارجة: مـا يحيص ولا يفيص وقولهم: «يفيص» من الإتبـاع، وهي مثـل مـا في الفصيح: «حيصَ بيصَ» في قولهم: «وقعوا في حيصَ بيصَ» أي في شدّة وضيق.

و«الحياصة»: سَيْر طويل يُشَدّ به حزام الدابة.

أقول: و«الحياصة» منطقة كان العراقيون في مطلع هذا القرن يشدونها على ملابسهم، وقد زال استعمالها منذ أكثر من نصف قرن.

أقول: وكأن الفعل «حاصَ» يومىء إلى الفعل حاط، وهو بالصاد في اللغة الآرامية السريانيـة.

❊ ❊ ❊

حرف الخاء

١٨٢ ـ خبر:

و«الخَبار»: أرض رخوة تَتَعْتَع فيها الدوابّ، وتسوخ فيها القوائم.

أقول: وما زال هذا من كلم أهل البادية في عصرنا.

١٨٣ ـ خبص:

وخَبَص الشيءَ بالشيء: خَلَطه.

أقول: وهذا المعنى في هذا الفعل في بعض الألسن الدارجة، ولا نجده في الفصيحة المعاصرة.

١٨٤ ـ خبن:

خَبَنَ الثوبَ وغيره يخبِنه خَبْناً: قلَّصه بالخياطة.

والخَبْن في الشعر: حذف ثاني الكلمة من غير ان يَسكُن له شيء اذا كان مما يجوز فيه الزحاف، كحذف السين من مستفعلن، والفاء من مفعولات، والألف من فاعلان.

أقول: والخبن في الثوب من الكلم الفني للخياطين في عصرنا وقلَّما يرد في الفصيحة المعاصرة.

١٨٥ ـ ختل:

الخَتْل: تخادع عن غَفلة، خَتَلَه يختِله ختلاً، والتخاتُل: التخادُع.

والمخاتلة: مشي الصيّاد قليلاً قليلاً في خُفية لئلا يسمع الصيد حِسَّه.

أقول: ومن هنا يتضح في الختْل والمخاتلة الإستتار والتخفّي، وهذا ما بقي في عامية أهل العراق، فأما في الفصيحة المعاصرة فالخَتْل هو الغدر.

١٨٦ ـ خذو:

خذا الشيء يخذو خَذْواً: استرخى، ورجل أخذى أي ذو أذن خَذْواء أي مسترخية.

واستخذَى بمعنى خَضَع.

أقول: والذي في الإعراب المعاصر أن استخذَى بمعنى ضَعُفَ.

١٨٧ ـ خربش:

والخَرْبشة: إفساد العمل والكتاب ونحوه.

أقول: والخربشة في العربية المعاصرة الكتابة غير الواضحة والتي لا تدل على معان مقبولة، وسيئة الخطّ.

١٨٨ ـ خرج:

والخَرَج: لونان سواد وبياض، نَعامة خَرْجاء، وظليم أخرَج، وكبْش أخرَج.

أقول: والكلم في الألوان والفروق بينها في تفرّقها واجتماعها وافر. وقد يكون من المفيد الإفادة في عصرنا من هذه الخصيصة المفيدة.

١٨٩ ـ خرش:

الخَرْش: الخَدْش في الجسد كله...

أقول: والخَرْش بمعنى الخَدُش غير الكسر يكون في الأعضاء، وهو من الكلم الفني في طبّ العظام.

١٩٠ ـ خرص:

الخَرص في الأصل التظنّي فيما لا تَستيقنه، ومنه خَرْص النخل والكَرْم إذا حزَرتَ التمر لأن الحَزْر إنما هو تقدير بُطن لا إحاطة.

أقول: و«الخرص» بهذه الدلالة من الكلم العامي الدارج في عصرنا، وقلما يرد في العربية الفصيحة.

وليس فيها الخَرص بمعنى الكذب كما في قوله تعالى: «قُتِلَ الخَراصون».

١٩١ ـ خرط:

الخَرْط: قشرك الورق عن الشجر اجتذاباً.

أقول: وما زال في عامية أهل العراق «خَرْط الشوك» وهو نظير «خَرْط القَتاد» في العربية القديمة في قولهم: «دون ذلك خرط القتاد».

وقد ولّد المعاصرون «المخرطة» لصنف من المكائن تخرط الحديد لصنع بعض الأجزاء، وهم يجعلونها بفتح الميم، والصواب كسرها لأنها بناء آلة.

١٩٢ ـ خرف:

الخَرَف: فساد العقل من الكِبَر، وقد خَرِفَ الرجل يخرَف خَرَفاً فهو خَرِف.

أقول: وهذا من «الخُرافة» وهي الحديث المستملح من الكذب، وقالوا: حديث خرافة، وخُرافة من بني عُذرة أو من جُهَينة اختطفته الجنّ، ثم رجع إلى قومه فكان يحدِّث بأحاديث ممّا رأى يُعجَب منها الناس فكذبوه فجرى على ألسن الناس...

أقول: والخرافة ليست نظير الأسطورة كما هي في فهم المعاصرين أو

الحديث الذي لا يصدَّق، بل هي مجرد الكذب الغريب.

١٩٣ ـ خصب:

الخِصْب: نقيض الجَدْب، وهو كثرة العشب ورفاغة العيش، ومكان مُخصِب وخَصيب، وأرض خِصْب.

وقد خَصِبَت الأرض وخَصَبَت، وأخصَبَت.

أقول: والمصدر «الخِصْب»، وقد ولّد المعاصرون مصدراً هو «خُصوبة»، وليس في العربية الفعل «خَصُبَ».

١٩٤ـ خصص:

و«الخُصُّ» بيت من شجر أو قصب، أو البيت الذي يُسَقَّف عليه بخشبة على هيئة الأَزَج، والجمع أخصاص وخِصاص.

أقول: و «الخُصّ» ما زال معروفاً في لغة القرويين في جنوب العراق.

١٩٥ ـ خصف:

والخَصَفة: جُلّة التمر التي تعمل من الخوص.

أقول: وهي الخُصّافة في لغة أهل النخيل في البصرة وما حواليها.

١٩٦ ـ خطر:

والخطر: ارتفاع القدْر والمال والشرف والمنزلة.

أقول: وقد ذهب هذا كله في الفصيحة المعاصرة وصار الخَطَر يفيد ما يكون في موطن الضيق والحَرَج والأذى والضرر والإشراف على الهلكة، وهذا الأخير بعض ما ذهب إليه الخطر.

١٩٧ ـ خطل:

الخَطَل: خفّة وسرعة، خَطِلَ خَطَلاً فهو خَطِل وأخطل.

أقول: والأخطل غلبت عليه العامية الدارجة فأفاد المغفَّل الثقيل.

١٩٨ ــ خفر:

الخَفَر: شدة الحياء، وخَفِرت المرأة، والخَفارة: الذمّة والأمان.

أقول: وتحوَّل «الخَفَر» إلى الحارس من الجند والشرطة، وهو من «الغَفَر» وسيأتي.

١٩٩ ــ خلب:

أقول: لم يبق من دلالة الفعل خلب «إلا قول المعاصرين: هو أو هي تخلب الألباب، وذلك لفرط الحسن والجمال. فأما «خَلَب» بمعنى خَدَع، وكأنها الأصل، فلم يبق شيء منها، وفي الحديث: إنه ﷺ قال لرجل كان يخدَع في بيعه: «إذا بايعتَ فقل لا خِلابة» أي لا خداع.

ولا نسمع من يقول: خَلَب الفريسة يخلبها خَلْباً بمعنى أخذها بمِخلَبه.

٢٠٠ ــ خلس:

عُرِف «الاختلاس» في العربية المعاصرة، وهو السرق بخفّة وخفية ونُهزة، ولم يعرف المجرّد «الخَلْس» وهو الأصل أي الأخذ في نُهزة ومخاتلة.

قال الجوهري: خلستُ الشيء واختلسته وتخلَّسته إذا استلبتُه.

٢٠١ ــ خلف:

أقول: الخَلْف ضد قُدّام، فما جاء من الفعل والمصدر في خَلَف وخالَف، واختلَفَ، والخُلْف والخِلاف والخِلافة، ومن الأسماء كالخَلَف، فكله من الظرف.

ولكننا نتوقّف في خِلْف الناقة، ومِخلاف البَلَد أي بعضه.

٢٠٢ ـ خمم:

وخمَّ اللحم يَخِمّ ويَخُمّ خَمّاً وخُموماً فهو خَمٌّ وأخَمُّ أي مُنْتِن.

أقول: وهذا مما لا نراه في الفصيحة المعاصرة ولكننا نلقاه في الألسن الدارجة.

٢٠٣ ـ خنس:

الخُنوس: الانقباض والاستخفاء، وخَنَسَ يَخنِس ويَخْنُس.

أقول: وهذه الدلالة كثيرة في الألسن الدارجة، ولا نكاد نظفر بها في الفصيحة المعاصرة.

٢٠٤ ـ خنن:

والخَنَن والخُنّة والمَخَنّة كالغُنَّة، ورجل أخَنّ أي أغَنّ مسدود الخياشيم.

أقول: والأخَنّ والخُنّة من الكلم الدارج، وقلما يرد في اللغة المعاصرة.

* *
* *
* *

حـرف الدال

٢٠٥ ــ دبش:

دَبَشَ الجرادُ في الأرض يدبِشُها دَبْشاً: أكَلَ كَلأَهَا، والمدبوش: الذي أكل الجرادُ نبته. وأرض مدبوشة إذا أكل الجراد نبتها.

أقول: وهذا من الكلم الخاص وحقّه أن يُنظرَ إليه.

٢٠٦ ــ دجل:

الدَّجْل: شدّة طَلْي الجَرَب بالقَطِران، ودَجَلَ البعير: طلاه بالقُطران أو الهِناء.

ودَجَلَ الرجل: كَذَب فهو دجّال، لأن الكذب تغطية.

أقول: دلالة الكذب تأتي من التغطية فهي ضرب من المجاز.

٢٠٧ ــ دجن:

ودَجَن في بيته إذا لزمه، وبه سميت دواجن البيوت، وهي ما أَلِف البيت من الشّاء وغيرها، والواحدة داجنة، ودَجَنَت الناقة والشاة تدجُن دجوناً، وهي داجن، لزمتا البيوت.

والدواجن الحمَام كالدواجن من الشّاء والإبل.

أقول: وقد خُصَّت «الدواجن» في عصرنا بالدجاج والطيور التي تُرَبّى في البيوت والحقول.

٢٠٨ ــ دحح:

يقال: اندَحَّت الأرض كَلأً إذا اتَّسَعت بالكلأ، واندَحَّ بطنه اتَّسعَ.

أقـول: وانداح بـطنُه وداح بمعنى اتّسـع. وهذا يشيـر إلى أن بين المضاعف والأجوف صلة، وكلاهما أصل.

٢٠٩ ــ دحض:

الدَّحض: الزَّلَق، والادحاض الإزلاق.

أقول: وقد بقي الدحض في قول المعاصرين: دحضت حُجَّته، وكأن الفعل يفيد: البطلان والزوال.

٢١٠ ــ دغل:

الدَّغَل: الفساد مثل الدَخَل، والدَّغَل: دَخَل في الأمر مفسد.

والدَّغَل: الشجر الكثير الملتف.

أقول: والدَّغَل في لغة أهـل الفلاحـة في العراق في عصـرنا يعني الأعشاب الكثيرة البريّة.

٢١١ ــ دفر:

الدَّفر: الدَّفع، دفَرَ في عنقه دَفْراً أي دَفَع في صدره ومنعه، يمانية.

وقال ابن الإعرابي: دفَرَته في قفاه دفراً أي دفعتُه.

أقول: وهذا ممـا بقي في بعض الألسن الدارجـة، وقد خلت منـه الفصيحة المعاصرة.

٢١٢ ــ دقل:

الدَّقَل من التمر: أردأ أنواعه، قال الراجز:

لـو كنتمُ تمـراً لـكنـتُـم دَقَـلا
أو كـنْـتُـم مـاءً لـكـنـتُـم وَشَـلا

أقول: والدَّقَل، وواحدته دَقَلة، وهي النخلة التي أصلها نواة فنبتت فصارت نخلة، هذا مصطلح المعاصرين، وليس بالضرورة أن يكون تمر الدقلة رديئاً.

أقول: والدَّقَل بمعنى صاري السفينة من دَقَل النخل لأنه في الأصل جذْعُ هذه النخلة.

٢١٣ ـ دكك:

و «دَكَّ» الأرض دَكّاً: سوّى صَعودَها وهَبوطها، ودكّ الترابَ يدكّه دَكّاً: كَبَسَه وسَوّاه.

أقول: وهذا مما حفلت به الألسن الدارجة، وليس شيء منه في الفصيحة المعاصرة.

٢١٤ ـ دَهْدَهَ:

دَهْدَهْتُ الحجارة ودَهْدَيتُها إذا دحرجتها.

أقول: وهذا كله في الألسن الدارجة في عصرنا وليس في الإعراب المعاصر.

٢١٥ ـ دهس:

الدُّهْسة: لون كلون الرمال وألوان المِعزَى. والدَّهْس: الأرض السهلة يثقل فيهاالمشي. أقول: وصرفها المعاصرون إلى ما يعرض للرجل تدوسه مركبة أو سيارة فتؤذيه رضّاً وكسراً وجرحاً.

وذهب أهل تصحيح الكلم إلى أنها «دَعْس» من قولهم: طريق مدعوس أي دَعَسْته ووطئته القوائم.

٢١٦ ـ دوف:

دافَ الشيءَ دَوفاً وأدافَه: خَلَطه، وأكثر ذلك في الدواء والطيب.

أقول: وهذا مما بقي في الألسن الدارجة، وخلت منه الفصيحة المعاصرة.

٢١٧ ـ دوك:

مثل الدكّ، ودكَّ الشيء، دقّه وسَحَقَه.

أقول: وورد في الاستعمال القديم: داكَ الطيبَ والشيء يدوكهُ بالمِدْوَك وهو حَجِر يُسحَق به الطيب مثل داف بهذه الخصوصية الدلالية.

٢١٨ ـ ديخ:

الدِّيخ: القِنْو وجمعُه دِيخَة مثل ديك ودِيكَة.

أقول: وهذا من الكلم العامي يعرفه أهل النخيل في بعض المواطن في العراق، على أن الفصيحة المعاصرة قد خلت منه.

* * *

حرف الذال

٢١٩ ـ ذأم:

ذأَمَ الرجلُ يذأمه ذَأْمًا: حقَّره وذَمَّه وعابَه.

أقول: وهذا باب ما يشترك فيه المهموز والأجوف والمضعف وفيه الذَّأم والذامُ والذَمُّ.

٢٢٠ ـ ذرق:

ذَرْق الطائر: خُرْؤه، وذَرَق الطائر يذرُق، ويذرِق.

أقول: وهذا من كلم العوامّ وليس شيء منه في الفصيحة المعاصرة.

٢٢١ ـ ذرو:

ذَرَت الريح الترابَ وغيره تذروه وتذريه ذَرْواً وذَرْياً وأذْرَته وذرَّته: أطارَتْه.

أقول: وهذا من باب ما يشترك فيه الناقص والمضعف.

٢٢ ـ ذفر:

الذَّفَر: شدَّة ذَكاء الريح من طيبٍ أو نَتَن...

أقول: وهذا من الكلم القديم، إلا أن في بعض الألسن الدارجة شيئاً منه، وهو «الزفر» بإبدال الزاي من الذال، وذهابه إلى رائحة اللحم، وما يبقى من ذلك في الآنية والأيدي.

حرف الراء

٢٢٣ ـ ربق:

والرِّبْقة: نسيج من صوف أسود عَرضه مثل عَرض التِّكّة، وفيه طريقة حمراء من عهن تُعقَد أطرافها، ثم تعلّق في عنق الصبيّ وتُخرج إحدى يدَيه منها كما يُخرج الرجل إحدى يدَيْه من حمائل السيف، وإنما تعلّق الأعراب الرِّبَق في أعناق صبيانهم من العَين.

أقول: و «الرِّبقة» بقيت في العربية المعاصرة في قول القائل: التخلّص من ربقة الاستعمار. والربقة هنا استعملت توسّعاً ومجازاً.

٢٢٤ ـ رتج:

الرِّتاج: الباب العظيم أو الباب المغلق، وقد ارتج الباب إذا أغلقه إغلاقاً وثيقاً، والمرتاج: المِغلاق.

وأُرتِجَ عليه، على ما لم يُسَمَّ فاعله: إذا لم يقدر على القراءة، كأنه أُطبق عليه كما يُرتج الباب.

أقول: وهذا كله نادر في الفصيحة المعاصرة، غير أن المتأدبين يستعملون الفعل «ارتج» في حال من يُصاب بالعجز عن الكلام، إلا أن منهم من يسيء نطقه فيضعِّف الجيم.

٢٢٥ ـ رتل:

الرتل: حسن تناسق الشيء وتنضيده.

أقول: والرَّتل من المصطلح العسكري في العراق وهو عدد من الجند لثلاث حضائر أو أربع.

٢٢٦ ــ رثع:

ورجل رَثِع: حريص ذو طمع، والراثع: الذي يرضى من العطيّة بالقليل.

أقول: وليس شيء من هذا في الفصيحة المعاصرة، ولكن العامة في العراق يعرفون الرثِع للدنيء الطامع، ويكسرون الراء والثاء.

٢٢٧ ـ رزم:

الرِّزمة، بالكسر، من الثياب: ما شُدَّ منها في ثوب واحد.

أقول: وتجاوزت الرزمة في لغة المعاصرين الثياب، وصارت تطلق على جملة من الكتب المشدودة، وكذلك رزمة الرسائل، وهي في العربية المعاصرة بضم الراء لا كسرها.

٢٢٨ ــ رعب:

رَعَبَه يَرعَبُه رُعْباً فهو مرعوب ورعيب: أفزعه.

أقول وقد نصّ الأوائل فقالوا: لا تقل أرْعَبَه ورعَّبه ترعيباً، في حين ذهب المعاصرون إلى «أرعَب» ولم يكن للثلاثي مكان في لغتهم.

٢٢٩ ــ رفد:

رَفَدَه يرفِده رَفْداً: أعطاه، ورفَدَه وأرفَدَه: أعانَه، والاسم الرِّفد.

أقول: والكثير اليوم الفعل المزيد: أرفَد.

٢٣٠ ــ رقم:

والرَّقم: ضرب مخطط من الوشي.

أقول: وشيء من هذا باق في عامية جنوب العراق للبسط الموشّية المخططة.

٢٣١ ــ رقن:

وقد رَقَن رأسَه إذا خَضَبه بالحنّاء، ورَقَنَت الجارية ورقَّنَت وتَرَقَّنت إذا اختضَبَت بالحِنّاء.

والترقين: تزيين الكتاب، ورَقَّنه: قارب بين سطوره، ونَقَطه وأعجمه.

والمرقون: مثل المرقوم.

أقول: وانصرف الفعل في عصرنا إلى الضرب على الآلة الكاتبة، وقد سُمِّيت في بعض البلاد بـ«الراقنة». ويُقال: رَقَّن قَيْدَه، أي حذفه وألغاه.

٢٣٢ ــ ركب:

الركوب في الأصل فعل الراكب للخيل والإبل وغيرها مما يُركب من الحيوان.

أقول: وقد اتُّسع فيه في العربية المعاصرة فصار يقال: ركب السيارة، وركبْ الطائرة، ونحو ذلك.

٢٣٣ ــ رمق:

الرَّمَق: بقيّة الحياة أو بقية الروح، وجمع أرماق.

أقول: ولم يرد في العربية المعاصرة إلا في قول المعربين مثلاً: أكل الجائع بعض ما يسُدّ به رمَقَه.

٢٣٤ ــ رمم:

الرَّمُّ: إصلاح الشيء الذي فَسَد بعضه، واستَرَمَّ الحائط أي حان له أن يُرَمَّ إذا بعُد عهده بالإصلاح.

أقول: وهذا مما لا نجده في العربية المعاصرة، ولكننا نجد «التَّرميم» لإصلاح البناء كالدار ونحوها ليس غير، وقد يتّسعون فيه إلى غير ما هو بناء.

٢٣٥ ـ روح:

وأرْوَح اللحم: تغيَّرت رائحته، وكذلك الماء وأراح.

أقول: وبعض هذا في الألسن الدارجة فيقال: استروح اللحم.

٢٣٦ ـ روز:

ورازَه يروزه رَوزاً: جرَّب ما عنده وخبره، والرَّوز: التجربة والامتحان والتقدير.

أقول: وهذا مما لا وجود له في العربية المعاصرة إلا أن العامة في العراق وغيره يقولون: راز الشيء أي وضعه في يده ليدرك وزنه وثقله.

* * *
* * *

حـرف الـزاي

٢٣٧ ـ زبر:

الزَّبْر: الكتـابة، وزَبَـرت أزبِره: كتبتـه. وزبرتـه إذا أتقنت كتابتـه. والزَّبور: الكتاب المزبور، والجمع زُبُر.

والمِزبَر: القلم. وفي حديث أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ: أنه دعا في مرضه بدواة ومِزبَر، فكتب اسم الخليفة بعده.

أقول: وهذا كلّه مما لم نجد في الفصيحة المعاصرة، غير أننا نجد في بعض الألسن الدارجة: زَبَر الكتاب بمعنى أعجمه وضبط شكله.

والزَّبر: الزجر والمنع.

وهذا أيضاً ممـا ذهب وزال وبقي في بعض الألسن الدارجـة بهذا المعنى.

٢٣٨ ـ زحلف:

والزَّحْلَفة: كالدحرجة والدفع، يقال: زحلفَتْهُ فتزحْلَفَ.

أقول: وهذا من الكلم الدارج في عصرنا. وهو كما أرى، من الكلم المنحوت وأصله: زَحَفَ وزَلَفَ.

وقد أصل ابن فارس في «معجم مقاييس اللغـة» كثيراً من الأصـول الرباعية بهذه الطريقة.

ومثل هذا «زَحْلَقَ» وأصله: زَحَقَ وزَلَق.

٢٣٩ ـ زلج:

ومكان زَلْج، وزَلَجَ، أي زَلَق، والتزلُّج: التزلّق...

أقول: والفعل من الكلم الدارج، غير أن المعاصرين صرفوا «التَزلُّج» في الفصيحة المعاصرة إلى ضرب من الرياضة وهي التَزَلُّج على الجليد.

٢٤٠ ـ زلز:

«والزِّلِّزَة هي الطّياشة الخفيفة، وقيل: هي التي ترود بيوت جيرانها أي تطوف فيها. وإنه لزَلِزٌ في مجلِسه أي قَلِق، وزَلِزَ الرجل أي قَلِقَ.

أقول: وبعض هذا معروف في الألسن الدارجة، وقد خلت منه الفصيحة المعاصرة.

٢٤١ ـ زمل:

والزَّميل: الرديف على البعير، والمزاملة: المعادلة على البعير.

والزميل أيضاً: الرفيق في السفر الذي يُعينك على أمورك، وهو الرديف، والزاملة: بعير يستظهر به الرجل يحمل عليه متاعه وطعامه.

أقول: وقد توسَّع المعاصرون فذهبوا إلى أن الزميل صاحبك في عملك فالمعلّمون والأساتذة والطلاب كل أولئك زملاء أي إن كل واحد زميل صاحبه.

٢٤٢ ـ زمن:

الزَمَن أو الزَّمان معروف.

والزَّمِن: ذو الزَّمانة، والزَّمانة: العاهة، وهو زمين إيضاً، والجمع زَمْنَى.

أقول: وهذا كله من الأصل وهو «زَمَن».

وقد ولّد المعاصرون الفعل: «أزمَن» وقالوا أزمَنَ المرض. وقالوا: زامَن هذا الحَدَث ذاك، أي حَدَثا في زَمَن واحد، وكذا تَزامنا، والمصدر مزامنة وتزامُن، وكل هذا جديد.

٢٤٣ ـ زنخ:

وزَنِخَ الدُّهْن زَنَخاً: تغيَّرت رائحته، فهو زَنِخ.

أقول: وهذا كثير في الألسن الدارجة في عصرنا، قليل في الفصيحة المعاصرة.

٢٤٤ ـ زهف:

الإزهاف: الكذب.

أقول: والزهف في بعض الألسن الدارجة بمعنى الخطأ في السلوك عند ارتكاب المحظور.

٢٤٥ ـ زود:

الزَّود: تأسيس الزاد وهو طعام السفر والحضر جميعاً، والجمع أزواد.

والمزوَد: وعاء يُجعَل فيه الزاد.

أقول: وهذا غير بعيد عن الأصل «زيد» الذي هو الزيادة، والفعل في هذا يأتي، وبعض الألسن الدارجة تجعله واواً، فيقال: يزود بمعنى يزيد.

٢٤٦ ـ زين:

الزَّيْن خلاف الشَّيْن... والفعل زان، وما يتصل بالفعل من المفردات كله من فصح العربية.

أقول: وقلما يرد في الفصيحة المعاصرة الوصف بـ «الزَّين» خلاف الشين، ولكنه كثير في لغة العامة في العراق.

وقد سمعت «مزِيان» بمعنى «زَيُن» في لغة عامّة الجزائريين.

٢٤٧ - زيي:

«الـزِّيّ»: الهيئة من النـاس، والجمع أزيـاء، وجاء في لغـة بعض المعاصرين بفتح الزاي.

أقول: وصُرِف «الزَّيّ» في العربية المعاصرة إلى اللباس وهيئته.

حـرف السيـن

٢٤٨ ـ سبت:

وسَبَتَ يسبُتُ: استراحَ وسَكَنَ.

والمُسْبت: الذي لا يتحرّك، وقد أسبَتَ.

أقول: وهذا قلَّ أن نلمحه في الفصيحة المعاصرة، ولكننا نجده في جملة من الألسن الدارجة.

٢٤٩ ـ سبل:

و «سَبَّل» ضيعته: جعلها في سبيل الله، أي جعل ثمرتها.

أقول: ومثل هذا يقال في عامية أهل العراق: سبَّل الماء أي جعله في سبيل الله، وهم يطلقون «السبيل» على الماء المباح للسابلة يشربون منه.

٢٥٠ ـ سخف:

السُّخْف والسَّخْف والسَّخافة: رقّة العقل، والفعل سَخُفَ، وهو سخيف.

أقول: وأصله من الثوب السخيف للرقيق النَّسْج، بيِّن السخافة.

ومن المفيد أن أشير أن العامة في العراق يصفون السخيف، وهو رقيق العقل، بأن عقله خيط وخيط، ويعنون أنه مفرَّق الخيوط في النسج.

٢٥١ ـ سذج:

وحُجَّة ساذِجة وساذَجة، غير بالغة.

أقول: وهو من الكلم المعرَّب نظير مالجَ وفالج ولوزينجَ وطازَج ونحو ذلك، وأصله الفارسي «سادَه».

والأصل الفارسي معروف في عاميّة أهل العراق، فيقال: قماش سادَه أي غير مخطط، ومن لون واحد.

وتصرف المعاصرون في «ساذَج» فولّدوا مصدراً هو «السذاجة»، وجعلوه على وزن «فاعِل» فجمعوه على «سُذَّج»، وجملة هذا في عربية معاصرة.

٢٥٢ ـ سرجن:

و «السَّرجين»: ما تُدَمَّل به الأرض، وقد سَرْجَنْتها، وهو معرَّب، ويقال فيه: سِرقين أيضاً.

أقول: والكلمة عامية دارجة وقل أن نراها في الفصيحة المعاصرة.

٢٥٣ ـ سرح:

و «المسْرَح»: مَرْعَى السَّرْح، وهو جملة المال (الحيوان) الراعي...

أقول: وقد تفنّن المعاصرون فكان «المسرح» المعاصر، وهو معروف.

٢٥٤ ـ سرط:

وسَرَط الطعام سَرْطاً: بَلِعَه...

وجعلوا منه السِّراط للسبيل الواضح، ويُروَى بالصاد.

أقول: وليس «السِراط» من الفعل «سرط»، بل هو معرَّب من الرومية التي أرادوا بها الإغريقية.

٢٥٥ ــ سطم:

«سَطَمَ» الباب: ردَّه كسَدَمه.

أقول: والكلم الآن من العاميّ الدارج، وليس في الفصيحة المعاصرة.

٢٥٦ ــ سطو:

السَّطْو: القهر والبطش، وسَطَا عليه سَطْواً: صال...

أقول: والسَّطْو اختصَّ في لغة عامّة العراقيين بالسَّطو الذي يمارسه اللصوص على البيوت ليلاً.

٢٥٧ ــ سعط:

و «السَّعوط والنَّشوق: الدواء في الأنف، وسَعَطه يسعَطه، وقد يرد بالصاد لغة.

والمِسْعَط والمُسْعُط: الإناء يجعل فيه السعوط.

أقول: وشيء من هذا ما زال في اللغة الدارجة دون الفصيح، وللمعاصرين به فائدة لو وقفوا عليه.

٢٥٨ ــ سفط:

و «السَّفَط»: الذي يُعَبَّى فيه الطِّيب وما أشبهه من أدوات النساء.

أقول: وهو معروف في بعض الألسن الدارجة.

٢٥٩ ــ سفف:

و «سَفَّ» الخُوصَ يسُفُّه سفّاً: صنَعَ من السُّفَة والسفيفة، وهو كالنسيج...

أقول: وهذا في عصرنا من الكلم الخاص بالعاميّ الدارج.

٢٦٠ ــ سلح:

والسُّلاح: النَّجْو، وقد سَلَح يسلَح سَلْحاً، وأسلَحَة الدواء.

أقول: وجملة هذا مما خلت منه الفصيحة المعاصرة، وثبت في بعض الألسن الدارجة.

٢٦١ ــ سلف:

أقول: وأفاد المعاصرون من دلالة المادة وهي السبق فأخذوا الاستلاف بمعنى الدين بسَبق: وكان من ذلك السُّلْفة.

٢٦٢ ــ سوق:

و «السَّوق» معروف، ولكن المعاصرين أخذوا منه الفعل «سوَّقَ» فكان «التسويق» من المصطلح التجاري أي وضع البضاعة وتهيئتها للسوق.

حرف الشين

٢٦٣ ـ شجب:

و «شَجَبَ»، بالفتح، يشجُب، الضم، شُجوباً، وشَجِب، بالكسر يشجَب شَجَباً فهو شاجب وشجِب: حَزِنَ أو هَلَكَ، وشَجَبَه الله: أهلَكه.

أقول: ولا أدري كيف ولّد المعاصرون الفعل «شَجَب» بمعنى استنكر ورفض في قولهم مثلاً: شجب الرئيس موقف الولايات المتحدة من أزمة الخليج.

٢٦٤ ـ شجر:

الشَجَر: معروف.

أقول: ومنه أخذ الفعل شجر بمعنى الخصومة في قوله تعالى: ﴿فيما شجر بينهم﴾.

ومنه كان الشجار بمعنى المخاصمة، واشتجر القوم تقابلوا بالسلاح.

قلت: إن الأصل هو «الشجر المعروف»، وذلك لاشتباك أغصان الشجرة بعضها ببعض.

٢٦٥ ـ شحذ:

و «شحذ» السكّين شحذاً أحدَّه بالمِسَنّ.

أقول: وسُمِّي السائل شحّاذاً لكثرة سؤاله الناس.

وذهب المعاصرون إلى استعمال الفعل استعمالاً على المجاز فقالوا: شَحَذَ الهمة، وكأنه أحدَّها كما أحدَّ السكّين.

٢٦٦ ــ شخب:

يقال: شَخَب اللبن من الضَّرُع، أي كان له صوت.

ويقال: شَخَب الجُرح دماً.

أقول: وهذا كله كَلم قديم لم يبق شيء في الاستعمال الحديث، وقد يرد لدى الشعراء الذين ما زال بهم حاجة إلى الكلم القديم.

٢٦٧ ــ شطر:

وللناقة شطران قادمان وآخِران، فكل خِلفَين شطر، والجمع أشطر.

أقول: وهذا لا يعرف في عصرنا إلا في العامية ذات الأصول البدوية.

٢٦٨ ــ شعب:

و «الشَّعْب»: القبيلة العظيمة، وقيل الحيّ العظيم، والشَّعب: أبو القبائل الذي ينتسبون إليه، وقال تعالى: ﴿وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا﴾.

أقول: وقد اكتسب «الشعب» في العربية المعاصرة قيمة يعرض لها علماء الاجتماع في درسهم الحديث.

٢٦٩ ــ شعث:

و «الشَّعْث»: انتشار الأمر وخلله، وتَشعَّث الشيء تفرَّق.

أقول: وهذا يرد في العربية المعاصرة في قول القائلين: عمل الرؤساء على لَمّ الشَّعْث.

٢٧٠ ـ شعف:

و «شَعَفات الرأس: أعالي شَعْره...

أقول: والواحدة شَعْفة، وهذه من الكلم القروي في عصرنا.

٢٧١ ـ شغب:

و «الشَّغْب»: تهييج الشرّ.

أقول: والكلمة مشهورة كثيرة الاستعمال، وتفتح غينها في الاستعمال خلافاً للفصيح.

٢٧٢ ـ شغل:

أقول: وفي بلدان الشمال الإفريقي (تونس والجزائر والمغرب) يرد «الشُغْل» بمعنى «العمل» مصطلحاً اقتصادياً، وهم يقولون: وزارة الشُّغل أي وزارة العمل.

٢٧٣ ـ شفف:

و «شَفَّه الحزن بمعنى لذَعَه وأنحَلَه...

أقول: وهذا على بقائه قليلاً في الفصيحة المعاصرة، فهو من الكلم العامي الدارج.

٢٧٤ ـ شكم:

و «الشكيمة» من اللجام: الحديدة المعترضة في الفم..

أقول: واستعمال الكلمة مجازاً على سبيل التوسع هو المعروف قديماً وحديثاً، يقال: فلان قويّ الشكيمة، أي شجاع يتحمّل الصعاب.

٢٧٥ ـ شنر:

و «الشَّنار»: العيب والعار..

أقول: وهذه لا ترد إلا اتباعاً لكلمة العار في كلامهم قديماً وحديثاً، فيقال مثلاً: هذا يجلب العار والشنار.

٢٧٦ ــ شيب:

أقول: كأن بين «الشوب» بمعنى الاختلاط، والشيب بخصوصيته في اختلاط الشعر الأبيض بالأصل الأسود علاقة.

وقد أفادت العربية من الواو والياء في خصوصية الفروق الدلالية، ومن ذلك البون والبين، والأون والأين وغير ذلك.

حـرف الصـاد

٢٧٧ ــ صبر:

الصَّبْر: معروف، وهو نَصْب الإنسان للقتل، فهو مصبور.

والصَّبّر هو الحبس، والمصبور هو المحبوس. وسُمِّي الصوم صَبْـراً لما فيه من حبس النفس عن الطعام والشراب والنكاح.

أقول: وقد لمح أهل الشمالي الإفريقي هذا المعنى فجعلوا المصبور والمُصَبَّر للأطعمة والفاكهة الموعَبة في «عُبوات» معدنية، وهو ما يُسمّى في المشرق العربي، «المعلَّب».

٢٧٨ ــ صدد:

و «الصَّدَد»: الناحية، وهو ما استقبَلَك، وهو القُرب، وهو القصد.

قال ابن سيده، قال سيبويه هو صددُك، ومعناه القصد. قال: وهي من الحروف التي عزَلَهَا ليفسّر معانيها لأنها غرائب.

ويقال: صدَّ السبيل إذا استقبَلكَ عَقَبةً صعبة فتركتَها وأخذتَ غيرها.

وأما قوله تعالى: ﴿أمّا مَن استَغْنَى فأنتَ له تصَدَّى﴾ فمعناه تتعرّض له وتميل إليه وتقبل عليه.

قال الأزهري: وأصله من الصدَد، وهو ما استقبَلكَ وصار قُبالتك.

أقول: وهذا من باب أن المضاعف الماضي قد تمطل فتحة آخـره

فتتحول إلى الألف مثل: مطَّ وتمطّى، وعَدَّ وعَدَّى. وقد يكون تَسَنَّى من سَنَّ أو أنه فعل من مادة «سَنَة».

٢٧٩ ـ صدر:

الصدر: مقدَّم كل شيء وأوله، فقالوا صَـدْر النهار والليـل، وصدر الشتاء والصيف.

أقول: والصدر هو صدر الإنسان، وهو الأصل، ومنه اتّسع المعربون فقالوا: صدر النهار، وغيره.

وصدر القناة: أعلاها، وصدر الأمر أوَّله وكذلك صدر كل شيء.

والمصدور الذي يشتكي صدره.

وما يُلبَس على الصدر هو الصِّدار من أسماء الآلة والصُّدرة.

أقول: وقد ذهب المعاصرون إلى «الصَدْرية» لما يُلبَس على الصَّدر، وفاتهم الصِّدار والصّدرة.

أقول أيضاً: إذا كان المصدور هو الذي يشتكي صدره فهلّا فطنَ أهل العلم فولّدوا الصُّدار بضم الصاد، لأمراض الصدر عامة أو لبعضها قياساً على المصادر التي تدل على الأدواء والأعراض كالصداع والزكام وغيرهما؟

وأنت تجد في مادة صدر سعة ذهب إليها المعرب القديم في حاجته وفطنته.

٢٨٠ ـ صدع:

و «الصَّدْع»: الشقّ في الشيء الصُلب، كالزجاجة والحائط.

ثم اتُسع في دلالة الشق كما في قوله تعالى: ﴿يومئذ يَصَّدْعون﴾ قال الزجّاج: معناه يتفرَّقون فيصيرون فريقين فريق في الجنَّة وفريق في السعير، وأصله يتصدَّعون.

والصَّدّع: نبات الأرض لأنه يصدعها يشقّها، وهذا في قوله تعالى: ﴿والأرض ذات الصَّدْع﴾.

و «الصديع»: الفجر لانصداعه.

وصَدَعَ بالأمر، يصدَعُ صَدْعاً: أصاب به موضعه وجاهَر بـه، وفي التنزيل: ﴿فاصدَع بما تُؤمَر﴾.

قال ابن الأعرابي: أي شقّ جماعتهم بالتوحيد.

٢٨١ ـ صدف:

الصُدوف: المَيل، وأصدَفَني عنه: أمالني، وعدَلَ بي، وفي التنزيل: ﴿سنجزي الذين يصدِفون عن آياتنا...﴾ أي يُعرضون. والصُدوف من النساء: التي تصدِف أي تُعرض عن زوجها، والمصادفة: الموافقة.

أقول؛ وقد ذهب المعاصرون من المصادفة إلى توليد «الصُدْفة» بمعنى ما وقع من أمر على غير توقّع، وهذا مولّد جديد.

٢٨٢ ـ صَرْح:

الصَّرح والصَّريح والصَّراح والصِّراح والصُّراح، والكسر أفصح: المحض الخالص من كل شيء، وصَرُح الشيءُ: خَلُص، وكل خالص صريح.

والصريح: الرجل الخالص النسب، والجمع صُرحَاء، وقد صَرُحَ صروحةً وصَراحةً.

والصريح: اللبن إذا ذهبت رَغوته.

أقول: وكأن الوضوح في دلالة مادة «صرح» قد كان حلقة الوصل فيما ذهبت فيه هذه المادة، فقالوا: يوم مصرِّح، أي ليس فيه سحاب.

وصرَّح فلان بما في نفسه وصارح أي أظهر ووضَّح وأبان.

وليس بعيداً أن يكون في «الصَّرح»، وهو البيت يُبنى منفرداً ضخماً طويلاً في السماء، هذه الدلالة العامة.

٢٨٣ ـ صرد:

الصَّرْد والصَّرَد: البرد، وقيل: شدّته، وصَرِد يصرَدَ صَرَداً فهو صَرِد.

أقول: والكلمة معرَّبة وأصلها الفارسي «سَرْد».

غير أن سبيل العربية في طائفة من المعرّبات يجري على عدّها عربية توسُّعاً في الأبنية والاشتقاق.

٢٨٤ ـ صرف:

الصَّرْف: رَدُّ الشيء عن وجهه، صَرَفَه يصرِفه صَرْفاً، فانصَرَفَ.

والصَّرْف: الحيلة، والصَريف هو اللبن الذي ينصرف عن الضرع حارّاً.

وتصريف الرياح: صرفها من جهة إلى أخرى، وتصريف الآيات: بيانها.

والصَّرف: فضل الدرهم على الدرهم، والدينار على الدينار.

أقول: وقد تصرفت العربية في هذه الدلالة الأخيرة فكان التصريف في البياعات، والصرّاف والصيرف، والصيرفي.

وقولهم: لا يُقبَل له صرف ولا عَـدْل. والصَرف فيه الحيلة، ومنه التصرّف في الأمور، والعدل الفداء، وقيل الصرف التطوّع، وقيل التوبة، والعَدل: الفرض.

ولنا أن نتوقف في «الصريف» وهو صوت الأنياب والأبواب فلا نستطيع أن نعقد صلة بينها وبين ما تقدّم.

٢٨٥ ـ صعد:

صَعِدَ المكانَ وفيه صُعوداً وأصعَدَ وصعَّد: ارتقى مُشرفاً.

والصَّعود: الطريق صاعداً، والجمع أصعدة وصُعُد، والصَّعود: العقبة الشاقة، أو المشقة ومنه قوله تعالى: ﴿سأرُهقُه صَعوداً﴾.

والصَّعود ضد الهَبوط.

وصعَّد في الوادي يُصعِّدُ تصعيداً وأصعَدَ إذا انحدَرَ فيه.

«الصعيد» الأرض، وقيل: الطيبة، والصعيد: الطريق، سُمِّي بالصعيد من التراب، والجمع صُعْدان وصُعْد.

أقول: وقد أكثر المعاصرون من استعمال صعيد على طريق التوسع فقالوا مثلاً: هذا يجوز في مختلف الأصعدة. والمعنى في مختلف الأحوال والمقامات، ولم يرجعوا إلى أن جمع الكلمة هو صُعْدان وصُعْد.

والتصعيد: الإذابة، ومنه قبل: خُلٌّ مصعَّد، وشراب مصعَّد، إذا عولج بالنار حتى يحول عما هو عليه طعماً ولوناً.

أقول: وقد أفاد أهل الكيمياء الحديثة من «التصعيد» فكان من مصطلحهم.

٢٨٦ ـ صغر:

الصِّغَر ضد الكِبَر. والصِّغَر والصَّغارة خلاف العِظَم، وقيل: الصِّغَر في الجِرْم، والصَّغارة في القَدَرْ.

وصَغُرَ صَغارة وصِغَراً، وصِغِرَ يصغَر صَغَراً.

والصَّغار: الذُلُّ والضيم.

أقول: وهذا شيء يسير من سعة العربية في التفريق بن الماديّ والمعنويّ.

٢٨٧ ـ صفق:

الصَّفْق: الضَّرْب الذي يُسمَع له صوت، ومثله التصفيق بالأيدي.

وصَفَق: يصفقه صَفْقاً، وأصفَقَه أي أغلقه.

أقول: وكأنّ في «الصفق» ما يصحبه من صوت.

وثوب صفيـق: متين بيّن الصَّفاقة، كثيف نَسجه.

أقول أيضاً: ولعل من هنا اتّسعَ المعاصرون فوصفوا الرجل الغليظ الذي لا يدرك ولا يتأثّر فقالوا: صفيق، وهذا مولّد جديد.

٢٨٨ ـ صقع:

وصَقَعَه يصقَعُه صَقْعاً: ضَرَبَه ببُسْط كِفّه، وصَقَع رأسَه. عـلاه بأي شيء كان.

أقول: وهذا مما بقي في العامية، يقولون: صَقَعه أي ضـربه على رأسه خاصة.

والصقيع: الذي يسقط من السماء بالليل يشبه الثلج.

أقول: ولعل الصقيع في لغة المعاصرين من هـذا الذي يسقط من السماء لأن من وُصف بـ «الصقيع» هو البارد الثقيل، ولا ندري أيكون فيه أيماءه للمضروب على رأسه؟ والعامة تبدل السين من الصاد.

٢٨٩ ـ صكك:

و «صَكّه» أي ضَربَه، ومنه قوله تعالى: ﴿فصَكَّت وجهها﴾.

والصَكَّة: شدّة الهاجرة، يقال: لقيتُه صَكَّة عُمَيّ، وهو مَثَل.

أقول: وهذا مما بقي في لغة الإعراب في العراق في عصرنا هذا.

٢٩٠ ـ صلف:

الصَّلف: مجاوزة القَدْر في الظَّرْف، والادّعاء فوق ذلك تكبر، والفعل صَلِفَ.

وفي الحديث: «آفة الظرف الصَلَف» وهو الغلوّ في الظرف والزيادة على المقدار مع تكبُّر.

أقول: و «الصلف» في إعراب المعاصرين هو الوقاحة والخروج على الأدب مع خشونة وتكبّر.

٢٩١ ـ صمد:

و «صمَدَه» يصمِده صَمْداً، وصَمَدَ إليه، قَصَده، وفي حديث عليّ - رضي الله عنه -: «فصَمْداً صمداً حتى ينجلي عمود الحقّ».

والصَمَد: السيد المطاع. ومن صفاته تعالى، قال تعالى: ﴿الله الصَمَد﴾ أي المقصود.

والمُصَمَدُ لغة في المُصمَت، وهو الذي لا جوف له.

أقول: وقد ذهب المعاصرون إلى معنى الثبات في الفعل «صَمَدَ» مع القوّة والمقاومة، وولّدوا منه مصدراً هو «الصمود»، وجملة هذا عربية معاصرة جديدة.

٢٩٢ ـ صهو:

و «الصَّهْوة»: ما يتَّخذ فوق الروابي من البروج في أعاليها.

أقول: ومن هذا الصَّهوة لدى أهل جنوب العراق الخيمة العالية الواسعة.

٢٩٣ ـ صوب:

الصَّوب: نزول المطر، ومَطَر صَوُب وصَيِّب وصَيّوب.

أقول: والصَّوب في العربية المعاصرة الجانب، وللنهر مثلاً صَوْبان، صوب من كل جهة، والصوب الأرض الواسعة من كل جانب، وهذا عاميّ مفصَّح.

* * *

حـرف الضـاد

٢٩٤ ــ ضبب:

والضَّباب: نَدىً كالغيم، والواحدة ضبابة.

وقالوا: أضَبَّ يومُنا وسماء مُضبَّة، وأضبَّ الغَيم: أطبَق.

أقول: و «الضباب» معروف في لغتنا المعاصرة وفي الألسن الدارجة ولكننا لم نتصرف فنستعمل الفعل أضَبَّ ولا الصفة مُضِبّ، ولنا في ذلك حاجة.

٢٩٥ ــ ضحح:

الضَّحُّ: الشمس، وقيل ضوؤها.

أقول: والمضعف هنا يلتقي بالناقص «ضَحْـو» والضَّحوُ والضّحـوة: ارتفاع النهار.

٢٩٦ ــ ضرب:

الضَّرْب معروف.

أقول: وقد استعير إلى كل ما فيه أذىً، قال تعالى: ﴿وضُرِبَت عليهم الذلةُ والمسكنة﴾ ومنه «الضريبة» التي تضرب على الناس في أحوال شتّى.

وقال تعالى: ﴿فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عَدَدا﴾.

ومن أجل هذا اقتضى الفعل حرف الجر «على» للوفاء بهذا الغرض.

٢٩٧ ـ ضرر:
الضرَرُ أو الضُرُّ معروف.

أقول: ويلتقي بالمضعّف الأجوف وهو الضَّير، والفعل ضارَ يضيرُ.

ولي أن أذهب إلى الناقص ضَرَى ضَراً وضراوة فأجد في كل ذلك قرباً في الدلالة.

٢٩٨ ـ ضغط:
الضّغْط: عَصْر كلّ شيء، وضَغَطه يضغَطه ضغطاً: زَحَمه إلى حائط ونحوه.

والضُّغطة: الضيق والإكراه، وفي الحديث: «لا يشترينَّ أحدكم مالَ امرىءٍ في ضُغْطَة من سلطان» أي قهْرٍ.

أقول: و «الضغط» في العربية المعاصرة من الكلم المفيد الذي دخل في مصطلح علمي وافر.

٢٩٩ ـ ضلع:
و «الضَّلعَ: الاعوجاج، ويميل صاحبه عن الاستواء والاعتدال لثقله.
وقيل: الاعوجاج خِلقةً يكون في المشي من المَيْل. والفعل ضَلِعَ يَضْلَع.

أقول: وأجد الظَّلْع بالظاء، يقال ظَلَعَ الرجل والدابّة في مشيه يطلعَ ظَلعاً: عَرِج وغَمَزَ في مشيه.

أقول أيضاً: إن هذا غير بعيد من ضَلِعَ بضلَع» فهلا كان هذا من تقارب الصوتين الضاد والظاء، أو هل كان هذا لدى قبيلة وذاك لدى قبيلة أخرى؟

٣٠٠ ـ ضمد:
ضَمَدْتُ الجُرحَ أضمِده ضمْداً: شدَدته بالضِّماد. وضمَّد فلان رأسَه

تضميداً أي شدّه بعصابةٍ أو ثوب ما خلا العمامة.

أقول: وما يتصل بالجراح يكون الفعل فيها ثلاثياً مجرّداً بخلاف ما هو معروف في العربية المعاصرة التي يكون فيها المضعف هو المستعمل، والمصدر التضميد.

٣٠١ ـ ضمن:

الضمين: الكفيل، وضَمِنَ الشيء وبه ضَمْناً وضماناً: كَفَل به. وضَمَّنه إياه: كَفَلَه.

والضمانة والضمان: الزَّمانة والعاهة، وهو ضَمَن لا يُثنّى ولا يُجمع ولا يُؤنَّث، مريض، فأما ضمِن بمعناه فالجمع ضمِنون. وضمين وجمعه ضَمنَى.

أقول: ولم أجد «التضامُن» على معنى أحدهم يضمن الآخر في العربية، وما أظن المعاصرون أرادوا بـ «التضامن» التكافُل، بل أراهم أنهم قصدوا «الاتحاد» ومن هنا ترد «التضامن» في كلامهم مع الاتحاد كما ترد مع «التكاتُف» ولي في هذه الأخيرة كلام سيأتي في موضعه.

أقول أيضاً: إذا كان هذا هو المراد فإن التضامن لا يعني الاتحاد بأي وجه، وكأني أراهم قصدوا التضامُّ» مصدر «تضامَّ» على «تفاعَلَ» وهو بغير الألف واللام «تضامٌّ» بالتنوين مع الضمّ.

وقد أخطأوا في النطق فحذفوا التشديد من الميم ورُسِمَ التنوين نوناً فكان «التضامُن».

٣٠٢ ـ ضيف:

ضِفتُ الرجل ضَيفاً وضيافةً، وتَضيَّفتُه: نزلت به ضيفاً ومِلت إليه. وقيل: نزلتُ به وصرت له ضِيفاً.

وضِفتُه وَتَضَيَّفتُه: طلبتُ منه الضيافة. وقال تعالى: ﴿فأبوا أن يُضَيِّفوها﴾. وقال أبو الهيثم: وأضافه وَضيّفه عندنا بمعنى واحد.

قال الأعشى:

تضيَّفتُه يوماً فأكرَم مقعدي وأصفَدَني على الزمانةِ قائدا

واستضافه: طلب إليه الضيافة، قال أبو خِراش:

يطير إذا الشَّعْراء طافت بحَلْبِه كما طارَ قِدْح المستضيف المُوَشَّمُ

وكان الرجل إذا أراد أن يستضيفَ دارَ بقِدْحٍ موشَّمٍ ليُعلَم أنه مُستضيف.

أقول: وهذا يعني أن المعاصرين في استعمالهم الفعل «استضاف» قد ابتعدوا عن الأصل، وهو عندهم أن الرجل يُنزل عنده رجلاً آخر ضيفاً.

* * *

حـرف الطـاء

٣٠٣ ـ طبب:

الطِّبّ: علاج الجسم والنفس. ورجل طَبّ وطبيب: عالم بالطِّبّ.

والطَّبّ والطبيب: الحاذق من الرجال، الماهر بعِمله. وبه سُمِّي الطبيب الذي يُعالج المرضَى.

والمتطبّب: الذي يُعاني الطِّبّ، ولا يعرفه معرفةً جيدة.

٣٠٤ ـ طبخ:

الطِّبْخ: إنضاج اللحم وغيره اشتواءً واقتداراً، والطبّاخ: معالج الطبخ وحرفته الطِّباخة. وطبَخَ الحَرّ الثمر: أنضَجَه. وطبائخ الحرّ: سمائمها في الهواجر.

أقول: لا بد من تصحيح ما ورد في «لسان العرب» وهو «الثمر» وصوابه التَّمر. وما زال العراقيون يسمون أياماً بعينها في أواسط شهر تمّوز «طبّاخات الرُّطَب».

٣٠٥ ـ طبع:

الطَّبْع والطبيعة: الخليقة والسجيّة التي جُبِل عليها الإنسان. والطَّباع كالطبيعة، مؤنثة.

وقال الزجاجي: الطِّباع واحد مذكّر كالنِّحاس والنِّجار.

وقال الأزهري: ويجمع طَبْع الإنسان طباعاً.

أقول: وهكذا تداخل الإفْراد والجمع في «طباع» بحسب ما ذكر اللغويون.

٣٠٦ ـ طبق:

الطَّبَق: غطاء كل شيء، والجمع أطباق.

أقول: وقد جعل المعاصرون «الطبق» للإناء الذي يوضع فيه الطعام المطبوخ.

٣٠٧ ـ طحم:

و «الطَّحْمة» ضرب من النبت، وهي الطَّحْماء، وقال أبو حنيفة: الطَّحْمة من الحَمْض عريضة الورق كثيرة الماء.

أقول: وما زال هذا النبت معروفاً في العراق يسمع في العامية الدارجة.

٣٠٨ ـ طرأ:

والحَمام الطُرآنيّ لا يُدرَى من حيث أتى، وهو نَسَب على غير قياس.

أقول: وما زال الطيوريّون في العراق يطلقون على الطير الغريب (الحمام) الذي لا يعرف له اسم وصنف «طوْارني».

٣٠٩ ـ طرط:

الطَّرَط: خفّة شعر العينين والحاجبين، طَرِطَ طَرَطاً فهو طَرِط.

أقول: وهذا من الكلم المفيد الذي لم يفطن له المختصّون.

٣١٠ ـ طرف:

ورجل طِرْف ومتطرِّف ومستطرِف: لا يثبت على أمر.

أقول: وهو الطَّرِف كما ذكر المجد في «القاموس»، وذلك لأن للطِرْف معاني كثيرة غير هذا.

٣١١ ــ طعم:

وأهل الحجاز يطلقون لفظ «الطعام» على البُرّ خاصة، وفي حديث أبي سعيد: كنا نُخرج صدَقة الفطر على عهد رسول الله ﷺ صاعاً من طعام وصاعاً من شعير. أقول: ومثل هذا كان أهل جنوب العراق من أهل القرى يطلقون «الطعام» على ما هو حَبّ من حنطة وشعير وأُرُزّ.

٣١٢ ــ طفل:

الطِّفْل قد يطلق على الواحد والاثنين والجمع مذكّراً ومؤنثاً، قال تعالى: ﴿أو الطِّفل الذين لم يَظهروا على عورات النساء﴾.

أقول: هذه فائدة تاريخية مع وجود «أطفال وطِفُلة» وقال تعالى: ﴿ثم يُخرجكم طِفلاً﴾.

٣١٣ ــ طمح:

طَمَحت المرأة تطمحَ طِماحاً، وهي طامح: نَشَزَت بعلها، والطِّماح مثل الجِماح.

وطمحَ بَصَري إلى الرجل: امتدّ إليه وعلا.

والطِّماح: الكِبْر والفخر لارتفاع صاحبه، وبحرٌ طَموح الموج: مرتفعة، وبئر طَموح الماء: مرتفعة الجُمّة، وهو ما اجتمع من مائها.

أقول: ولم أجد «الطموح» الذي يستعمله المعاصرون بمعنى الهَمّ إلى نيل المزيد.

٣١٤ ــ طمم:

وطم الشيءَ بالتراب طمّاً: كَبَسَه. وطمَّ البئر يطمُّها بمعنى كَبَسها.

أقول: وهذا من الكلم الدارج في عصرنا واستبدلوا به في العربية المعاصرة الفعل «رَدَمَ».

٣١٥ ــ طوح:
و «المُطوِّح»: الذي طُوِّح به في الأرض أي ذهب به.

أقول: ومثل هذا شيء ما زال في الألسن الدارجة.

٣١٦ ــ طور:
الطَّور: التارة، تقول: طوراً بعد طور، قال تعالى: ﴿وقد خلقكم أطواراً﴾

أقول: واشتقّ المعاصرون لفظ «التطوّر» فكان من الكلم السائر المفيد.

* * *

حـرف الظـاء

٣١٧ ـ ظأر:

الظِّئْرُ: العاطفة على غير ولدها المرضعة له من الناس والإبل، الذكر والأنثى سـواء، والجمع أظؤُرٌ وأظـآر وظؤور وظُؤار، على فُعال بـالضم، والجمع الأخير من الجمع العزيز نظير تُؤام وعُراق وغيرها.

أقول: وهذا من الكلم المفيد الذي يحسُن أن يكون لنا في حياتنا الحاضرة.

٣١٨ ـ ظأم:

الظَّأم والظَّأْب بمعنى السِّلْف، وقد تَظاءَ مـا، وهو أن تتـزوج امرأة ويتزوّج غيرك أختها فهو ظأم لك وأنت ظأمه.

أقول: وهذا من الكلم المفيد لاتساع العربية له اشتقاقاً.

وهذا هو «العديل» في عاميّة العراقيين.

٣١٩ ـ ظرف:

الظَّرف: البراعة وذكاء القلب، وحسن الهيئة، والحذق بالشيء.

والظَّرْف في اللسان يتصل بالأدب وحسن معرفته والإفصاح عنه.

والظَّرف: وعاء الشيء، ويدخل في الأزمنة والأمكنة.

أقول: وليس من سبيل إلى إدراك العلاقة بين الظرف، وهو البراعة والذكاء وجملة أخرى من المناقب وبين الظرف للزمان والمكان!

٣٢٠ ــ ظلل:

ظلَّ نهاره يكدح، ولا يقال ذلك إلا في النهار، ومنه قوله تعالى: ﴿فظَلْتُم تفكَّهون﴾.

أقول: وكأنَّ «ظلِّ» تقابل «بات» في الاختصاص بالليل كما كانَ من ذلك في الاختصاص أصبحَ وأضحَى وأمسَى.

حـرف العيـن

٣٢١ ـ عبأ:

وما عَبَأتُ بفلانٍ عَبْأً أي ما ما باليتُ به. وما أعبَأ به عَبْأً أي ما أباليه، وقال تعالى: ﴿قل ما يعبَأ بكم ربي لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاماً﴾.

قال الأزهري: وهذه الآية مشكلة. وروى ابن نجيح عن مجاهد أنه قال في قوله: ﴿قل ما يعبأ بكم ربي﴾ أي ما يفعل بكم ربي لولا دعاؤه إياكم لا تعبدوه وتطيعوه...﴾

وقال أبو عبدالرحمن: ما عبأت به شيئاً أي لم أعدّه شيئاً.

أقول: إذا كان في استعمال الفعل في الآية وفي غيرها إشكال، فقد استقر استعمالها في العربية المعاصرة على نحو ما مثّل من قولهم: ما أعبأ به، أي ما اهتم ولا أبالي.

ولا يرد إلا مستقبلاً.

وقالوا: عَبأت الجيش عَبّأً وعبَّأتُهم تعبئةً، وقد يترك الهمز. وكذلك عَبَأ الطّيبَ والأمرَ يعبؤه عَبأً: صنعه وخَلَطه.

أقول: وفي هذا يلتقي المهموز والناقص، وهو كذلـك في العربيـة المعاصرة وقد جدّ في هذه العربية «عَبَا يعبو»، ومنه «العبوة» بضم العين أو فتحها، وقد يقال: «عُبُوّة» بتشديد الواو، وكل هذا عربية معاصرة.

٣٢٢ ـ عبر:

عَبَرَ الرؤيا عَبْراً وعبارة وعَبَّرها: فسَّرها، قال تعالى: ﴿إن كنتم للرؤيا تعْبرون﴾.

وقالوا: عَبَر الرؤيا واعتبر فلان كذا، أي اعتبر بعضه ببعض. وقيل: أُخذ هذا كله من العِبرْ وهو جانب النهر.

أقول: وليس الفعل «عَبَر» للرؤيا معروفاً في العربية المعاصرة بل يقال عبَّر عنها بالتضعيف، والفعل قاصر.

ثم إن «العِبْر» في هذه اللغة بمعنى العبور كعبور النهر، ويستعمل مجازاً فيقال: هو يصل إلى مراده عبر الوسائل التي استعملها وأفاد منها.

٣٢٣ ـ عبط:

عَبَط الذبيحة واعتبَطها: نَحَرها من غير داء..

أقول: وهذا من الكلم القديم الذي بقي بعضه في الألسن الدارجة، يقال: عَبَط الخروف أي أخذه بقوة وذبحه.

٣٢٤ ـ عتد:

والعَتاد: العُدّة، والجمع أعتِدة وعُتدُ، قال الخليل: والعَتاد هو الشيء الذي تُعدّه لأمر ما وتُهيِّئه له، يقال: أخذ للأمر عُدَّته وعَتاده أي أُهبته وآلته. قال تعالى: ﴿ وأعتَدَت لهُنّ مُتَكَئًا﴾.

أقول: وقد خُص في العربية المعاصرة العَتاد بالسلاح ليس غير.

والعَتيد هو المُعَدّ الحاضر، وقال تعالى: ﴿هذا ما لديَّ عتيد﴾.

٣٢٥ ـ عتل:

والعَتَلة: المَدَرة الكبيرة تتقلَّع من الأرض إذا أُثيرت، وعَتَلَه يعتِله عَتْلاً فانعتل: جرَّه جَرّاً.

أقول: و «العَتَلة» من الكلم الاصطلاحي في علم الطبيعة وهي كل آلة يستعان بها على القلع والجذب والتحريك، وتـدخل كثيـراً في أجزاء المكائن.

والفعل في استعمالنا كاستعماله القديم.

٣٢٦ ـ عتم:

وعَتَم الرجل عن الشيء يعتِم عَتْماً: كَفَّ عنه بعد المضيّ فيه. قال الأزهري: وأكثر ما يقال: عتَّمَ تعتيماً.

أقول: ولا نملك في العربية المعاصرة إلا الوصف منه بزنـة اسم الفاعل من الرباعي وهو «مُعتِم» ويستعمل لـلأجسام غيـر الشفافـة، وأكثر استعماله في علم الضوء من الفيزياء.

٣٢٧ ـ عثر:

يقال: عثَر يعثُر ويعثِر بثوبه. ومن معاني العاثور: ما عُثِر به.

أقول: ومثل هذا في العربية المعاصرة، غير أننـا نقرأ كثيـراً قولهم مثـلاً: وعَثَر رجـال التنقيب على نفائس كثيـرة، بمعنى وجـدوا في أثنـاء تنقيبهم.

٣٢٨ ـ عثكل:

العِثكال والعُثكول: العِـذْق أي الشِّمراخ.

أقول: وهو في عامية العراقيين «عِثِك» في حين وَرَد العَثَك والعُثَك والعُثُك في العربية القديمة بمعنى عرق النخلة.

٣٢٩ ـ عدم:

العَدَم والعُدْم: فقدان الشيء وذهابه، وغَلَب على فقد المال وقلّته.

وعَدِمَه عُدْماً وعَدَماً فهو عَدِم.

وأعدَمَ إذا افتقر، وأعدَمَه غيرُه، والعديم: الفقير.

أقول: وقد جدَّ في عربيتنا «الإعدام» وهو حكم بالموت على القاتل والخائن وغيرهما.

٣٣٠ ــ عذر:

واعتَذَر فلان اعتذاراً ومعذرة من دَينه فعذرتُه. وعَذَره يعذِرُه فيما صَنَع عُذراً...

أقول: وزعم أهل التصحيح في عصرنا: أن قول القائل: «اعتذر عن المجيء» خطأ. صوابه: اعتذر عن عدم المجيء، وعبارة «لسان العرب» ترد عليهم ما ذهبوا إليه

٣٣١ ــ عرس:

والعروس: نعت يستوي فيه الرجل والمرأة ما داما في إعراسهما. يقال: رجل عَروس في رجال أعراس وعُرُس، وامرأة عروس في نسوة عرائس.

أقول: وقد خُصت «العروس» في العربية المعاصرة بالمرأة، فأمّا الرجل فهو عَريس، وهذا جديد مولّد.

وقد فرقت العربية القديمة في لفظة عروس بدلالتها على الرجل والمرأة ببناء الجمع.

٣٣٢ ــ عرش:

وعَرْش الكرم: ما يُدْعَم به من الخشب، ويقال: عريش وجمعه عُرُش.

وقوله تعالى: ﴿جنّات معروشات﴾، المعروشات الكروم.

أقول: وعريش العنب ما زال معروفاً في عربيتنا الحاضرة والألسن الدارجة.

٣٣٣ ـ عرص:

العَرْصة: كل جَوْبة مُنفتقة ليس فيها بناء، والجمع عِراص وعَرَصات.

أقول: وما زالت هذه الكلمة القديمة في بعض البلاد العربية.

٣٣٤ ـ عزب:

والعزيب من الإبل والشاء: التي تعزُب عن أهلها في المرعَى.

أقول: وهذا من كلم الأعراب في عصرنا.

٣٣٥ ـ عشو:

العَشَا: سوء البصر بالليل والنهار، وقد عَشِيَ يعشَى عشاً وهو عَشٍ وأعشَى.

وقالوا: وقد عَشَا يَعشو عَشْواً، وهو أدنىَ بَصَره وإنما يعشو بعدما يَعْشَى.

أقول: وهذا كله قلما يرد في الفصيحة المعاصرة ولكنه مسموع في الألسن الدارجة.

٣٣٦ ـ عصب:

العَصَب معروف واحد الأعصاب.

أقول: وقد جدَّ من هذه المادة أي من التعصُّب والعَصَبية قولهم: فلان عَصَبيّ، أي حاد المزاج يثور بسرعة.

٣٣٧ ـ عصر:

أقول: وقد تصرَّف المعربون قبل عصرنا هذا فأخذوا الفعل «تعاصَرَ» وقالوا في تراجم الرجال: إنهما متعاصران، أي هما في عصر واحد. وقد زاد أهل عصرنا فصنعوا الفعل «عاصَرَ» أي وافق الرجل صاحبه في عصره، وزادوا توسعاً فقالوا: عاصر الرجل انبثاق الثورة.

ثم زادوا واتخذوا المصدر «معاصرة» مصطلحاً اجتماعياً جديداً ذا دلالة خاصة.

٣٣٨ ــ عضو:

اتسعت العربية المعاصرة في «العضو»: وهو عضو الجسد كاليد والرجل وغيرهما، فاستعمل لمن يكون أحد جماعة خاصة ذات عمل خاص فقالوا: هو عضو في الجمعية الخيرية مثلاً.

٣٣٩ ــ عقد:

والعقيد: المعاقِد والحليف، قال أبو خراش:

كم من عقيدٍ وجادٍ حلّ عندهُمُ ومن مُجارٍ بعهد الله قد قَتَلوا

أقول: والعقيد رتبة عسكرية عالية في عصرنا.

حـرف الغيـن

٣٤٠ ــ غبب:

وغَبَّ الرجل إذا جاء زائراً بعد أيّام، ومنه قوله: زُرْ غِبّاً تزدَدْ حُبّاً.

أقول: وفي هذا معنى «الغياب»، وهنا يلتقي المضاعف مع الأجوف. ويدل على وجود هذا اللقاء أننا نجد من مصدر «غابَ» الغيبوبة، والتضعيف فيه ظاهر.

وجاء: غبَّ الطعام والتمر يغِبّ غَبّاً وغُبوباً، فهو غابّ: بات ليلة فسَدَ أم لم يفسُد، وخصّ بعضهم به اللحم.

أقول: وشيء من هذا ما زال في لغة قسم من العراقيين.

٣٤١ ــ غبر:

وغَبَرَ الشيء يغبُر غُبــوراً: مكثَ وذهب، وغَبَـر الشيء أي بقي، والغابر: الباقي، والغابر الماضي، وهو من الأضداد.

أقول: والغابر كما نستفيده من هذا من غير النظر إلى الضدِّية هـو المستمر، وعليه فلا وجه لحمله على الماضي وحده في لغة المعاصرين.

٣٤٢ ــ غبن:

الغَبْن، بالتسكين، في البيع، والغَبَن، بالتحريك في الرأي، وغَبِن الشيءَ وفيه غَبَناً وغبْنا.

أقول: وهذا من سعة العربية ومدى التدقيق فيها ذهاباً إلى الفروق الدلالية.

٣٤٣ ـ غرز:

وغَرَزت الناقة تغرُز غِرازاً وهي غارز من إبلٍ غُرَّز: قل لبنُها.

أقول: ومثل هذا لدى القـرويين في جنوب العـراق وهم يقولـون: غرزت البقرة بمعنى قلّ لبنها.

٣٤٤ ـ غضر:

الغَضار: الطين الحُرّ، والغَضارة: الصُّحفة المتَّخذة منه.

أقول: وما زال هذا لدى القرويين في العراق.

٣٤٥ ـ غطط:

وغَطّه في الماء يغُطُّه ويغِطُّه غَطّاً: غطَسَه وغمَسَه.

أقول: وهذا من الكلم الدارج في عصرنا.

* * *

حـرف الفـاء

٣٤٦ ــ فتر:

الفَتْرة: الانكسار والضعف، وفَتَر الشيء والحر يفتُر ويفتِر فتوراً. وماء فاتر: بين الحارّ والبارد.

أقول: وليس في العربية «فترة» بمعنى الحقبة، وربًّما جاءت مما ورد في قوله تعالى: ﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبيّن لكم على فترةٍ من الرسل﴾.

وقد شاعت الفترة بمعنى الحقبة في العربية المعاصرة.

٣٤٧ ــ فحل:

الفحل معروف، وجمعه أفحُل وفُحول وفُحولة...

أقول: وقد ابتعد عن العربية المعاصرة أن الفحولة جمع فَحْل، وقد شاعت مصدراً لـ «فحل».

والفحولة جمع كما في كتاب «فحولة الشعراء» مثل سهل وجمعه سهول وسهولة، وكذلك بعل وجمعه بعولة وبعول، وخيط وجمعه خيوطة وخيوط.

٣٤٨ ــ فدد:

والفَدان واحد الفدادين وهي البقر يحرث عليها، وقد يخفَّف.

أقول: والفدّان ليس من «فدد» فهي مثنى «فدّ» وأصله الفرد بعد فكّ التضعيف، والفدّان مثنى يشير إلى ثورين يجرّان المحراث الذي يحرث الأرض.

حـرف القـاف

٣٤٩ ـ قبع:

والقُبَعة: خرقة تخاط كالبرنُس يلبسها الصبيان.

أقـول: وهي كذلـك في بعض الألسُن الـدارجـة. وقـد أفـاد منهـا المعاصرون في توليد القُبَّعة.

٣٥٠ ـ قحب:

و «قَحَبَ» يقحُب قُحاباً وقَحْبـاً إذا سَعَل، والقَحْب: سعـال الشيخ وقيل هو عامٌّ.

وقال ابن سيدة: القَحْبة هي الفاجرة، وأصلها من السعال، أرادوا أنها تسعَل أو تَتَنَحْنَح ترمُز به.

أقول: وهكذا تتسع العربيـة في التحوّل إفـادةً من بعض الإشارات واللوازم.

٣٥١ ـ قدد:

القَدُّ: القطع المستأصِل والشَقّ طولاً.

أقول: وقل أن نجد هذا في الفصيحة المعاصرة، ولكننا كنا نسمع في الدارجة مثلاً: أن الثوب جديد قدّ، وهذا يشير إلى أنه جديد في قطعه من أصل القماش.

٣٥٢ ـ قدم:

أقول: وقد ولدّ المعاصرون «التقدُّمية» مصطلحاً يشير إلى التّقدّم في الحياة سلوكاً وممارسة، وهو من المصادر الصناعية.

٣٥٣ ـ قرأ:

ونسمع في العربية المعاصرة كلمة «استقراء» وهو مصدر معروف في معناه الحديث أي التتبع في الوصول إلى نتيجة. وقد بدا للمعاصرين أن فعله «استقرأ» ناظرين إلى همزة المصدر، والصواب أن الفعل «استقرى» من «القَرَى» وهو مجرى الماء، وتقرَّيت المياه تتبَّعتُها، وهو مثل «استقرَى».

وهمزة «استقراء» من الياء.

٣٥٤ ـ قرر:

القُرّ: البَرْد.

وقالوا: أقرَّ الله عَينَه، دعاء له بالطمأنينة والراحة، يقابل ذلك: أسخَنَ الله عينه، وهو قرير العين أي مطمئنّ هادىء.

أقول: لم نجد مادة «قرر» في العربية المعاصرة، ولكننا نجدها في الدعاء في قولهم أقرَّ الله عينه، وفي الصفة «قرير العين».

٣٥٥ ـ قرضم:

هو يُقرضِمُ كل شيء أي يأخذه.

أقول: هو رباعيّ ـ كما أرى ـ من أصلين هما قرض وقَضِمْ.

٣٥٦ ـ قرو:

والقَرْوة: أن يعظم جلد البيضتين لريح أو ماء أو لنزول الأمعاء.

أقول: هذه ظاهرة مرضية أو عرض يصيب الإنسان لا نعرفه في لغتنا المعاصرة بل هو في الألسن الدارجة.

٣٥٧ ـ قزل:

القَزَل، بالتحريك: أسوأ العَرَج وأشدّه، وقزِل يقزَل قَزَلاً وقَزَل يقزِل قَزْلاً، وهو أقزل.

أقول: وليس في عربيتنا الحاضرة هذا اللفظ ولكنه في الألسن الدارجة.

٣٥٨ ـ قسب:

القَسب: التمر اليابس.

أقول: هو من الكلم الدارج في العراق.

٣٥٩ ـ قسط:

يقال: أقسط إذا عَدَل، والمُقسِط من أسماء الله الحسنى. وقَسَط بمعنى جار وظَلَم.

أقول: كأن همزة أقسط للسلب نظير أوعد ووَعَد، وأعذَر وعَذر.

٣٦٠ ـ قشعر:

أقول: لعله من أصلين هما: قَشَر، وشَعَر.

٣٦١ ـ قصر:

القصر: هو المنزل وهو من حَجَر. . .

أقول: لعله معرَّب من الرومية (الإغريقية) التي نجد آثارها في اللغات الرومانية واللغات الهندية الأوربية.

ولم يشر أهل «المعرّب» إلى هذا. وقد توسعت به العربية فكان منه «المقصورة».

٣٦٢ ـ **قصص:**

والقِصّة: الخبر وهو القَصَص. وقصَّ علي خَبَره يقُصُّه قصّاً وقَصصاً: أورده.

والقصص: الخبر المقصوص.

والقصص، بكسر القاف، جمع القِصّة التي تُكتَب.

والقاصّ الذي يأتي بالقِصّة على وجهها كأنه يتتبّع معانيها وألفاظها.

أقول: ومن هنا جاءت القصة من معنى التتبُّع.

٣٦٣ ـ **قصل:**

القَصْل: القطع، والقصيل الذي تعلَفه الدواب لأنه مقصول أي مقطوع.

أقول: وما زال القصيل بمعناه في بعض الألسن الدارجة.

٣٦٤ ـ **قطر:**

والقُطر، بالضم: الناحية والجانب، والجمع أقطار، وفي التنزيل: ﴿من أقطار السموات والأرض﴾.

أقول: و «القطر» في عصرنا يتجاوز الإقليم، وهو وحدة واسعة لها كيانها ونظامها.

٣٦٥ ـ **قطع:**

وأقطعه الأرض أي رسمها له، والإقطاع يكون تمليكاً وغير تمليك.

أقول: و «الإقطاع» مصطلح اجتماعي اقتصادي يدل على عصر سبق الأنظمة الحديثة، يتصرف فيه الحاكم المطلق بالأرض. والإقطاع نظام عرفته العصور القديمة.

والقطع، بالكسر هو القطعة والقسم، وهو من باب ما يفيد اسم

المفعـول نحـو القِسْم أي المقسـوم والقِـطع أي المقــطوع والمِسْـخ أي الممسوخ والنِّقْض أي المنقوض، قال تعالى: ﴿فأسر بأهلك بقِطْع من الليـل﴾.

٣٦٦ ـ قطل:

القَطْل: القطع، وقَطَلَه يقطِله ويقطُله.

أقول: والقطل نظير القصل وبمعناه. ولنا أن ننظر في «قَتَل يقتُل».

٣٦٧ ـ قفخ:

قَفَخَ الشيء قفخاً وقِفاخاً: ضَرَبَه، ولا يكون القفخ إلا على شيء صلب أو على الرأس.

أقول: وليس هذا في الفصيحة المعاصرة إلا أن اللغة الدارجة في العراق فيها «الكَفخ» بهذا المعنى.

٣٦٨ ـ قفش:

القَفْش النكاح الكثير.

ولعلّه معرّب «كفج» الفارسية. وفي العامية العراقية شيء من هذا.

٣٦٩ ـ قفف:

القُفَّة: الزَّبيل، من خوصٍ ونحوه.

أقول: هو من الكلم العامي في العراق في عصرنا.

٣٧٠ ـ قفل:

والقافلة الراجعة، وسميت بذلك وصفاً يتفاءَل به في رجوع الجماعة الذاهبة. وهذا كإطلاق «المفازة» على الفلاة، وهو تفـاؤل بالفـوز والنجح ومثل هذا كثير.

أقول: والمعاصرون يطلقون «القافلـة» على المجموعة الذاهبة لأي غرض دون الإيماء للرجوع تفاؤلاً.

٣٧١ ـ قلب:

والقُلاب، على فُعال: داء يأخذ في القلب.

أقول: وكان من المفيد لو أن أهل التعريب فطنوا لهذا.

والقَلْب: قَلْب النخلة وقُلْبُها: لبُّها.

أقول: وهذا ما زال في عامية أهل النخل في العراق وغيره.

٣٧٢ ـ قلس:

القَلْس: أن يبلغ الطعام إلى الحلق ملء الحلق أو دونه ثم يرجع إلى الجوف.

أقول: وهذا عرض مرضي ينبغي أن يفطن له أهل الطب الحديث.

٣٧٣ ـ قلم:

أقول: والإقليم لا يندرج في مادة «قلم»، بل هو معرّب «*Climat*» وحقيقته أحوال المناخ وقد تُوسِّع فيه فدلّ على الأرض.

٣٧٤ ـ قمط:

والقِماط، بالكسر: الخرقة العريضة التي تُلفُّها الأم على الصبيّ إذا قُمِط، والقمط هو الشدّ. أقول: وجملة هذا عامي دارج أو شك أن يزول.

٣٧٥ ـ قمع:

والقِمَع والقِمْع: ما يوضع في فم السِّقاء والزِّقّ، ثم يُصَبّ فيه الماء والشراب أو اللبن، والجمع أقماع.

أقول: وهذه أداة ما زالت مستعملة ولا يعرف لها اسم عام لدى العرب عامة، وهي من أدوات البيت والعطّار والصيدلي وغيرهم.

والقِمَع والقِمْع ما على التمرة والبسرة.

حـرف الكـاف

٣٧٦ ـ كبب:

وكبَّ الشيء يكُبّه: قَلَبَه.

أقول: ومثل هذا في عامية أهل العراق يقال في الكـأس أو القدح يقلبه الرجل ليفرغ ما فيه من الماء أو الشراب.

٣٧٧ ـ كبس:

الكَبْس: طمُّك حفرةً بالتراب.

والتكبيس والتكبُّس: الاقتحام على الشيء.

أقول: والكلمة في الاستعمال الحديث تذهب إلى الضغط يقال كَبَس الماء أي ضَغَطه وضغط عليه. ومن ذلك ولّدوا المِكبَسِ وهو آلة ضاغطة.

ثم إن التكبيس بمعنى الاقتحـام يقـابله «الكبْس» في الاستعمـال الحديث.

٣٧٨ ـ كبل:

الكَبْل: قيد ضخم، وكبَلْت الأسير وكبَّلته إذا قيّدته، على أن الثلاثي هو الكثير، قال كعب بن زهير:

مُتَيَّم إثْـرهـا لم يُـفْـدَ مكبـول

وقال آخر:

إذا كنتَ في دار يُهينـك أهـلهـا   ولم تـكُ مكبـولاً بهـا، فتَحـوَّلِ

أقول: ولا نعرف «الكبْل» في العربية المعاصرة، ولكن في الاستعمال اسم المفعول من غير الثلاثي، يقال: جيء به مكبَّلًا بالقيود، ولا يقال «مكبولاً».

٣٧٩ ـ كتف:

الكتف معروف.

وقد ولّد المعاصرون «التكاتف» بمعنى الاتحاد، وليس هذا في العربية، وكأنّهم صحّفوا ما ورد في مادة «كَنَف» وهو «التكانف» وهو أن يكون الجمع في كَتَف واحد، فيكون بذلك اتحاد.

٣٨٠ ـ كرس:

و «تكَرَّس» الشيء: تراكَمَ، وتكَرَّسَ أُسُّ البناء صَلُب.

أقول: وهذا بعيد عن الفعل الجاري في الاستعمال الحديث وهو «كرَّسَ» بمعنى خَصَّ.

وهذا الفعل غير عربي وقد جاء في كتابات النصارى العرب في سياقات نصرانية ثم توسعوا فيه فدخل الميدان العام. وأصله فعل ديني يرد في الكتابات الغربية هو غير بعيد من «*Sacre*».

٣٨١ ـ كسح:

الكَسْح: الكنْس، كَسَح البيت والبئر يكسَحه: كَنَسَه، والمِكسَحة: المكنسة. والكُساحة مثل الكُناسة.

أقول: وهذا غير معروف في العربية الحديثة، والذي منه هو المزيد اكتَسَحَ، يقال: أغاروا عليهم فاكتسحوهم، أي أخذوا أموالهم.

والكُساح معروف وهو الزمانة في اليدَين والرجلين، وأكثر ما يستعمل في الرجلين. وهو أكسَح وكسيح.

٣٨٢ ـ كسل:

الكَسَل معروف وهو التثاقل عما لا ينبغي أن يُتثاقَل عنه، والفعل: كَسِلَ وأكسل. وهو كَسِل وكسلان، والجمع كُسالى وكَسلَى، والأنثى كَسِلة وكَسلى وكسلانة وكسول ومِكسال.

أقول: ودأب المعاصرون على استعمال كَسول صفة للمذكر.

٣٨٣ ـ كشح:

الكَشْح: ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف، وهو من لدن السُّرّة إلى المَتْن.

أقول: وهذا من الكلم القديم غير أن بعض المتأدبين يستعملون الكلمة مقلدين قولاً قديماً وهو لنضرب صفحاً ونطوِ كَشْحاً، وقد لفتهم إلى هذا استواء التناسُب والسجع.

٣٨٤ ـ كشر:

الكَشْر: بُدوّ الأسنان عند التبسّم.

وكشَرَ السبُع عن نابه إذا هرَّ الحراش، وكَشَر فلان لفلان إذا تشَمَّر له وأوعَده كأنه سَبُع.

أقول: والفعل مضعّف في الاستعمال الفصيح الحديث، وكذا في الألسن الدارجة، يقال: وكشرّ عن نابه.

٣٨٥ ـ كشط:

وكَشَط الغطاء عن الشيء، والجلدَ عن الجزور، ومثله قَشَط أو أن هذه لغة.

أقول: وكَشَط وقشط من الكلم الدارج، وليس شيء منه في الفصيحة المعاصرة.

٣٨٦ ـ كفأ:

كافأه عن الشيء مكافأة وكفاءً: جازاه. والكفيء: النظير، والكفاءة: المماثلة.

أقول: ويذهب المعاصرون إلى أن «الكفاءة» هي القدرة وهذا غير صحيح وصوابها «الكِفاية»، وهو كافٍ للشيء أي يقدر عليه لا «كُفء» لأن الكُفْء هو النظير، قال تعالى: ﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾.

٣٨٧ ـ كمم:

وكمَّ الشيء ستَرَه.

والكِمام والكمامة: ما يُسَدّ به فم البعير والفرس لئلاّ يَعَضّ.

أقول: واختار المعاصرون «الكمامة» لما يقي من الغبار والحرارة والنار والغازات، ومنها كمامة الجنديّ. ولكن المعاصرين جعلوها «فَعّالة» بالتشديد، وفاتهم أن بناء فِعال وفعالة، بكسر الفاء، من أبنية الآلة قبل الأبنية القياسية.

٣٨٨ ـ كنف:

انظر: كتف.

٣٨٩ ـ كود:

والكَوْد: كل ما جمعته من طعام وتراب، وكوَّد التراب: جمعه وجعله كثبة، بما فيه.

أقول: وليس لنا في العربية الحديثة شيء من هذا، ولكنه معروف في بعض الألسن الدارجة، وقد سمعته من البصريين في عصرنا.

*

حرف اللام

٣٩٠ ـ لبخ:

واللبيخة: نافجة المِسْك، وتلَبَّخ بالمسك: تطيَّب به.

أقول: و «اللَّبخة» في لغة المعاصرين ما يوضع من معجون العلاج على الجرح أو الدمامل، والفعل لبخ يلبخ.

واستعار هذا العمال الذين يكسون الجدران بالملاط أو الحصى أو الاسمنت.

٣٩١ ـ لبد:

لَبَد بالمكان يلبُد لبوداً، ولَبِدَ لَبَداً، وألبَدَ: أقام به ولَزِق.

أقول: وبقي هذا في عامية أهل القرى في العراق.

٣٩٢ ـ لزم:

الفعل معروف، وما يأتي منه كثير مشهور.

وأقول: ولدى أهل الصنعة المطبعية لفظ «المَلْزمة» مصطلحاً فنياً لعِدّة ستّ عشرة صفحة.

فيقال: الكتاب في عشر ملازم أي أنه يقع في ١٦٠ صفحة. وأهل الشمال الإفريقي يدعون هذه الست عشرة صفحة «كُرّاسة».

٣٩٣ ـ لطأ:
اللَّطْء: لزوق الشيء بالشيء، والفعل: لِطىء يلطَأ لَطْأً.

أقول: وبقي هذا الفعل في بعض الألسن الدارجة.

٣٩٤ ـ لطط:
ولَطَّ الباب لطّاً: أغلَقه.

أقول: أدرك العامة أن في اللّط صوتاً فقالوا مثلاً لطّ الباب إذا أحدثوا صوتاً.

وقالوا: لطّه أي ضربه مع صوت.

٣٩٥ ـ لكم:
اللَّكُمُ باليد: الضرب.

أقول: وولد أهل عصرنا «الملاكمة» لضرب من الرياضة معروف مشهور.

* *

حـرف الميـم

٣٩٦ ـ مأج:

المَأْج: الماء المِلْح.

أقول: وهذا مما خلت منه العربية الفصيحة المعاصرة، ولكن عوام العراق يقولون ماء مَجّ، بهذا المعنى.

٣٩٧ ـ مجج:

و «مَجَّ» الشراب من فيه مَجّاً ومجَّ به: رماه...

أقول: وهذا من الكلم العامي الدارج في عصرنا، وليس شيء منه في الفصيح.

٣٩٧ ـ مدن:

أقول: جُعل في المعجمات الميم والدال والنون أصلاً، وأكبر الظن أنه أُخذ من «المدينة» لشهرتها. والذي أراه أن الأصل «دين».

ومادة «دين» تنصرف إلى الحكـم والحساب والنظام وجملة ما يخرج عن هذه الدلالات.

٣٠٩ ـ مرء:

بدأ المعجم القديم بـ «المروءة» بمعنى كمال الرجولية، والإنسانية.

أقول: وكان ينبغي أن يبدأ بـ «المرء» وهو الإنسان والرجل.

٣٩٩ ـ مرد:

ومَرَد الشيءَ: ليَّنه، والمَرَد: الثريد...

أقول: وهذا مما انصرف إلى الألسن الدارجة.

٤٠٠ ـ مرن:

ومَرَن يمرُن مَرانةً ومرونةً: وهو ليّن في صلابة. ومرَّنه عليه فتمرَّن: درَّبه فتدرّب.

أقـول: ويستعمل المعـاصـرون «المِـران» مصـدراً لـ «مَـرَن»، وفي الحقيقـة أن «المِران» و «الممارنة» مصـدر: مارَنَت النـاقة، وهي مُمـارن بمعنى ظهر لهم أنها قد لقِحت ولم يكن بها لِقاح.

٤٠١ ـ مزن:

المُزن: السحاب عامّة، واحدته مُزْنة...

أقول: وما زال هذا من كلم الأعراب في مـواطن كثيرة ويخصـونه بالمطر المتقطع، وكل واحدة مُزنة.

٤٠٢ ـ معن:

المَعْن والمَعين: الماء السائل. وقيل: الجاري على وجه الأرض، وقيل: المَعْن هو الماء الظاهر.

أقول: وأرى أن يشار هنا إلى الأصل وهو «عين».

٤٠٣ ـ مغل:

والمَغْل والمَغَل: اللبَن الذي تُرضعه المرأة ولدها وهي حامل.

أقول: ويَدخل هذا الأصل في أصل: «غَيْل» والمعنى واحد. وكأن «الغيل» هو الأصل ثم دخلت الميم فكان «مغال» وقُصِّر الفتح الطويل فكان «مَغَل».

٤٠٤ ـ ملص:

قال الليث: إذا قبضتَ على شيء فانفلَتَ من يدك قلت: انمَلَص.

أقول: وهذا من الكلم الدارج في عصرنا.

٤٠٥ ـ ملط:

والأملط: الذي لا شعر على جسده ولا رأسه ولا لحيته، وقد مَلِط يمِلَط مَلَطاً.

أقول: وهذا أيضاً من الكلم الدارج في عصرنا.

حـرف النـون

٤٠٦ ـ نتج:

أقول: لم ترد «النتيجة» في المعجمات على شهـرتها واستعمـالها، وهي مما ولّدها أهل العلم في الحساب والجبر والكيمياء وغير ذلك.

وجملة مادة «نتج» في كتب اللغة تتصل بـ «النِّتـاج للناقـة والفرس وسائر البهائم.

ويقال: نُتجت الناقة، وأتان نَتوج.

٤٠٧ ـ نضح:

النضح: الرَشّ...

أقول: والنضْح في العربية المعاصرة كالنَزّ، يقال: كلُّ إناء ينضح بما فيه وكأن هذا يتجاوز عصرنا، قال الشاعر:

فكـلّ إنـاءٍ بـالـذي فيـه ينضـحُ

ومثل نَضَح نَضَخ.

٤٠٨ ـ نقز:

النَّقْر والنَّقَزان: كالوَثَبان صُعُداً، نَقَزَ الظبي...

أقول: وهذا من الكلم العامي الدارج في عصرنا.

٤٠٩ ــ نود:

نادَ الرجلَ نَوداً ونُواداً مثل ناسَ ينوس وناعَ ينوعُ أي تمايَلَ.

أقـول: وهـذا من الكلم الــدارج، وليس شيء منـه في الفصيــح المعاصر.

٤١٠ ــ نوش:

وناشه بيده بنوشه نَوشاً: تناوله.

أقول: وهذا أيضاً من الكلم الدارج في عصرنا.

حـرف الهـاء

٤١١ ـ هبر:

الهَبْر: قَطعُ اللحم، والهَبْرة، بَضْعة من اللحم لا عظم فيها.

أقـول: وهـذا من الكلم الـدارج وليس شيء منه في الفصيحـة المعاصرة.

٤١٢ ـ هتر:

ورجل مُسْتَهتَر: لا يبالي ما قيل فيه ولا ما قيل له ولا ما شُتِم به.

أقول: وهو الآن مستهترِ بزنة اسم الفاعـل بمعنى لا يبالي بـالخُلُق المتعارف عليه.

والفعل «استَهتَرَ» مبنياً للمعلوم وليس «استُهتِر» وهو الأصل.

٤١٣ ـ هدف:

الهَدَف معروف.

وقد ذهب المعاصرون إلى توليد الفعل «هَدَف يهدِف» بمعنى قصد ورَمَى إلى، فقالوا: هذا العمل يهدف إلى نتيجة معلومة.

٤١٤ ـ هرس:

هَرَسَ الشيء: دقّه، والهريس: الحَبّ المهروس. والهَريسة: الحنطة تهرس وتطبخ باللحم.

أقول: وجملة هذا شائع في الألسن الدارجة.

٤١٥ ــ هرق:

هراقَت السماء ماءها، وهي تُهريق، والماء مُهرَاق.

وهَرَقت مثل أرَقتْ، وقالوا: ولا يقال: أهرَقَت.

والهاء في الفعل كالهاء في: هَرَحتُ الدابّة وأرحتُها، وهَنَرْتُ النار وأنَرتُها.

وأهراق أهراقة يُهريق.

أقول: والفعل «هَراقّ» جاء منه بالبَدَل: أراق، ثم جاء منه هَرَق فكان الهاء على توهّم الأصالة.

٤١٦ ــ هزع:

وهَزَع الشيء وهَزَّعه: شقَّه.

أقول: وهذا من الكلم الدارج في عصرنا.

٤١٧ ــ هوش:

وهاشَت الإبلِ: نَفَرَت.

أقول: وهذا من الكلم الدارج في عصرنا، حتى إن العراقيين يطلقون على البقرة: «هايشة»، وجمعها «هُوش».

٤١٨ ــ هوع:

وهاعَ وتهوَّعَ: قاء، والهُواع: القيء.

وهذا أيضاً كلم عامي دارج لم يكن له أثر في العربية المعاصرة.

٤١٩ ــ هور:

و «تهوّر» تهدَّم.

والتهوّر في العربية المعاصرة معروف، وهو مأخوذ عن الفارسية، غير أنه في الفارسية يعني الشجاعة.

٤٢٠ ـ هيء:

الهيئة: الحال. وقالوا: هاء يهيء.

أقول: والهيئة بمعنى الحال أو الكينونة، وما «هـاء يهيء» إلا فعل مصنوع من «هيئة»، أعني أن «هيئة» سبقت وجود هذا الفعل الذي أُثبِتَ في معجمات العربية، وهو فُعل مُمات.

وكأني ألمح أن «الهيئـة» وُلِّدت من ضميـر الغائب «هي» كمـا وَلّد المعاصرون «هُويَّة» من «هو».

حرف الواو

٤٢١ ـ ودي:

الدِّية معروفة، والفعل وَدَى يدي.

أقول: والدية والوَدْي معروفان في الألسن الدارجة البدوية والقروية، وقل ظهورهما في العربية الفصيحة لزوال العمل بنظام الدية.

٤٢٢ ـ وشش:

الـوَشْوَشـة: كلام في اختـلاط. والوَشـواش من الـرجـال: الخفيف السريع.

أقول: والوشـوشة من الكـلام الفصيح والعـامي في عصرنـا، فأمـا «الوَشواش» فلا وجود له، غير أن في بعض الألسن الدارجة يقال: رجل موشوش، أي ضعيف.

٤٢٣ ـ وغر:

وَغِر صدرُه عليه يَوْغَر، ووَغِر يغِرُ إذا امتلأ غيظاً وحقداً.

والوَغرة: شدة الحرّ.

أقول: والوَغرة من الكلم الدارج في عصرنا.

٤٢٤ ـ وغي:

الوَغَىَ: الصوت. وأستعير لما يصحب الحرب من الصوت الشديد للسلاح وحركة المقاتلين. ثم تحوّل إلى الحرب نفسها.

أقول: وهذا التحول لعلاقة ما قد جَرَى في طائفة من الكلم في العربية.

٤٢٥ ـ وهم:

الوَهْم: خطرات القلب، والجمع أوهام، والفعل: وَهَم يوهَم وَهْماً.

وجاء الفعل وَهِم يوهَم وَهمَاً بمعنى غَلِط، ومنه الوَهَم في سجود السهو.

وتوهَّم الشيءَ: تخيَّلَه.

أقول: وقد يرد الفعل توهَّم في العربية المعاصرة بمعنى الغلط، وهو مما أُخذ من الكلام العامي الدارج.

❊ ❊ ❊

الفصل الثالث

الأصل القديم للمصطلح الحضاري

نسمع بين الحين والحين أصحابنا أهل علوم هذا العصر يتـوجهون إلينا، نحن أهل علوم العربية، بشيء من الغمز والنقد قائلين: كفوا عما أنتم فيه من «ضَرَبَ زيد عمراً». وكأنهم قد لمحوا أن عملنا انتهى في هذه المواد العتيقة من علوم العربية. ولم يـرد أصحابنـا هؤلاء من أهل العلم الجديد النيل من العربية أو أنهم يقدحون فيها، ولكنهم أرادوا أن يقولوا: إنكم يا أهل العربية بعيدون عن العلم في عصرنا هذا. ثم إنكم لم تضربوا بسهم في خدمة هذه العلوم العتيقة التي ابتعدت عن عصرنا وعلومه، لأنكم تقاعستم ولم تهتدوا إلى السبيل إلى فهمها وإفهامها.

قلت: لعل في هذه المقولة من الحق شيئاً كثيراً، ذلك أن أصحابنا أهل العربية درجوا على شيء لا يرضاه منطق هذا العصـر. إننا مـا زلنا نـدرس هذه اللغـة التي فرض عليهـا أن تسايـر العصر، بـطرائق العصور المتأخرة في تاريخ العـربية. ومـا زالت مصنفات القـرن السادس والقـرن السابع الهجريين، بل حتى القـرون اللاحقـة هي مفصل الـرأي في علم النحو العربي.

وكأن ليس بيننا وبين أهـل العلوم في هذا العصـر من صلة الرحم وشائج تفرض علينا السير في طريق واحد، ومنهج واحد هو منهج العصر الحديث. أو كأننا، نحن دارسي العربية، في جزيرة تقطعت بها الأسباب

فلا صلة لها بالمعمور العامر بالعلم في دنيانا هذه. أخلص من هذه الكلمات لأعرض لشيء من مناهج الدرس في العربية وما أدّت إلى نتائج غير سليمة.

لقد قال دارسو أدبنا القديم: إن اللغة في النصوص القديمة هي لغة بدوية، أقول: ليس في الأمر ما يجافي الصواب، ولو أن هؤلاء الدارسين قد التزموا بمنهج العلم القائم على «الموضوعية» لانتهوا إلى نتائج أخرى تضيف إلى بداوة اللغة مادة جديدة. ومن العجيب أن دارسي العربية غير ميالين للأخذ بالجديد، أو قل غير مبالين بما يحزبهم إلى التغيير لما هو متعارف في كتب الدرس القديمة.

قلت: إن مقولتهم ببداوة اللغة حق لا مراء فيه، ولكنهم لم يَسْتَقْروا المادة القديمة من النصوص الكثيرة استقراءً وافياً ليخلصوا إلى هذه النتيجة. ولو أنهم فعلوا ذلك لوجدوا شيئاً آخر يضيفونه إلى مقولتهم فينتهون من ذلك إلى علم قائم على حقيقة موضوعية.

أريد أن أقول: إن أصول العربية بدوية، وإن سمات البداوة تبدو في كثير من النصوص. وحسبك أن تعرف أن الشاعر القديم قد وقف على الديار وأطلالها فبكاها واستبكاها، ووصف ما بدا له منها مما أبقته الأيام، إنك واجد في ذلك صورة بدوية خالصة البداوة. ثم إنك لتراه يطوي أرضه القفر على راحلته فيعرض عليك مما يتصل بالجمل والناقة شيئاً من مواد تلك البيئة المقفرة. ولا تعدم أن تتبين شخوص تلك البيئة مما يدرج عليها من حيوان وطير، وما ينبت فيها من نبات وشجر، وما يضطرب فيها من الريح والبرق والرعد والسحاب. إن جملة هذه المواد تؤلف صورة للبيئة الجاهلية. وما أظن أن الحاجة تدعو إلى شيء من الاستشهاد بجملة من النصوص القديمة، ذلك أن المسألة معروفة مشهورة. غير أن الشعراء

الجاهليين يختلفون في القدر الذي يفصح عن تلك البداوة، ذلك أن طائفة منهم قد أوغلت كل الإيغال في تلك الطبيعة القاسية الجافة، فالتزمت بمواد البداوة الخالصة مما اصطلح عليه بـ «الأوابد» أو «الشوارد»، أو ما سُمِّي بـ «الغريب» أو «النوادر»، في حين أن طائفة أخرى لم تذهب هذا المذهب القاسي. ومن أجل هذا فإننا نجد طائفة منهم قد حفل أدبهم بكل قديم نافر من أدوات البيئة البدوية، ومن هؤلاء الرجّاز والصعاليك الذين حفل أدبهم بشيء كثير من ذلك.

على أن البداوة ماثلة في سائر الأدب القديم، وليس الشعر وحده المادة التي نجد فيها آثار البداوة، بل إننا لنلمس هذه العناصر البدوية في الأمثال القديمة.

ولعل المثل القديم خير صورة للبيئة البدوية، ولعله أكثر أصالة وصدقاً من نصوص الشعر الجاهلي، ذلك أن نصوص الشعر قد فرضت على الشاعر القديم نمطاً من القول لا بد من التزامه. وقد بقيت القصيدة العربية تجري على نسق من البناء ذي أجزاء ضُمَّ بعضها إلى بعض في هيئة خاصة طوال عصور عدة. وهذا يعني القصيدة الجاهلية في بنائها وترتيب موضوعاتها. ومادتها البدوية بقيت واضحة المعالم في القصيدة الإسلامية، بل قل خلال عصور أخرى. وقد ظلت تلك المعالم التي تضرب أصولها في البيئة القديمة المثال الذي يحتذيه الشعراء طوال العصور. ومن أجل ذلك أبى النّقاد الأوائل أن يستحسنوا شيئاً مما قيل بعض عصور «الاحتجاج» بحجة أن تلك النصوص قد ابتعدت عن النمط القديم الذي استجادوا لفظه ومعناه وبناءه، وما قصة «عمود الشعر» إلا شيء من ذلك.

أقول: إذا كان هذا النمط من الأدب قد درج على أصول وقواعد صارت سنّةً ومنهجاً يتبعه الشعراء، أفلا يحق لنا أن نقول: إن كثيراً من هذه

المواد قد داخلها التقليد، وما نسمّيه بـ «الصنعة»؟ ومن ثمّ تكون «الأمثال العربية» أصدق وأدلّ على البيئة الجاهلية ببداوتها. ثم إن البيئة الجاهلية ببداديتها ومواطنها الحضرية وشبه الحضرية قد تكون أوضح معالم وصوراً في «الأمثال» منها في الشعر القديم.

ولا أريد أن أترك البداوة وعلاقتها بالعربية دون أن أشير إلى أن المعالم البدوية قد تجاوزت المسمّيات والصور. وهذا يعني أن ليس فينا حاجة إلى أن نتبيّن البداوة في ألفاظ القفر، وما يتصل بها من الحيوان، والنبات والشجر، والريح، والبرق، والسحاب، والسيف والرمح وغير ذلك من لوازم البيئة العربية القديمة، ذلك أن جملة هذه المواد معروفة مشهورة.

غير أني أذهب إلى القول إلى أن البداوة كانت الطابع المميز لعربيتنا، ولكن عبقرية هذه اللغة نقلت تلك الأصول البدوية القديمة إلى مواد أخرى عن طريق المجاز بادىء ذي بدء، ثم إنها أصبحت حقيقة من الحقائق كما سنتبين من الأمثلة التي سنعرض لها.

وإني لأبصر أن العربي القديم قد أحبَّ جمله حتى أنزله من نفسه منزلة الصديق، أو قل: منزلة الأناسي وهو يتحدث عنه فيقول:

شكـا إليّ جَمَلي طـولَ السُّـرَى
يـا جَمَلي لـيس إليَّ الـمشـتكـى
صبـراً جميـلاً فكـلانـا مُـبتَـلَى

ومن هنا لقد رأى ذلك العربي القديم في «الجمل» الحيوان المفضّل الذي رأى فيه «جمالاً» خاصاً. وأنا أميل إلى أن مادة «جَمال»[1]، بفتح الجيم قد استوحاها العربي بل ولْدها من مادة «جَمَل» الحيوان المعروف.

---

(١) لسان العرب «جمل».

ثم كان من أمر هذه المادة التي كثرت مشتقاتها فاتسعت في أبنية من الأفعال والأسماء. إن النظر في المعجم القديم ليهدي الدارس إلى هذه المادة في سعتها وغزارتها، وهو من غير شك سيقف على «الجميل»[1] الذي يعني فيما يعنيه، ما اختُزن من الشحم في سنام «الجمل». إن هذا ليشير إلى أن العرب الأقدمين قد أدركوا أن من «الجَمَال» في الإنسان ما يذهب إلى شيء من «السِّمَن»، على أن هذا لا يعني الإفراط والضخامة.

ثم أليس لنا أن نلمح الطريق الذي سلكته الكلمة فكان منها «المجاملة» و «الإجمال» مثلاً؟

لا بد لنا أن نردّ جملة هذه الفوائد إلى الأصل القديم وهو «جمل» الحيوان المعروف.

أقول: إذا كان لنا كل هذه السعة في مادة «جمل» فهل ترانا واجدين شيئاً منها في كلمة «ناقة»؟

أقول: لا بد لنا أن يكون في «الناقة» شيء مما عرضنا له في «الجمل» فمن غير شك أن «الناقة» في إحساس العربي القديم وتصوره، شيء يتصف بالحسن، فهل لنا أن نعقد صلة بين هذه المادة القديمة وبين قولهم: «تنوَّق»[2] أي اعتنى وأحسَنَ وافتنَّ؟ وبعد ألا ترى أن «الأناقة» بمعناها القديم وما أفادته على تراخي العصور شيء من الأصل القديم؟

ولندع هذا لنشرع في شيء أقرب إلى ما يمكن أن نصل إليه بيسر، ذلكم هو مادة «ركب»، ولنأخذ هذه الكلمة في استعمال أهل عصرنا هذا، عصر العلم والتكنولوجيا، فنجد أن المعربين يكتبون ويخطبون فترد في

---

(١) أنظر: «جميل» في مادة «جمل».
(٢) لسان العرب «نوق».

رسائلهم وخطبهم عبارة «البلدان المتخلفة عن «ركب» الحضارة.

أقول: وهل للحضارة «ركب على نحو ما نجده في قوله تعالى: ﴿والركب أسفل منكم﴾[1]؟.

إن «الركب» في الآية الكريمة يعني جماعة الإبل، و «الرِكاب» الإبل، ولا واحد لها من لفظها.

وفي حديث رسول الله ﷺ: «إذا سافرتم في الخصب فأعطوا الركاب أسنّتها»[2]، أي أمكنوها من المرعى.

و «الركب» البعير، و «الرُّكوبة» الناقة.

إن للكلمة العربية مسيرة في المعاني منذ أقدم العصور، مستفيدة من الأبنية في تكثير المعاني. ومن هذا الفعل «ركِبَ» ومنه: ركب الجمل أو الناقة أو أية دابة، ثم كان «المركب» للدابة عموماً. غير أن هذا المعنى قد عرض له من التطور والتوسع، فكان «المركب» أحد «مراكب» البرّ والبحر، ومن هنا كانت السفينة أو القارب أو غير ذلك «مراكب»، ثم صار من يحلّ في هذه الوسائط «رُكّاباً» جمع «راكب».

ومن الطريف أن أشير إلى أننا الآن نستعمل «الركّاب» جمع راكب لجماعة المسافرين بالسيّارة صغيرة كانت أم كبيرة. ولا يبعد أن نسمع من يقول: فلان «ركب» سيارته، وكأن السيّارة قد تحملت معنى «مركب». وقد شاء ذوق أهل هذا العصر أن يطلقوا «مركبَة» على كل ما يستعمل من سيّارات في أغراض شتّى. وهي بهذا الاستعمال في نصوص القوانين التي تنظم المرور والسير والنقل في بلدان عربية مختلفة.

---

(١) ٤٢ سورة الأنفال.

(٢) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة ركب.

على أن العربية القديمة قد اتسعت في الإفادة من الفعل «ركب» فقد قيل: «أركَبَ المُهْرُ» إذا حان أن يُركَب. . .

ثم جاء منه «الراكِب» وهو ما ينبُتُ من الفسيل في أعلى النخلة على جذعها، وربّما قالوا: «الراكوب»[1] أيضاً، و «الراكوب» مما بقي في لغة النخل في عصرنا.

ومن المفيد أن أشير إلى «المتراكب»[2] من القوافي. وهو كل قافيةٍ توالت فيها ثلاثة أحرف متحركة بين ساكنين، وهذا أمر يعرفه الدارسون في القوافي والعروض. .

وبعد، فإذا سمعنا من يقول: «البلدان المتخلّفة عن «ركب الحضارة»، أدركنا قوة هذه الكلمة وحيويتها التي ثبتت طوال هذه المسيرة حتى انتهت إلى شيء يتصل بعصرنا الحاضر، وذلك أن أهل العلم في الكيمياء قد عرفوا «المركّب» الكيمياوي، أو «التركيب» الكيمياوي.

وقد نقرأ في عربية إقليمية في الشمال الإفريقي ما يكتب في الصحف وفيه: «إن الوفد الذي اضطلع بمهمة التفاوض «متركّب» من السادة. . .».

وقد ينقلنا الكلام على مادة «ركب» إلى الكلام على مادة «تَسَنَّم» حين نجدها في قول المعربين: «تسنم السيد فلان المنصب الخطير. . .»، وهو يعني أنه تقلّده وباشره ورُسِمَ فيه وشَغَله. . .

ومن غير شك أن الفعل «تسنم»[3] من مادة «سنَام» وسنام الجمل معروف. وهذا يدل على قوة هذه العربية وأصالتها في كونها اتخذت من

---

(١) لسان العرب «ركب».

(٢) أنظر كتاب «القوافي» للأخفش، ولسان العرب: «ركب».

(٣) لسان العرب: «سنم».

مواد البداوة وسائل للإعراب عما يتصل بالحضارة.

ثم ماذا من هذه الأصول القديمة؟

أظن أن في «الـرَّحْـل» مـادة ينبغي لنـا أن نفيـد منهـا، ذلـك أن «الرَّحْلَ»[1] مَركب للبعير والناقة، وجمعه «أرحُل» و «رِحال»، قال طرفة:

جـازَت البيـدُ إلى أرحُلِنـا آخِـرَ الـليـل بيَعفـورٍ خَـدِرْ[2]

و «الرَّحالة» نحوه، كل ذلك من مراكب النساء.

وأنكر الأزهريّ ذلك، قال: «الرَّحْل» في كلام العرب على وجوه. قال شِمر: قال أبو عبيدة: «الرَّحْل» بجميع رَبَضه وحَقَبه وحِلْسِه وجميع أغرضُه، قال: ويقولون أيضاً لأعواد «الرَّحْل» بغير أداة «رَحْل»، وأنشد:

كـأنَّ رَحْـلي وأداة رَحْـلي على خَـرابٍ كـأتـان الضَّحْـل[3]

قال الأزهري: وهو كما قال أبو عبيدة، وهو من مراكب الرجال دون النساء.

وأما «الرَّحالة» فهي أكبر من السَّرْج وتُغَشَّى بالجلود وتكون للخيـل والنجائب من الإبل.

ومنه قول الطرمّاح:

فتروا النجائب عند ذلك بالرحال وبالرحائل[4].

و «الرَّحْل» أيضاً منزل الرجل ومسكنـه وبيته، ويقـال: دخلت على

(١) المصدر السابق: «رحل».
(٢) ديوان طرفة (ط. صادر).
(٣) لسان العرب «رحل».
(٤) الديوان ص ٣٥٨.

الرجل رَحْله، أي منزله. وجاء في «التهذيب»: أن «الراحلة» عند العرب كل بعير نجيب، سواء كان ذكراً أو أنثى، وليست الناقة أولى باسم «الراحلة» من الجمل، تقول العرب للجَمَلَ إذا كان نجيباً راحلة[1]. وهو يرد على ابن قتيبة الذي ذهب إلى أن «الراحلة» الناقة وليس الجمل[2].

غير أن العربية القديمة أفادت من هذه المادة المهمة التي تعد من قوام الحياة اليومية البدوية، فقد اشتقّوا من «الرَّحل» وهو الأداة توضع على الجمل مركباً فقالوا: «رَحَلَ» البعير يَرْحله رَحْلاً، فهو «مرَحول» و «رَحيل»، و «ارتَحَله» أي جعل عليه الرَّحْل، وشدّ عليه أداته، قال الأعشى:

رَحَلَت سُمَيّةُ غُدوةً أجمالها ... غضبَى عليك، فما تقول بدا لها[3]

وقال المثقِّب العبدي:

إذا ما قمت أرحَلُها بليلٍ ... تَأوَّهُ آهة الرحل الحزينِ[4]

وفي الحديث عند اقتراب الساعة:

«تخرج نار من قعر عَدَن تُرحِّل الناس»، رواه شعبة قال: ومعنى «تُرحِّل» أي تَرحَلُ معهم إذا رَحلوا، وتنزل معهم إذا نزلوا، وتقيل إذا قالوا...

وقال شِمْر: وقيل معنى «تُرحِّلهم» أي تُنزلهم المراحل[5].

ومن ثَمَّ قالوا: «رَحَل» فلان، و«ارتحَلَ» إي سافر، وكذلك «الرِّحْلة» و «الرحيل» أي السفر.

---

(١) التهذيب «رحل».
(٢) لسان العرب «رحل».
(٣) الديوان ص ٧٧.
(٤) الديوان ص ١٩٤.
(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر (رحل).

ومن هنا نتبين سيرة هذه المادة وكيف كانت ثم تحولت من أصل بعيد في البداوة إلى فوائد حضرية أخرى.

وإذا كان الحيوان القديم بأدواته قد أمدَّ العربية بمادة صلحت في العصور المتعاقبة أن تكون من لوازم الحضارة، فلا ننسى أن نذكر «الخيل» من الحيوان الذي أحبّه العربي القديم ورعاه أجلّ رعاية، وبالغ في الحفاظ عليه، فليس عجيباً أن نرى أهل اللغة يصنفون الكتب في «أنساب الخيل» كما فعل ابن الأعرابي، وأبو عبيدة وغيرهما من المتقدمين من علماء العربية.

أقول: نتبين العناية بالخيل في استحسان العربي القديم لـ «خَلْق» الخيل في حسنه وتناسقه وصفاته. ولا غرابة أنك تجد العرب قد وصفوا الخيل بـ «الكرم» فقالوا: «كرائم» الخيل. ثم إنهم سَمّوا «الحصان» «جواداً» فصارت الكلمة اسماً لغلبة الصفة على المُسَمّى كما قالوا: «الصارم» للسيف، وهذا كثير في العربية.

ثم ماذا عن «الخيل»، ألم يقولوا: «خُيَلاء» بضم الخاء أو كسرها للتكبّر والزهو والصلف؟

وأنا لا أشكّ في «الخُيَلاء» قد جاءت مما توسّموه في الخيل، فأخذوا المعنى من لفظ «الخيل». وإذا كانت «الخيلاء»، فلا بد أن يكون الفعل «اختال»، والمصدر «الاختيال»، وقد جاءت بصيغة اسم الفاعل في قوله تعالى:

﴿إن الله لا يحب كل مختالٍ فخور﴾[1].

وقد يكون لي أن أضع الدارس على شيء آخر قد يغيب عنه أولَ

(١) ١٨ سورة لقمان.

وهلة، وهو أن «الخيال» بدلالته على الإنسان كالظلّ، أو الخيال المعنوي في قولنا: «الخيال الشعري» يومىء إلى الأصل البعيد وهو «الخيل»، مستفاداً مما لمحه العربي القديم من حركة الخيل في جموحها وشموخها.

ومن لوازم البيئة العربية القديمة ما يتصل بـ «الرعي» ذلك أن رعي العرب للإبل والخيل وسائر الدواب مما يحزبهم ويشغلهم، فهم أهل رَعْي وهم «رُعاة» و «رِعاء» قال تعالى: ﴿حتى يصدُر الرِّعاء﴾[1].

قال الأزهري: وأكثر ما يقال «رعاة» للولاة، و «الرُّعْيان» لراعي الغنم[2].

أقول: إن إشارة الأزهري إلى التمييز بين «رُعاة» و «رُعيان» مفيدة، ذلك أن هذا اللفظ قد تحول مجازاً فقالوا مثلاً: إن الحاكم يرعى المحكومين ويتفقدهم وينتصر للمظلوم منهم من الظالم، وإلى هذا ينصرف الحديث الشريف:

«كلُّكم راعٍ وكلّكم مسؤول عن رعيّته»[3].

و«الرَّعِيّة» في الأصل: الماشية الراعية أو المرعية، قال: الراجز:

ثـمَّ مُـطِرنـا مَـطْرةً رويّـهْ ... فـنـبـت الـبـقـل ولا رعـيّـهْ[4]

هذه هي «الرعيّة» في الأصل، ثم تحولت إلى الناس الذين يحكمهم ويلي أمورهم صاحب أمرهم، وهو «الراعي».

و «الرِّعاية» مصدر على «فِعالة» وأكثر ما يجيء في الحِرَف

---

(١) ٢٣ سورة القصص.
(٢) التهذيب للأزهري: (رعي).
(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر: (رعي).
(٤) لسان العرب: (رعي).

والصناعات، وهي حرفة «الراعي» أي راعي الغنم، غير أنها انصرفت في العربية الحديثة إلى معناها المجازي وأهمل استعمالها على الأصل.

ومثل هذا كثير في العربية مما تحول إلى المعاني المجردة المعنوية حتى كأن أصولها الحسيّة قد هجرت في الاستعمال فنسيت العلاقة بين ما هو معنوي وما هو محسوس في اللفظ الواحد.

ولننصرف قليلاً عن هذه الأصول البدوية الواضحة التي تلوح لنا في تحولها إلى المعاني العقلية ونحو ذلك، إلى مادتي «العقل» والحكمة» ولنسايرهما في رحلة طويلة لنصل فيهما إلى الأصل الحسّي الذي يقودنا إلى الأصل البدوي فنقول:

إن «العقل» من المواد التي احتلت مكاناً وافياً في العربية لصلته بالفلسفة وسائر المعارف البشرية. وهو في الأصل مصدر الفعل «عَقَل». وأصل «العقل» هو الشدّ، فقد قالوا: «عَقَلَ» البعير يعقله عَقْلاً، و «اعتقله» إي ثنى وظيفه مع ذراعه وشدّهما جميعاً في وسط الذراع، وكذلك الناقة، والحبل الذي يشدّ به هو «العِقال»[1].

وكأن القوة الخارقة التي تعني التمييز والإدراك والفهم وما يتصل بهذا قد سمِّيت «العقل» واستعيرت من هذه المادة العتيقة التي تعني الشدّ، بل قل من الحبل الذي يشدّ به، وهو «العقال».

ولعلنا نفهم هذا السلوك اللغوي إذا عرفنا أنهم تصوروا أن النفس البشرية مجبولة على الشر، فهي أبداً تجنح إلى السوء، ولكن القوة الأخرى تكبح من جماحها وتحدّ من شرّتها، فكانت هذه القوة كالعقال الذي يشدّ به البعير مخافة أن ينفر ويضرب في الأرض.

---

(١) لسان العرب: (عقل).

و «الحكمة» شيء مثل هذا، ولا أريد أن أعرض لدلالة «الحكمة» ـلك أنها تنصرف إلى ما هو عقلي فلسفي. ومن هنا كانت العلوم كافة من الحكمة في المصطلح القديم، فالحكيم هو فيلسوف أو طبيب أو متكلم أو شاعر أو من كان حاذقاً في رأيه وعلمه.

وحسبك أن تنظر في أبنية هذه الكلمة فتبصر الحكم والحاكم وأحكم واستحكم واحتكم ومواد أخرى.

غير أنك تجد «الحكَمَة» بفتحتين، وهي حديدة في لجام الدابّة تحيط بحنكيها، وهي أيضاً تكون على أنف الفرس وحنكه تمنعه من مخالفة راكبه، وهي تمنع الدابّة من كثير من الجهل. وفي الحديث: «ما من آدمي إلاّ وفي رأسه «حَكَمة»، وفي رواية «في رأس كل عبد حكمة» إذا همّ بسيّئة، فإن شاء الله تعالى أن يقدعه بها قَدَعه»[1].

وغير عسير على الدارس أن يهتدي إلى السبب الذي حدا العربي القديم أن يتخذ من «الحَكَمة» مادة تفيد الضبط والحكم ذات قوة كقوة العقل، وهي «الحكمة». وأنت ترى أن في صرف «العقل» عن معناه في الأصل إلى ما هو شائع ومعروف كما بيّنا شبهاً بصرف «الحَكَمة»، وهي قطعة الحديد في لجام الدابة، إلى «الحِكمة» بمعنى المعرفة والعلم. وكأن العربي القديم أدرك أن الإنسان بطبعه صاحب غواية وفساد وشر، وأن القوة التي تردعه هي «الحِكمة» وهي «العقل» بمعنى الشدّ فيصدّان الإنسان عن السقوط في الرذيلة.

وقد تبدو الكلمة بعيدة عن الأصل الحسي، وربما تعذر علينا، بل قل استحال لمح هذا الأصل في كثير من المواد التي انصرفت إلى المعاني

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر (حكم).

العقليـة، فليس في طوقنـا تعقّب الفهم والعلم والإدراك والـظن واليقين، والوصول بها إلى شيء من أصل قديم يدرك لمساً أو نظراً.

غير أننا نقف في بعض المواد على طرف ضعيف بعيـد عن النظر فنمسك به فإذا نحن مدركون شيئاً من هذا العناء يقود إلى فائدة علمية.

ولنقف على الفعل «رغم» فنرى «الرغـم» ويثلّث بمعنى الكره، والفعل مثل «عَلِمَ» و «منع». ونجد في هذه المادة «الرَّغام» وهو التراب، فإذا هو ذلك الطرف الضعيف الذي يقودنا إلى مبتغانا. ومن «الرغام» بمعنى التراب انصرف إلى القسر والذل وذلك لأن «الـرغام» يـوصل بـالأنف، و «إرغام الأنف» كناية عن القسر والإذلال، ولذلك قيل: فعله رغم أنفه.

أقول: كأن هذا يومىء إلى أنهم كانوا يضطرون من أرادوا إذلاله أن يقع على الأرض فيمس أنفه التـراب، ذلك أنهم رأوا أن «الأنـف» أعلى وأبرز شيء في الوجه، وبسبب من هذا الشيء في البـروز والعلو استعير الأنف لكل ما هو شامخ مرتفع فقالوا: «أنف الجبل أي قمته، و «الأنف» السيّد في قومه، ومن أجل ذلك قال الشاعر:

قـوم هم الأنف والأذنـاب غيـرهم ....

ومن هنا كان إذلال الرجل أن «يُرغم» أنفه أي يمس أنفه الرغام وهو التراب. ثم بقي من كل هذا قولهم: رغم أنفه.

ونسي المعاصرون هذا كله فحذفوا الأنف فقالوا: على الرغم منه أو رغماً عنه، ثم ذهبوا إلى أبعد من هذا فلم يلمحوا العُسر في هذه العبارة في استعمالهم لها كأن يقولوا: على الرغم من المشكلات استطاع العاملون الوصول إلى النتائج، أو كقولهم: سأفعله على الرغم من انشغالي بمسائل أخرى.

فـأنت ترى أن «الـرغم» و «الإرغام» لم يبق لـه من الأصل، وهـو

التراب، أي صلة. غير أننا لو تتبعنا أسرة هذه الكلمة في المعجم لمحنا الأصل البعيد، فقولهم: أرغمه الله بمعنى أسخطه. والمِرغـامة المُغضِبـة لبعلها، والمُراغمة الهجران والتباغد، والمُراغَم بالضم وفتح العين المذهب والمهرب والحِصن والمضطرب.

ولو أجَلت النظر في هذه الأشتات أدركت العُسْر فيها الذي يومىء إلى الأصل.

ولنتحول إلى كلمة أخرى هي الفعل «ساق يسوق» والمصدر السَّوْق، والمعنى معروف. ولنحاول أن نبدأ الرحلة حتى كلمة «الساق» وهو ما بين الكعب والركبة فهل نجد صلة بين الاسم هذا والفعل «ساقَ»، والجواب عسير، ولكن اللطف والنظر قد يمسكان بطرف ضعيف يقودنا إلى مبتغانا.

أقول: عرفنا دلالة «السـاق» في خلق الإنسان وغيـره من الحيوان، والجمع سوق وسيقـان وأسواق، و «سـاق» الشجرة جـذعها. ولمـا كانت «الساق» تحتمل ثقل الجسم، وهي قوام الشجرة انصرفت في العربية إلى القوة والشدّة، وإلى هذا انصرفت «الساق» في قوله تعالى: ﴿يوم يُكشَف عن ساق ويُدعَون إلى السجود فلا يستطيعون﴾ [القلم: ٤٢]، وقوله تعالى: ﴿والتفّت الساق بالساق إلى ربك يومئذٍ المساق﴾ [القيامة: ٢٩].

ومن هنـا كان الفعـل «ساق» يشعـر بالعسـر أو الشدة مستفـاداً من الأصل.

وما ورد من الفعل «ساق» في لغة التنـزيل يشعـر بالشـدة والعُسر، ولنَسْتَقرِ الآيات لنقف على هذا الذي ذهبت إليه وهي: قال تعالى: ﴿حتى إذا أقلّتْ سحاباً ثقالاً سقناه لبلد مَيْت فأنزلنا به الماء﴾ [الأعراف: ٥٧].

﴿والله الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً فسُقناه إلى بلد ميت﴾ [فاطر: ٩].

﴿ونسوق المجرمين إلى جهنّم وِرْدا﴾ [مريم: ٨٦].

﴿أو لم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجُرُز فنُخرج به زرعاً﴾ [السجدة: ٢٧].

﴿وسيق الذين كفروا إلى جهنم زُمَراً﴾ [الزمر: ٧١].

﴿وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زُمَراً﴾ [الزُمَر: ٧٣].

﴿كأنّما يُساقون إلى الموت وهم ينظرون﴾ [الأنفال: ٦].

﴿وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد﴾ [ق: ٢١].

﴿إلى ربك يومئذٍ المَساق﴾ [القيامة: ٣٠].

وقد ورد الفعل في هذه الآيات وهو يشعر بأن «السَوْق» فيه شدة وعُسر، وليس ذلك منسوباً إلى الله - تعالى - ولكنه يشعر بهذا في وضعه، والله تعالى يفرض الشدة والعسر وليس ذلك بعزيز.

وقد يفرض علينا أن ننظر في «السُّوق» موضع البيع والشراء فكيف نقول؟

إنه من غير شك يومىء إلى الأصل ذلك أن «السوق» الموضع الذي تساق إليه الماشية والدوابّ وغيرها للبيع والشراء، ثم اتسع فيه فشمل البياعات كافة. ألا ترى أن «السِّياق» من معانيه مهر المرأة، وهذا يشعرنا أن «المهر» كان في الأصل مقدّراً بما يساق إلى الزوجة من «مال» وفيه الحيوان أيضاً.

ولن يعسر علينا أن نجد السبيل إلى فهم قولهم: «ساقة الجيش» أي مؤخّره.

ولن يعسر علينا أن نلقى سبيلاً لفهم «ساقة الجيش» أي مؤخره.

إن هذه الإلمامة بجملة هذه الألفاظ وأصولها وتطورها تهدينا إلى أن البداوة العربية التي اتّسمت بها لغة الأدب القديم كانت أصولاً تطوّرت في تلك الأحقاب المنصرمة إلى شيء آخر يتصل بالحضارة.

إن إطلاق مقولة «البداوة» على العربية عموماً يخفي كثيراً من العلم، ذلك أنه يحجب حقيقة لغوية يعرفها الدارسون لعلم اللغة الحديث. تلكم هي أن اللغة مادة وسلوك اجتماعي يبدأ في صورة ما ثم يتطور فينتهي إلى شيء آخر.

قلت في أول هذا الموجز: إن الباحثين قد أطلقوا مقولة البداوة في لغة الشعر القديم، وقد أشرت إلى أن ذلك كان نتيجة استقراء غير واف لمادة الأدب القديم. ولو أنهم استوفوا استقراءهم لانتهوا إلى نتائج أخرى تضيف شيئاً آخر إلى نتيجة استقرائهم، ذلك أنهم سيصلون في استقرائهم إلى أن العربية القديمة قد اشتملت على جانب حضاري مهم قد يحجب عن القارىء خشونة البداوة.

إن هذه المادة الحضارية تتصل بالدين وبالكتابة والفنون والزراعة والمهن والتجارة والطعام والشراب والعطور والحلي. ومن المعلوم أن هذا كله من لوازم الحضارة، وأنه يشعر في أن العرب الأقدمين على أصولهم البدوية أنسوا بالاستقرار فكان من ذلك هذه الفوائد الحضارية.

فمن يقرأ قول امرىء القيس):

فاليوم أشرب عبر مستحقبٍ إثماً من الله ولا واغل[1]

يجد الشاعر يقول: إنه يشرب الخمر وقد أحلّت له فلا يأثم، وهو

(١) الديوان ص ٢٥٨.

يربأ بنفسه عن أن يشرب الوغل. وفي البيت يذكر الشاعر «الله» فلا يتأثم في شربه في حق «الله» تعالى.

هذا الأعشى يمدح بني شيبان بن ثعلبة يوم ذي قار فيقول:

فللَّهِ عينـاً من رأى من عصابـةٍ أشدَّ على أيدي السُقاةِ من التي[1]

وحضـور لفظة الجلالة (الله) في البيت يشير إلى التزام الشاعر بشيء من فكر ديني.

وجاء في قوله يمدح النعمان بن المنذر ذكر «الله» أيضاً، وهو:

فـلا تحسَبَنّي كـافـراً لـك نعمـةً عليَّ شهيدٌ شاهـد الله فاشهَـدِ[2]

ومثل ذلك قوله في قصيدة عرض فيها لما كان بينه وبين قومه:

جَزَى الله فيما بيننـا شيخَ مِسمَـعٍ جزاءَ المسيء حيث أمسَى وأشرفَا
جَزَى الله تَيماً من أخٍ كـان يتّقي مَحـارمَ تيمٍ مـا أخفَّ وأرهَفـا[3]

إن هذا الإيمان بالله لدى الشاعر يظهر أن صاحبه قد درج في مفاهيم حضارية، وأنه بعيد عن شرّة البداوة.

وفي شعر عبيد بن الأبرص ما يشعر بعبادة الله والتوجه إليه والتوكل عليه، فهو القائل:

حـلفـتُ بـالله إن الله ذو نَـعَـمٍ لمن يشـاء وذو عفـوٍ وتصفـاح[4]

وقوله:

مـن يـسـأل الـنـاسَ يَحـرِمـوه وسـائـلُ الله لا يـخـيـبُ[5]

---

(١) ديوان الأعشى: ص ٢٠٩.
(٢) المصدر السابق: ص ٢٤٢.
(٣) المصدر السابق: لم أجد في الديوان.
(٤) ديوان عبيد بن الأبرص: ص ٣٨.
(٥) المصدر السابق: ص ١٥.

والإشارات إلى الأديان كالنصرانية واليهودية واضحة في الشعر الجاهلي، فهذا النابغة الذبياني يصف «المتجردة» فيقول:

لو أنها عرضَتْ لأشمَطَ راهبٍ عَبَد الإله صرورة المتعبِّدِ[1]

ومثل هذا قول امرىء القيس:

تضيء الظلامَ بالعشاء كأنها منارةُ مُمْسى راهبٍ متَبتِّلِ[2]

ومثل هذا قول الأعشى:

فإني وربِّ الساجدين عشية وما صك ناقوس النصارى أبيلُها[3]

أما الإشارات إلى اليهودية فمنها قول امرىء القيس:

فعزَّيتُ نفسي حين بانوا بجسرةٍ أمونٍ كبنيانِ اليهوديّ خَيْفَقِ[4]

وفي نصوص الشعر الجاهلي إشارات لأنبياء بني إسرائيل كسليمان الحكيم وداود ويوسف كما في شعر الأعشى والنابغة، فسليمان النبي عند الأعشى هو الذي بنى حصن الأبلق، وهو في شعر النابغة قد أمر بإذلال الجن في بناء مدينة تدمر.

وهذا بشر بن أبي خازم يقول:

فقل كالذي قال ابن يعقوب يوسف لإخوته، والحكمُ في ذلك راسبْ
فإني سأمحو بالذي أنا قائلٌ به صادقاً ما قلت إذ أنا كاذبُ[5]

وفي شعر أوس بن حجر إشارة إلى المهوِّل، وهو القائم على النار المقدسة، وفيه يقسم بالنار حين يقترب من يحلف من شررها فيُصَدّ عنها:

---

(١) ديوان النابغة: ص ٩٨.
(٢) ديوان امرىء القيس والبيت في لاميته المعلقة.
(٣) ديوان الأعشى ص ٢٢٧.
(٤) ديوان امرىء القيس ص ١٦٩.
(٥) ديوان بشر(تحقيق عزة حسن) ص ٤٢.

إذا استقبلته الشمس صدَّ بوجهه   كما صدَّ عن نار المهوّل حالفُ(١)

على أن الأدب الجاهلي قد حفل بذكر الآلهة كاللّات، والعُزَّى، ووَدّ، واليَعبوب، والأقيصر، قال زهير:

حلفت بأنصاب الأقيصر جاهداً   وما سَحَقَت فيه المقاديمْ والقُملُ(٢)

وهذا الشاعر لبيد بن ربيعة يشير إلى الوليد اليماني الذي يخطّ بقلمه على العسيب الذابل والبان فيقول:

فنَعافُ صارةً فالقَنان كأنها   زُبْرٌ يرجِّعُها وليد يَمانِ
متعوِّدٌ لَحِنٌ يعيد بكفّهِ   قَلماً على عُسُبٍ ذَبَلْنَ وبانِ(٣)

وفي دواوين الشعراء: عبيد بن الأبرص، وأبي دواد الأيادي، وبشر بن أبي خازم وامرىء القيس إشارات كثيرة إلى الأقلام والمهارق والكتابة على عُسُب النخل والرقاق والسِّلام.

وهذا طرفة بن العبد يقول:

أشَجاكَ الرَّبْعُ أم قِدَمُهْ   أم رمادٌ دارسٌ حِمَمُهْ
كسطور الرق رَقَّشَه   بالضُحى مُرقِّش يَشِمُهْ(٤)

وللغناء والموسيقى مكان في الشعر الجاهلي، فقد جاء من الآلات الموسيقية: الكِران، والطنبور، والمزِهَر، والبُرْبُط، والوَنّ، والصَّنج، قال امرؤ القيس:

وإنْ أُمسِ مكروباً فيا رُبَّ قينةٍ   مُنَعَّمة أعملتها بكِرانِ

---

(١) ديوان أوس بن حجر: ص ٦٩.
(٢) ديوان زهير بن أبي سلمى: ص ٩٩ وانظر(قصر) في لسان العرب).
وانظر: الأصنام لابن الكلبي (تحقيق أحمد زكي) ص ٣٨.
(٣) ديوان لبيد (تحقيق إحسان عباس) ص ١٣٨.
(٤) ديوان طرفة (ط. صادر) ص ٨٤.

لهـا مِزهَـر يعلو الخميس بصـوتـه   أجَسَّ إذا مــا حـرَّكَتْــهُ يَــدان[1]

وهذا الأعشى يقول:

وطنــابيــرَ حِــســان صــوتُـهــا   عــنــد صَـنْــجٍ كـلَّمـا مُسَّ أرنّْ
وإذا الـمِـسْـمَــعُ أفَـنـى صــوتَــه   عَزَفَ الصَّنْجُ فنادَى صوتُ وَنّْ[2]

ومن غير شك فإن مجالس الغناء والآلات يصحبها الشـراب، وفي ذلك جاء شعر كثير. وأما ما يتصل بالدُّمَى والتماثيل فإنه مشهور معروف، قال الأعشى:

كــدُمـيــةٍ صُــوِّرَ مــحــرابُــهــا   بمُــذْهَبِ فــي مَــرْمَــرٍ مــائــرِ[3]

وقال النابغة:

أو دميــةٌ من مَرْمَــرٍ مــرفــوعــةٌ   بُنِيَتْ بــآجُــرٍّ يُشــادُ ومَــرْمَــدِ[4]

فأما الإشارات إلى الزرع فكثيرة، ومنها ما أشار إليه لبيد في حديثه عن النخل العالي الموقَر بحمله وبينَها الكروم، فهو يقول:

نخــلُ كَــوارعُ في خليــج محلَّم   حَمَــلٌ فمنهــا مُــوقَــر مـكمــومْ
سُحْقٌ يُمتِّعهــا الـصَّفــا وسَــريُّــه   عُــمٌّ نَــواعمُ بــيـنَـهـنَّ كــرومُ[5]

والإشارات إلى أصناف الفاكهة والرّمان والتّفاح والتين والأتْرج كثيرة. ولا تعدم أن تحظى بإشارات واضحة تشير إلى ضروب النسيج كالهاجريّ المنسوب إلى «هَجَر»، والقطيفي، ونسيج الرها، ونسيج أنطاكية، ونسيج فارس، ونسيج القبط في مصر.

---

(١) ديوان امرىء القيس ص ٨٦.
(٢) ديوان الأعشى ص ٢١٥.
(٣) المصدر السابق ص ٩٢.
(٤) ديوان النابغة ص ٣٣.
(٥) ديوان لبيد ص ١٢٠.

وهذا امرؤ القيس يشير إلى «حوَك العرق المنمّق» فيقول:

جعلن حَـوايـا واقتَعَـدْنَ قعـائــداً ... وخَفَّفْنَ من حَوْك العراق المنمَّقِ[١]

وإذا تجاوزنا هذا كله وقفنا على إشارات أخرى تشير إلى الحرف، ومنهـا صنعة الحليّ من الـذهب والفضة، وصنـاعة السيـوف، والاستقراء الوافي لمادة الشعر الجاهلي يدل على هذا. وقد يكون لنا أن نفرد معجماً خـاصاً بـ «الحليّ». ومـا أدري كيف غاب هـذا عن مصنفي الكتب والرسـائل من المتقدمين من علماء العربية، فقد صنفوا في السيف والرمح وغيرهما، ولعل شيئاً من ذلك قد كان ولكنه لم يصل إلينا.

غير أننا نجد من ذلك شيئاً في شعر الجاهليين فهذا عنترة يقول:

بــزجاجــةٍ صفــراءِ ذاتِ أســرّةٍ ... قُرِنَت بأزهَر في الشمال مُفَـدَّمِ[٢]

إن هذه «الزجاجة ذات الأسـرة» إلى جانب «الأزهـر» وهو الإبـريق الفضيّ وفيه «الفِدام» لتشير إلى أن للقوم المتقدمين في جاهليتهم قدراً وافياً من مواد الحضارة، ولو لم يكن شيء من ذلك ما كان لنا أن نجد امـرأ القيس يقول:

إذا ذُقتُ فـاها قلتُ طعمْ مُـدامـةٍ ... مُعَتقـةٍ ممّـا يجيء بهــا التَّجّـرُ[٣]

وفي قوله هذا إشارة واضحـة إلى التجارة والبضـائع التي يـأتي بها «التجر» ومنها الخمر.

وهذا سلامة بن جندل يقول:

من نَسْج بُصْرَي والمـدائنِ نُشَّرَتْ ... للبيــع يــومَ تَحَضُّــر الأســواقِ[٤]

---

(١) ديوان امرىء القيس ص ١٦٨.

(٢) معلقة عنترة(شرح المعلقات السبع للزوزني).

(٣) لم أجد البيت في الديوان، وأنظر (نجر) في «لسان العرب».

(٤) ديوان سلامة بن جندل ص ١٣٩.

ومثل هذا قول النابغة:

كـأنَّ مَجَـرّ الـرامسـات ذيـولَهـا   عليـه قضيم نمَّقَتْه الصـوانـعُ[1]
على ظهـر مَبْناةٍ جـديـدٍ سيُـورهـا   يـطوف بهـا وسط اللطيمـة بـائـعُ

و «المبناة» ضرب من سفنهم، وللسفن مكان في شعرهم فأنت تقرأ قول طرفة:

كـأن حـدوجَ المـالكيـة غُـدوةً   خـلايـا سفينٍ بـالنـواصفِ من دَدِ
عَـدَوْليـةٌ أو من سفين ابن يـامنٍ   يجوب بها الملاّح طوراً ويهتدي[2]

وإذا استقرينا ما يتصل بالطعام والشراب والحليّ والعطور رأينا مادة أبعد ما تكون عن بداوة جافية، بل إنها حضارة مع عناية وتنوّق.

وبعد فهذا عرض للعربية التاريخية جريت فيه على أن أوضح الأصول القديمة لكثير من المواد التي اعتمدت على البداوة، ثم خرجت بها العربية إلى فوائد أخرى تتصل بالفكر الحضاري. وهذا يعني أن هذه اللغة العريقة قد تجاوزت المراحل وعاصرت الحضارات فكانت أداة صالحة للإعراب عن الجديد، ذلك أنها أبداً متطورةً صالحة للإعراب من كل ما يجدّ في الحياة.

* *

---

(١) ديوان النابغة: ص ١٦٢ - ١٦٣.
(٢) ديوان طرفة(مطولته الدالية).

الفصل الرابع
من أبنية العربية

ما جاء على بناء «فِعْل» بكسر فسكون.

وهذا ما يأتي من الأصل الثلاثي لإفادة الاسم غير المصدر ومن ذلك مثلاً: «القِسْم» وهو الجزء أو الحظ أو ما يقرب من هذا.

ومن ذلك:

الذِّبْح: للمذبوح، قال تعالى: ﴿وفَدَيناه بذِبْحٍ عظيم﴾ [الصافات: ١٠٧].

والقِتْل: العدوّ، والجمع أقتال، قال ابن قيس الرقيّات:

واغترابي عن عامر بن لؤيّ   في بلادٍ كثيرة الأقتالِ

والقِدُّ: الذي تَخصَف به النعال.

والمصدر هو «القَدّ» بالفتح، والفعل قَدَّ يقُدُّ بمعنى قَطَعَ[1] يقطع.

(١) والقد بمعنى القطع من الكلم القديم، والقديد هو المقطوع، وقد انصرف إلى الشيء المقطوع، وفي الحديث: «أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد» وهو اللحم اليابس الذي يقطع. وقد بقي شيء، هذا في عامية العراقيين فهم يصفون الجديد بقولهم: «قد» فيقولون: جديد قد وكأنهم يعنون أن العهد به أو بقطعه غير بعيد.

وكأنّ الكلم الثلاثي في العربية التي يجيء مصدرها على «فَعْل» تتحول فتبنى على «فِعْل» ليكون من ذلك الاسم الذي يقع عليه الفعل كما هو واضح في «الذَّبْح» و «الذِّبْح» و «القَتْلْ» و «القِتلْ». وأنت ترى أن «الفتحة والكسرة» من أصوات العربية التي تدخل في توليد الخصوصيات الدلالية، ومثل هذا الضمَّة أيضاً. وهذا يعني أنّ التسمية لهذه الأصوات الدلالية بـ «الحركات» لا يفي بالمراد.

أقول: والتسمية بـ «الحركات» يحملنا على اعتبارها شيئاً لا يبلغ مرتبة الأصوات الأخرى وأقصد بها الأصوات الساكنة وهو ما يدعى بـ «*Consons*»، ومن أجل ذلك أهملت فلم ينظر إليها كما ينظر إلى غيرها من الأصوات، كما أهملت في الرسم.

وهذا الذي بسطناه في بناء «فَعْل» وبناء «فِعل» قد يبتعد عنه، ومن ذلك كلمة «قَدّ» هذه بفتح القاف فقد جاء في معانيها أنها جلد السخلة الماعزة، وقال بندار[1]:

لو أبصرَتْني أختُ جيراننا ... إذْ أنا في الحيّ كأنْي حِمارْ
إذا أحملُ القَدَّ على آلةٍ ... تحلُبُ لي فيها اللَّجابُ الغِزارْ

و «القَدّ» في البيت هو الرجل الضعيف على التشبيه، و «الآلة» الحالة. وجمع القَدّ أقُدّ وقِداد.

ومن هذا الكلم أيضاً:

القَرْن: وهو مصدر الفعل «قرَنَ» بمعنى جعله قِرْناً أي مثله، وقَرنَه به أي وصله به.

---

(١) بندار بن عبدالحميد الكرخي الأصبهاني من أعلم هل زمانه بالشعر، اتصل بالمتوكل والفتح بن خاقان. انظر معجم الأدباء ١٢٨/٧.

والقِرْن: الذي يقاومك في قتالٍ أو علم. وكأن هذا المعنى في حقيقة دلالة الفعل دل على المعاني التي يترشح منها ما يقرب من هذا. ومن ذلك:

القَـرَن: (بفتحتين): أن يلتقي طرفا الحاجبين، وهو مقرون الحاجبين، وكَبَشٌ أقرن أي بيِّن القَرَن: ونستطيع أن ندرك هذه الدلالة الأصلية في أبنية أخرى من هذه المادة هي:

القَرون والقرين والقرينة والقَرونة ويقال: سمحت قَرونه وقرينه... أي تبعتْه نفسه.

والغَسْل: مصدر غَسَلَ، والغِسْل ما يُغسَل به الرأس من خِطْميٍ ونحوه.

أقول: وقد يُتَوسّع في إحياء «الغِسلْ» لينصرف إلى المستحضرات الجديدة التي تستعمل بدلاً من الصابون وهو ما يسمى بـ «شامبوا» *(Champoi)*.

والغُسْل: الماء الذي يغتَسَل به وهو «الغَسول» وسنذكره في بناء «فعَول».

والفِقْع (بكسر الفاء وفتحها) الكمأة. وقالوا: فِقْع قَرقَرة وهو ضرب من الكمأة بيضاء تنجُلها الدواب بأرجلها، يشبَّه بها من لا خير فيه.

والفِلّ: الأرض التي لم يصبها مطر، جمعها أفلال.

والسِّمْع: الذِّكْر، يقال: ذَهَبَ سمِعْه في الناس، أي صيته.

والسمع: ولد الذئب من الضبع، وهو مشهور بقوّة السَّمْع، فأنت تدرك العلاقة بين المصدر والاسم. والنِّقز هو الفسل الرديء وليس من علاقة مع المصدر «النَّقْز» بمعنى القَفْز.

وليس بعيداً هذا قولنا الخَير وهو ضد الشرّ، وأما الخير فهو الكرم، ومحمد ﷺ «خِيرَة» الله من خَلْقه.

و «الحِسّ»: وجع يأخذ النُفَساء بعد الولادة.

و«الخِرْص» مقدار ما يخرص من النخل، والمصدر: «الخَرْص»: وهو حزر النخل ليعرف ما عليها من تمْر. والرَّعي مصدر رَعَى يرعَى، فأما الرِّعْي فهو الكلأ.

وكِسْر البيت جانب منه، والمصدر الكَسْر.

والنَّقض مصدر بمعنى الهَدْم، والنِّقْض هو المنقوض، وفلان نِقْض أي ضعيف متعب والمَسْخ مصدر الفعل مَسَخ، فأما المِسْخ فهو الممسوخ.

والسِّقط هو الشرارة تخرج من قدح الزند، والسَّقْط كالسقوط مصدر.

وهذا باب كبير لا أريد أن أستوفيه، وفي الذي ذكرته كفاية.

ولنا أن نلحق بهذا قولهم: قِيت فلان اللبن، أي قُوته، والقِيتة: القُوت. وقاتَ أهلَه قوتاً هو المصدر. ويقال: ما عندي بيتة ليلة وبِيتُه، ومبيتهُ أي قوت ليلة. والمصدر البَيت والبيات والبيتوتة. وقد يكون «فِعْل» نعتاً معاقباً لـ «فعيل» كقولهم» هو لِصْقُه ولصيقه، وعلى البدل لِسْقُه ولسيقه والهَضمْ والهضيمة: الظلم، والهِضْم المطمئن من الأرض.

بناء فَعِل:

ومن أبنية النعت «فَعِل» ويأتي هذا في طائفة كبيرة من الأمثلة، ومن هذا الكثير ما يأتي منه «فَعُل» في الوقت نفسه ومن ذلك:

فَطِن وفَطُن، وطمِعٌ وطَمُع، ورجل نَجِدٌ ونَجُدٌ أي شجاع.

ورجل نَطِس ونَطُس للمبالغ في الشيء. ورجل يَقِظ ويَقُظ. ورجل نَكِر ونَكُر، ونَكْر.

ونتحول إلى بناء «فَعول» وهو نعت كثير واسم ينصرف إلى ما يشرب من العلاجات، وإلى المأكول والمطعوم وغيره ومن ذلك:

السَّفوف: وهو دواء يَسَفّه المريض أي يشربه. والسّعوط: دواء يُصَبّ من المُسعُط في الأنف.

والسَّنون: دواء يُستاك به. واللَّدود: الدواء يسقى في أحد شِقّي الفم.

والقَيوء: الدواء يُشْرَبُ للقيء.

والقَرور: الماء البارد يغتسل به.

والنّشوع: الوَجور يُوجرَه الصبيّ أو المريض، وكذلك الوَشوع.

والوَقود: هو الحَطَب، قال تعالى: ﴿النار ذات الوَقود﴾. والوُقود (بالضم) هو التوقّد.

والوَضوء: ما يتوضأ به. والعَقول: دواء يُمسك البطن، والمصدر العَقل.

و «الفَطور» و «السَحوّر» و «الشَروب»، وماء شريب وشروب للماء بين الملْح والعَذب.

والسَّنوت: هو الكمّون.

والوَضوخ: الماء يكون في الدلو شبيهاً بالنصف. والنَّضوح: الحوض، سُمّي بذلك لأنه ينضح العطش. وحلأتُ له حَلوءاً إذا حككت حجراً على حجر.

والحَمول بمعنى المحمول ومؤنّثه بالهاء، وكذلك كل «فَعُول» بمعنى مفعول كالحَلّوب والحلوبة. وناقة خَلوج، إذا خَلَجَ عنها ولدها بذبح أو موت أو هبة.

و «الحمولة»: ما يتحملون عليه، قال تعالى: ﴿ومن الأنعام حَمولةً وفَرشاً﴾ فالحَمولة الكبار، والفَرش الصغار.

والحَصور: البخيل الذي لا يشرب مع القوم، قال الأخطل:

وشارِبٍ مُربح بالكأس نادمني لا بالحَصور ولا فيها بسَوّارِ

والسَّوّار: من سار يسور إذا وثب من عربدته، ويُروَى: سئّار» أي لا يُفضِل فيها.

ومن الأبنية بناء «فُعَلة» يفيد المبالغة وغيرها، ومن ذلك:

رجل صُرَعة: شديد الصراع.

رجل ضُجَعة: عاجز يلزم بيته، وكثير الاضطجاع.

رجل ضُحَكة: كثير الضحك على غيره، فأما رجل ضُحكة فهو المضحوك عليه.

وامرأة طُلَعة: تكثر التطّلع. وقالوا: امرأة طُلَعة قُبَعة، أي تُطلع ثم تقبَع رأسها أي تدخله. ونعجة شُربَة: كثيرة الشُرب.

ورجل حُمدَة: يكثر حَمْد الأشياء، ويزعم فيها أكثر مما فيها، وأما قولهم «حُمْدة» فهو الذي يُحْمَد. ومثل هذا رجل خُدَعة للكثير الخَدْع، فأما الخُدْعة فهو الذي يُخدَع.

ورجل سُؤَلة للكثير السؤال. ورجل أُمَنة: للذي يثق إلى كل واحد.

ورجل قُذَرة: وهو الذي يتنزّه عن الملائم.

ورجل قُعَدة: لايبرح، كثير القعود، ورجل شُربَة للكثير الشرب.

ورجل لُعبَة: كثير اللعب، ورجل وُلَعة: يكثر الوَلوع بما لا يعنيه.

ورجل نُومَة: كثير النوم، وأما رجل نُومة فهو الخامل الذكر، لا يُؤبَه له.

ورجل نُتَفة: فهو الذي يأخذ من العلم شيئاً ولا يستقصيه.

وهو نُكَحة: أي كثير النكاح، وهو هُذَرة بمعنى كثير الهَذّر.

ورجل هُقعَة: يكثر الاتّكاء والاضطجاع بين القوم، وهو حُوَلة للكثير الاحتيال، ومثله حُوَّل. وهو هُمَزة لُمَزة أي يهمِز الناس ويعَيبهم. قال تعالى: ﴿ويلٌ لكل هُمَزَة لُمزَة﴾.

ورجلٌ تُكَأَة: كثير الاتكاء، وهو وُلَجة للكثير الولوج.

وغير هذا كثير. وقد رأينا أن في الذي بسطته ما يمكن أن يكون من الكلم الجديد الذي تفتقر إليه العربية المعاصرة. وقد رأينا أن الدلالة العامة لهذا البناء هي المبالغة، ولكننا وجدنا إلى جانب ذلك خصوصيات دلالية مفيدة كقولهم: رجل نُتفة. وبعير غُسلَة للكثير الضِّراب ولا يُلقح. ثم إننا وقفنا على أن «فُعَلة» قد يكون إلى جانبه «فُعْلة» وكأنهما ضدّان فالضُحَكة الذي يضحك كثيراً في حين كانت الضُحْكة بالسكون للمضحوك عليه، ومثل ذلك «حُمدَة» و «حُمْدة».

ولنا أن نقول في أن بناء «فُعْلة» بالسكون إذا أطلنا فيه الاستقراء اهتدينا إلى أنها بمعنى «مفعول»، وهذا يدفعنا إلى القول إنه يفيد اسم المفعول قبل أن يكون قياس هذا على مفعول، ومن ذلك الكُسوة، واللُقمة، واللُهنة، والنُبذة وغير ذلك، وهذا شيء من سماحة هذه اللغة قبل أن تكون دلالة على سعتها.

بناء فُعال:

ولنتحول إلى بناء «فُعال» من أبنية النعوت الذي يفيد الوصف مع شيء من المبالغة في كثير من الكلم ومن ذلك:

رجل ضُخام، وهو أكثر من الضخم.

ومن غير شك أن الطُوال أكثر من الطويل.

ورجل ظُراف للكثير الظَّرف، وحكى الفرّاء: رجلٌ ظُرّاف مع التشديد.

ورجل وُضّاء روضيء. وقالوا: رجل قُرّاء أي قارىء، وأنشد الفرّاء عن أبي صدقة الدُّبيريّ من بني أسد:

بيضاء تصطاد الغَويّ وتَسْتبي بالحسنِ قَلْبَ المسلم القُرّاءِ

ورجل كُبار للكبير، وأكثر منه كبّار بالتشديد، وفي التنزيل العزيز: ﴿ومَكَروا مَكْراً كُبّاراً﴾ [نوح: ٢٢].

ومثل هذا: رجل كريم وكُرّام.

ومثل هذا «عُظام» وهو الكبير الضخم، وهو أكثر من العظيم. وكذلك قُصار.

ونحمل على هذا سائر الصفات من هذا الباب نحو هُمام وشُجاع وعُجاب وغيرها.

وقد يلتقي في بناء «فُعال» بالضم الوصف كما بينّا والأدواء، وهي مصادر ومنها الصُداع والهُيام ومنها الخُمال، وهو داء يصيب مفاصل الإنسان، وقوائم الحيوان فيعَرَج منها. ومثله القُلاب لوجع القلب ويُحمَل عليه الزُّحار والخُناق وغير هذا.

ومن مصادر هذا الباب ما يـدل على الأصوات كـالسُعال والصُّـراخ والبُكاء والحُداء وغيـرها. ويعـاقب هذا بنـاء «فعيل» لـلأصوات كـالنعيب والنعيق والنهيق والصهيل والهديل وغيرها.

وقال الفرّاء: سمع الله دُعاءه وغُواثه، بالضم والفتح. ولم يجيء من الأصوات بالكسر إلّا القليل نحو الغِناء والنِداء.

ولنعد إلى «فُعال» في النعوت، فنجد أنّ في العربية ميلاً للزيادة بالياء لزيادة الصفة، ومن ذلك: الأُذاني خاص بالعاقل. ومثل الأُذاني «الرؤاسيّ» للعظيم الرأس.

وكذلك قالوا: ستُاهي لعظيم الاست وهو السُّتْهُم أيضاً، وهو أكثر من الأستَة والستَّهاء.

ومن هـذه الزيـادة ألمعيّ ويَلمعيّ وزيـادة اليـاء لغيـر النسب تحقق المبالغة.

وقال رؤبة:

والـدهـر بـالإنـسـان دوّاريُّ

والياء تفيد هذه الزيادة وليست للنسبة، وعلى ذلك يكون الأجمريّ والأخضريّ. وليس بعيداً أن يكون من هذا «الرئيسي» وذلك لأن الوصف «رئيس» يعبِّر عما يراد بـ «الرئيسي»، وعلى هذا فالياء فيها لغير النسب، وهو شيء يدخل في إفادة الزيادة.

بناء مفعول:

وهذا يؤدي اسم المفعول كما اصطلح عليه أهل الصرف، وليس من إشكال في هذا البناء في الأفعال الثلاثية المجردة المجاوزة، ولكن الأشكال في الفعل الأجوف ولاسيما ما كان يائياً نحو بـاعَ وكالَ، فـاسم المفعول

منهما مَبيع ومَكيل كما أن اسم المفعول من صانَ وقالَ، مَصون ومَقول.

وقال أهل الصرف إن أصل مَبيع ومَكيل مَبيوع ومَكيول، وأصل مَصون ومَقول مَصوون ومَقوول. ولو أننا درجنا مع أهل الصرف في سلوك الطريق إلى مبيع ومكيل لارتكبنا شططاً[1] ولجرنا على العربية وتاريخها ولا أرى أن هذا الذي سلكه الصرفيون من العلم، والذي أراه أن:

مبيع ومكيل صيغتان مختصرتان مخفّفتان للإعراب عن اسم المفعول، وكذلك مَصون ومَقول، وهما مستعملتان لدى قوم إلى جانب مَبْيوع ومَكْيول ومَصْوون وَمقْوول لدى قوم آخرين. وهذا يعني أن الصيغتين عرفتهما العربية، وأن الناس قد أعربوا بأيّ منهما، ومن يدري لعل الذين التمسوا التخفيف غير أولئك الذين درجوا على الأصل بغير الحذف.

ويدل على هذا أن اللغويين أثبتوا: ثوب مَبيع ومَبْيوع، وطعام مَكيل ومَكْيول، وثوب مَخيْط ومَخْيوط وثوب مَصُون ومَصُوون، ومِسْك مَدوف ومَدْووف، وأرض مَصيفة ومَصيْوفة، وأرض مَغيثة ومَغْيوثة.

ولا بد أن نلحق بهذا البناء كلمتين أخريين ابتعدتا قليلاً عن «مَفعول» وهما:

«مُعلوق» بضم الميم وهو واحد المعاليق.

---

(١) ذكر الصرفيون أن «مَبيع » أصلها «مَبْيوع»، وأما كيف جرى هذا التحول فقد قالوا: أن الضمة على الياء نقلت إلى الصحيح الساكن قبلها وهو الباء، فالتقى ساكنان وهما الياء والواو فحذفت الواو، ثم ابدلت ضمة الباء المنقولة إلى كسرة لتناسب الياء فحصل بعد ذلك كله «مبيع».
أقول: وفي هذا كله جملة مسائل قائمة على أساس من خطأ في معرفة الأصوات ولا سيما أصوات المد، فقد خلطوا بين الياء وهي حرف مد لين وبين الياء الشجرية، وهناك أخطاء أخرى.

و «مُغفور» وهو شيء ينضحه العُرفُط، حلو كالناطِف، ويقال فيه: مُغثور على البدل. وضم الميم في هاتين الكلمتين قد يحملنا على القول: إنهما صورة قديمة لـ «مَفعول» بفتح الميم، وكون أن العربية خلت من ثالث لهاتين الكلمتين، يشير إلى أنهما بقية قليلة من هذا البناء المضموم الميم.

ولعل في طوقنا أن نحمل على بناء «مَفعول» بالفتح ما هو شائع في العربية المعاصرة، ولاسيما في الألسن الدارجة نحو: مَدْيون ومَعْيون ومَعْيوم وغير ذلك.

وهذا كثير في الألسن الدارجة وهو عام فيما كان من بنات الواو أو بنات الياء فهم يقولون: مديوس كما يقولون: مَطْيور ومَشْيول ومَصْيود وغير ذلك.

الأصول بين الواو والياء:

وأريد بالأصول الأفعال التي عرفت في العربية ودرج عليها الدارسون، ولزمت حالاً معينة فقيل إن الفعل «قال» مثلاً من ذوات الواو، ومستقبله «يقول» ومصدره قول، فإن وجد قال يقيل فذاك شيء آخر يؤدي معنىً لا صلة له بالأول.

ولم أعن في هذا الدرس بهذه الأفعال التي تكون من ذوات الواو فتؤدي معنىً، وهي من ذوات الياء في معنى آخر، ولكني أقصد بالأصول تلك الأفعال التي وردت بالواو والياء في دلالة واحدة مشتركة، وإن شاع فيها اختصاصها بالواو مثلاً أو بالياء.

ومن هذه الأفعال ما أنا ذاكره على سبيل التوسع وليس الاستيفاء التام، وهي:

قالوا: أتيتَه وأتوته بمعنى جئتَه، قال خالد بن زهير:

يـا قـوم مـا لـي وأبـا ذؤيـبِ كـنـت إذا أتَـوْتـهُ مـن غَـيـبِ
يَـشـمّ عـطفـي ويَبُـزُّ ثـوبـي كـأنّـمـا أرَبْـتُـهُ بـرَيْـبِ

وليس من حاجة إلى الاستشهاد على مجيئه بالياء فهو الكثير المعروف. وقد بانَه بَوناً إذا فاتَه، والياء لغة، أي أن الكثير الشائع هو ما ذكر. وأما بانه يبينه بيناً فهو لغة بمعنى أنه لغة خاصة قليلة، وبينهما بَيْن بعيد.

وقالوا: حَلَيت الشيء في عينه، وحَلَوته أحلوه حَلْواً وحُلْواناً، إذا رهبتَ له شيئاً على شيءٍ فَعَله بك، قال علقمة بن عبدة:

ألا رجـلاً أحلوه رحلي ونـاقـتي يُبَلِّغُ عنّي الشعـرَ إذ مـاتَ قـائلُهْ

وقالوا: سَحَوتُ الطين من الأرض وسَحَيتُه إذا قشرتَه.

وقالوا: سَخَت نفسُه تسخو، وسَخَيتُ، وسَخِيتَ تَسْخَى.

وقالوا: صَغَوتُ وصَغَيتُ إذا مِلْتُ.

وقالوا: طَغَوتُ وطَغَيتُ، يطغُو ويطغَى. وطَغِيَ يطغَى لغة (أي قليلة).

وقالوا: طَلَوتُ الطَّليَّ وطليتُه إذا ربَطتَه في رجله.

وطَلِيَ الفمْ يطلىَ طلىً إذا يَبِسَ من العطش.

والطَلَوان: ما يَبِسَ على الأسنان من الريق.

ولنرجع إلى المعنى الأول فنقول: سُمّي الطَّليُّ لأنهُ يُطْلَى، أي تُشدّ رجله بخيط إلى وتد أياماً، وذلك الخيط هو الطِّلاء.

وطليته أطلية. وحكى الفراء: طَلَوته.

وقالوا: طما يطمو طُمُوّاً، وطَمِيّ يطمَى طُمِيّاً إذا ارتفعَ.

وقالوا: طَهَوت اللحم وطَهَيْتُه.

رعَلَوْت وعَلَيت.

وضاره يضيره. وحكى الكسائي عن بعض أهل العالية: لا ينفعني هذا ولا يضورني. وقروتُ الأرض، إذا تتبعتَها تخرج من أرض إلى أرض، وقَرَيتُ الماء في الحوض أقريه قَرْياً: جمعتُه.

وقالوا: قلوتُ البُسْرَ واللحمَ والبرّ، وقَلَيتُها، فهي مَقلوة ومَقليّة.

وقليت الرجل أقليه من البُغض قِليً لا غير.

وقَنَوت الغنم وقنيتها إذا اتخذتها قُنية، وقِنوان وقِنيان.

وما أعيج من كلامه بشيء، أي ما أعبَأ به، وما أعوج بكلامه أي ما التفتُ إليه.

وقالوا: تاهَ ينيه كما قالوا: تاه يتوه، وهو من النوادر.

وقالوا: غِرت الرجلَ أغيرُه، وقوم قالوا: غُرتُه أغوره بمعنى نفعتُه، حكاه أبو عبيدة.

ويقال: غارني فلان يغيرُني ويغورني، إذا أعطاك الديةَ.

ولَحَوتُ العَصَا ولَحَيتُها إذا قَشَرتَها.

ولحَيتَ الرجل ألحاه بمعنى لمته.

ولخيتُه ولَخَوتُه وألخَيتُه إذا اسعَطْتَه. والمِلخَى المُسْعُط (وهو الإناء يُجعَل فيه السَعوط ويصب في الأنف).

وَلهَوتُ بالشيء ألهو لَهْواً، ولَهَيتُ عنه ألهَى بمعنى سلوتُ وتركتُ

ذكره، ورجل لَهُوٌّ عن الخير.

ولَغْوتُ ألغُو، ولغَيتُ ألغَى، ولغِي بالشيء يلغَى إذا أولِغٍ به.

ومَنوْتُ الرجلَ ومَنَيْته: ابتليتُه.

وماثَ الشيء يموثُه مَوْثاناً ومَوْثاً، ويَميثه بمعنى أذابَه.

وغلوتُ أغلو غُلُوّاً، وغَلَيت من الغضب غلياناً.

ولا بد أن نلحق بهذا ما ورد بالواو والياء من الأسماء ومن ذلك: صِوار من بَقَرٍ وصيَار.

وأهل الحجاز يقولون للصّوّاغ الصَيّاغ. أقول: وما زال الصياغ أكثر من الصَوّاغ.

وقالوا: صُوَّم وصُيّم.

وهو أحوَل منه وأحيلَ.

أقول: وقولهم «أحيلَ» أُخذ من المصدر «الحِيلة» فكأنهم توهموا أن الياء أصيلة وليست عارضة من الواو، وباب التوهم كثير في اللغة(١).

وقوم نُوَّم ونُيَّم.

وقد نستدل على أن ما جاء بالواو وما جاء بالياء هو شيء يتصل باللغات أي ما يدعى في عصرنا بـ «اللهجات»، بما عندنا الآن من اللغات الإقليمية الخاصة ذلك أننا نجد من يقول في عاميته الدارجة «يزيد» وآخرين

---

(١) عرض التوهم لكثير من الكلم في العربية، ومن ذلك جميع «مسيل» وهو من السيل على «مسلان» وامسلة بعد توهم أن الميم في «مسيل» أصل فعوملت معاملة «رغيف» التي جمعها رغفان وأرغفة، ومثل هذا «مكان» التي جمعت «امكنة». والأمثلة أكثر من أن تحصر.

يقولون: «يزود». و «تاه يتيه» و «تاه يتوه». ومن المعلوم أن القائلين بالياء غير القائلين بالواو، وقد يكون القول الأول خاصاً ببلد أو إقليم، والقول الثاني خاصاً بإقليم آخر.

بناء فعيلة:

غير قليل من هذا البناء يأتي في باب الأطعمة والمآدب التي يصنعها الرجل ويدعو إليها الناس، والواحد «مأدبة» بضم الدال وفتحها، يقال أدب يأدِب أدْباً.

وقالوا في «المأدبة» أيضاً: إنها طعام النُفَساء والختان والقادم من سفر.

وفي بناء فعيلة من هذا:

الحتيرة أو الحُترة: وهي الطعام يُتَّخذ عند بناء الدار، يقال: حَتَرْ لنا.

الخزيرة: أن يُطبَخ لحم صغار في ماء كثير، فإذا نضج ذُرَّ عليه دقيق.

الخضيمة: طعام يُنَقّى ويجعل في قدر ويصب عليه الماء ويُطبَخ حتى ينضج.

تعليق:

أقول: إن دلالة «الطعام» في العربية عامة يدخل فيها كل ما يؤكل، ولكنها قد تنصرف أحياناً إلى شيء خاص هو الحَب كالبُرّ والشعير ونحوهما، وفي قولهم: الخضيمة طعام يُنَقّى... ما يدُلّ على هذا. ودلالة «الطعام» على هذا ما زالت معروفة لدى أهل القرى في جنوبي العراق.

السخينة: التي ارتفعت عن الحَساء وثقلت عن أَن تُحسَى، وهي دون

العصيدة. وإنما تتخذ السخينة والحريقة والنفيتة عند غلاء السعر وعَجفَ المال.

تعليق:

وقولهم: «عَجفَ» المال أي ضعف وهزال الدواب. فالمال في كتب اللغة كثيراً ما ينصرف إلى الدواب كالإبل والغنم والماعز وغيرها.

واللهيدة: «العصيدة» الرخوة ليست بحسَاء يُحسَى. ولا بغليظة فتُلقَم وهي «الحريرة»، وهي مجاوزة حدّ الحريقة والسخينة.

واللفيتة: العصيدة المغلّظة.

والنهيدة: أن يُغلَى لباب حبّ الحنظل، فإذا نَضِجَ وكَثُف ذُرَّت عليه «قَميحة» من دقيق وأُكل. ويروى «قَميحة» وقُمَيحة» وقَمْحة.

والنحيرة: لبن حليب يجعل عليه سَمْن. وقال الطائي: هو ماء وطحين يطبخ.

والنخيسة: لبن العنز والنعجة يُخلَطان.

والنخيجة: زبدة رقيقة تخرج من السقاء توضع على البعير بعدما مُخِضَ وخَرَجَ زبدُه الأول.

والنفيتة: أن يُذَرّ الدقيق على ماءٍ أو لبن حليب حتى يُنفَت وُيتَحسّى من نفتها، وهي أغلظ من السخينة، يتوسّع بها ذو العيال إذا غلبه الدهر.

والوجيئة: تمر يُدَقّ حتى يخرج نواه ثم يُبَلّ.

والوغيرة: لبن محض يُسَخّن حتى ينضح، وربما جُعِلَ فيه سَمْن فيقال: أوغرت.

والوكيرة: طعام يُتَّخَذ عند بناء البيت، قال:

كُلُّ الطعام تشتهي عميرَهْ   الخُرسُ والأعذار والوكيرهْ

والخُرس: طعام النُّفَساء، والإعذار الطعام عند ختان ولد.

وروي الرجز أيضاً:

كلّ الطعام تشتهي ربيعَهْ   الخُرس والإعذار والنقيعهْ

و «النقيعة» طعام.

والوليمة: طعام يُتّخذ عند بناء الرجل بأهله يُدعى إليه الناس.

أقول: وقد عرض العموم للوليمة فصارت المأدبة على وجه عام وليس من تخصيص.

وقد يرد على وزن «فُعْلة» ما يفيد ضرباً من الطعام نحو: اللُّهْنة واللُّمْجة للطعام الذي يُتَلهَّى به قبل موعد الأكل.

ولا أدعي أني أتيت على جميع ما في هذا الباب، ولكني أردت بهذا الموجز أن أبسط الأطعمة وما يتصل لها من خصوصيات لأدُلّ على سعة العربية في عصورها القديمة بين بدواتها وحضارتها. وفي هذا بيان عن حاجة العربية المعاصرة إلى شيء من تلك السعة.

استدراك:

الوهيسة: أن يطبخ الجراد، ويجفف ويدقق فيُقْتَمَح أو يُبكَل بدَسَم.

والرغيدة: طعام من اللبن الحليب يُغلى ويُذرّ عليه الدقيق.

والرهيدة: هي حنطة تدق ويُصَبّ عليها اللبن.

والبكيلة: إقِط يُلَت بسَمْنٍ، وقيل: أقط مطحون تبكله بالماء كأنك تريد أن تعجنه. والبكالة الدقيق بالرُّبّ أو بالسمن أو بالتمر أو بالسويق،

وهو الناعم من دقيق الحنطة يُبَلّ بَلاً أو سويق بتمر ولبن أو دقيق يخلط بسويق ويُبّل بماء وسَمْن أو زيت أو الأقط الجاف يخلط به الرطب. أو طحين وتمر يخلطان بزيت.

والربيكة شيء من حَساء وأقِط، والحَساء دقيق يطبخ بالماء والسمن.

والوضيعة: طعام من السويق والعَسَل.

والحريقة والحَروقة: طعام أغلظ من الحَساء.

والسهيكة: طعام رديء يستعملونه في المجاعة.

والوديكة: طعام من الدقيق والشحم.

والوزيمة: طعام من لحم الضباب.

والحريرة: دقيق يطبخ باللبن.

والخزيرة: ويقال الخُزْرُقة: طعام يطبخ باللحم والدقيق.

والمضيرة: طعام يطبخ باللبن الحامض.

والعبيثة: طعام يجعل فيه الجراد.

والثميغة: ما رقَّ من الطعام واختلط بالودك.

والثُّوَيناء: دقيق يفرَش تحت الفرزدق (وهو قطعة من العجين تبسط فيخبز منها الرغيف، أو الرغيف الضخم الذي تجففه النساء للفتوت).

والجبَيز: الخبز الفطير واليابس.

والجوذابة: مَلّة تخبز في التنّور معلقاً فوقها طائر أو لحم فيقطر ودكه عليها.

والبريقة: لبن يصب عليه إهالة أو سمن قليل. (والإهالة ما أذيب من الشحم ونحوه).

والبريك: الرّطَب يؤكل بالزبد.

والبَروك: الخبيص تعمله العرب من التمر والسمن.

والبسيسة: سويق أو دقيق أو أقط مطحون يُلَتّ بالسمن والزيت.

والجشيش: السويق أو حنطة تطحن قليلاً، وتجعل في قدر ويُلقى عليها لحم أو تمر.

والخبيص: نوع من الحلوى من التمر والسمن.

والجعجرة: ما يتخذ من العجين كالتماثيل فيجعلونه في الربّ إذا طبخوه.

والجليحة: طعام يصطنع من الحليب والسمن يخلطان معاً.

والحَسِيْس: تمر يخلَط بسمن أو أقط فيعجن ويدلك شديداً حتى يمتزج، ثم ينذَر منه نواه، وربما جُعِل فيه سويق.

والدُواية: جُليَدة تعلو الهريسة واللبن ونحوه إذا ضربته الريح.

والهريسة: الحَبّ المدقوق بالمهراس فيطبخ.

والزّرَيقاء: الثريدة بلبن وزيت.

والنابجة: طعام جاهلي يخاض البُرّ باللبن فيُجدَج أي يُلَت ويخلط.

والرصيعة: البُرّ يدق بالفِهر (حجر قدر ما يُدَق به الجوز أو يملأ الكف ويستعمل عند الأطباء للحجر الرقيق الذي تسحق به الأدوية على

الصلابة) ويُبَلّ ويطبخ بالسمن.

والفيحاء: طعام من الحَساء والتوابل.

والمِجع: اللبن يُنقَع فيه التمر.

والنجيرة: حَساء من دقيق يجعل عليه سَمْن.

والوليقة: طعام يتخذ من دقيق ولبن وسمن.

والسخينة: طعام أرق من العصيدة وبها كانت تعيَّر قريش لأنها كانت مولعة بأكلها كما كانت تميم تُعَيَّر بشدة الحرص على الأكل، قيل إنهم كانوا يلفّون الوطب وهو سقاء اللبن في البجاد، وهي ثياب العرب.

يحكى أن معاوية بن أبي سفيان كان يمزح مع الأحنف بن قيس وكان تميماً فقال له: ما الشيء الملفف في البجاد يريد قول الشاعر:

إذا ما مات مْيت من تميم وسَرَّك أن يعيش فجيء بزادِ
بلحم أو بخبز أو بتمر أو الشيء الملفف في البجاد

فأجابه الأحنف هو السخينة يا أمير المؤمنين فأفحمه، وكان معاوية يقصد ما يعاب به بنو تميم فأجابه الأحنف بما يعاب به القرشيون.

وكانوا يُسَمّون المَرَقة المُسَخَنَّة بنت نارين، والخبز ابن حبة، قال الشاعر:

في حَبّة القلب منّي زرعت حُبَّ ابن حَبَّهْ

ومما يدخل أطعمتهم:

ما ورد في المقامة الصنعانية للحريري: ...فوجدته محاذياً لتلميذ على خبز سميد وجَدْيٍ حنيذ، أي مشوي.

وشر الأطعمة من اللحم القديد، ولذلك قالوا في أمثالهم لمن يظهر

السخاء ولا يرى منه إلّا قليل خير: شريف قومٍ يُطعِم القديد.

وكانوا إذا لم يجدوا عَلفاً لخيولهم دقّوا اللحم اليابس وأطعموها، قال النمر بن تولب يخاطب الرسول:

إنّا أتيناك وقد طال السفر أقود خيلًا رجعاً فيها ضررْ
أطعمها اللحم إذا عزَّ الشَّجَرْ

وكانوا يرون أن أطيب اللحم الكتف ويتباهون بمعرفة أكلها، ويضربون بذلك المثل فيقولون للداهي الذي يأتي الأمور من مأتاها: إنه ليعلم من أين تؤكَل الكتف، لأنهم يزعمون أن أكلها أعسر من غيرها، ويرون أنه يجب أن يكون أكلها من أسفلها لأنه يسهل انحدار لحمها، أو من أعلاها فيكون متعقداً ملتوياً. . . ويقولون للضعيف الرأي: إنه لا يحسن أكل الكتف، وأنشد الأصمعي:

إني على ما ترينَ من كبري أعلم من حيث تؤكل الكتف

وكانت قبيلة بَلي من قضاعة لا يأكل أهلها الألية لأنها من الجواعر، ولأنها طبق الأست.

وقالوا في المثل: لا تطعم العبد الكراع فيطمع في الذراع، ويستبين من ذلك أنهم لا يشركون عبيدهم في أطايب اللحوم.

وإنضاج الطعام عند العرب يشتمل على طبخ اللحم وشيّه، وهو على أنواع منها: الصفيف، وهو المصفوف على الحجارة، لينضج، والقدير للمطبوخ في القدور والمراجل الموضوع على الأثافي (جمع أُثفية) من الحجر. أما إذا كان من حديد فهي منصب.

وكانوا إذا أعوزهم قدر يطبخون فيها عملوا شيئاً كهيئة القدر من الجلد وجعلوا فيها الماء واللبن وما أرادوا من ودك، ثم ألقوا فيها الرضَف لتنضج ما في ذلك الوعاء، وهي الحجارة المحماة بالنار.

وأما الأطعمة من اللحم واللبن والخبز فيسمونها الثرائد، ويقولون: إن أول من هشم الثريد هاشم جد النبي صلى الله عليه وسلم.

وجاء في المقامة النصيبية للحريري:

أبو مالك وأبو عمرة كنيتان للجوع، وأبو جامع كنية الخوان، وأبو نعيم كنية الخبز الحُواري، وأبو حبيب للجدي، وأبو ثقيف للخل، وأبو عون للملح، وأبو جميل للبقل.

وأم القِرى للسكباج، وأم جابر للهريسة، وأم الفَرَج للجوذابة، وأبو رزين للحنيص، وأبو العلاء للفالوذج وأبو إياس للغَسول، والمرجفان للطست والإبريق، وأبو السرور للبخور.

وفي «المرصع» للمبارك بن الأثير شيء كثير من هذا يدخل في كنى الأطعمة والأشربة.

وقيل إن التأنق في الأطعمة واختراع الألوان جدّ في عهد معاوية بن أبي سفيان.

وكان معاوية أكولاً شروباً حتى قال الشاعر:

وصاحبٍ لي بطنه كالهاويهْ كأنّ في أمعائه معاويهْ

وقد نسبوا بعض الألوان من المأكول إلى الخلفاء والوزراء وغيرهم من علية القوم فقالوا:

الرشيدية من الحلو منسوبة إلى هارون الرشيد.

والمأمونية منسوبة للمأمون وكذلك المتوكلية المنسوبة للمتوكل بن المعتصم الخليفة.

والمهلبية معروفة وهي منسوبة إلى الوزير المهلبي.

والقدور الإبراهيمية منسوبة إلى إبراهيم بن العباس الصولي.

وقالوا في «أصابع زينب» من مآكلهم من صنع أهل بغداد.

وقد ألفوا في الأطعمة والطبيخ كتباً، ومنهم أبو الحسن علي بن يحيى المنجم نديم المتوكل ومن خواصه ومن خواص الوزير الفتح بن خاقان، وقد كان من أهل الأدب ألف كتاباً في الشعراء الإسلاميين، وكان من أهل المعرفة بالغناء. وله كتاب في الطبيخ، توفي بسرّ من رأى سنة ٢٧٥ هـ.

ومن الأمثال قولهم: تخرَّسي يا نفس لا مخرِّسةً لك، قالته امرأة ولدت ولم يكن لها من يهتم بأمرها يضرب في قيام المرء بحاجة نفسه إذا لم يكن له من يقوم بها.

وجاء في كتب «الأوائل»: إن أول من سنَّ القرى إبرهيم الخليل، وأول من أفطر جيرانه على طعامه في الإسلام هو عبدالله بن عباس الذي كان أول من وضع موائده على الطريق أيضاً.

والأكلة الواحدة هي البَزْمة، وهي وزن ثلاثين درهماً، والقليل من الطعام البسيس، وما بقي على المائدة الخثار، وما بقي عليها مما لا خير فيه الخُشار، وما فضل من الطعام والإدام في الإناء أو خاص بالقَصعة «الثُرْتُم»، قال الشاعر:

لا تحسَبَنَّ طعام قيسٍ بالقنا وضرابَهم بالبيض حشوَ الثُرتُمِ

والسُلْفة واللُّهْنة طعام المتعلل قبل الغداء، والعُجالة طعام المستعجل قبل أوان الغَداء، والزاد طعام المسافر، والجائزة ما يعطى للضيف بعد إكرامه ثلاثة أيام فيجوز به مسافة يومٍ وليلة.

ومنه الحديث: الضيافة ثلاثة، وجائزته يوم وليلة.

وأواني الأطعمة هي الدسيعة والجفنة والقصعة والصحفة والمبكلة والفيخة، وهذه الأخيرة تكفي رجلاً واحداً، وأعظمها الدسيعة وهي تكفي عشرة.

وأما أواني الشرب فمنها التبن وهو أعظم الأقداح ويروي العشرين، ثم الصحن وهو يقاربه، ثم العُسّ ويروي الثلاثة أو الأربعة، ثم القَدَح ويروي الرجلين، ثم القعب ويروي الرجل الواحد، ثم الغَمَر.

ومن صفة الآكلين:

الرزّام لمن يأكل كل يوم صنفاً من الطعام، والناعط من يسيء الأكل، والسَّنِق الذي يأكل فيشبع فيبشم، ومن يضع شماله على شيء يكون على الخوان كي لا يتناوله غيره هو جُرْدُبان (معرَّب كرده بان) أي حافظ الرغيف، ومنه جَردَب في الطعام وجَرْدَم، وأنشد الفراء:

إذا ما كنت في قوم شهاوَى فلا تجعل شِمالَك جُردبابا

والجيء: الدعاء على الطعام والشراب، قال الشاعر:

وما كان على الجيء ولا الهيء امتداحيكما

قال أبو عمرو: الهيء الطعام، والجيء الشراب.

وللمولدين في صفة الآكلين وعيوبهم مولدات كثيرة ذكر طائفة منها الحسين الجزار في كتابه «فوائد الموائد».

ومن عاداتهم في الجاهلية إذا نزل بهم ضيف ضمّوا إليه رحله وبقي سلاحه معه خوفاً من الغارة، ولذلك قال مُرّة بن محكان يخاطب امرأته:

يا ربة الدار قومي غير صاغرةٍ ضمّي إليك رحال القوم والقُرُبا

وأراد بـ «القُرُب» سلاحهم لأنهم عنده في أمان من الغارات فلا يحتاجون إلى السلاح.

والتحية وبسط الوجه والحديث من تمام القرى، قال عاصم بن وائلة:

وإنا لنقري الضيف قبل نزوله ونشبعه بالبشر من وجه ضاحِكِ

وفي المثل: ملحه على ركبته، يضرب للذي يغضب من كل شيء سريعاً، ويكون سيء الخلق يبدّده أيّ شيء وينفّره، كما الملح يبدده أدنى شيء إذا كان على الركبة ويفرّقه، قال مسكين الدارمي:

لا تلمها إنها من نسوةٍ ملحها موضوعة فوق الرُكَبْ

ومن أشربتهم: اللبن ومن صفاته:

الصريف أي اللبن ساعة يحلب.

والجبَاب من لبن الإبل، ولما كان اللبن مما يعوّل عليه في غذائهم عبّروا عنه بـ «أحد اللحمين»، قالوا: أطعمها اللحم أي اسقيها اللبن وجعلوا له أسماء ومنها:

القَيْل: وهو اللبن يُشرب في القائلة أي نصف النهار.

والفِيقة: اللبن يجتمع في الضرع بين الحلبتين، ومنه ما جاء في المثل:

مَهلاً فواق ناقة، أي أمهلني قدر ما يجمع من اللبن في ضرع الناقة بين الحلبتين.

والمظلوم والظليم: اللبن الذي يُحقن، يعني الذي يجمع في السقاء، ويصب حليبه على رائبه ثم يشرب قبل أن يروب.

والضَّيْح والضِّياح: اللبن الخاثر رُقّق بالماء، وهو أسرع اللبن رِيّاً.

والإحلابة، وهو أن يحلب الرجل ويبعث به إلى أهله من المرعى.

والنساء عندهم لا يحلبن لأنه عار عندهن.

والخبيط: لبن رائب ومخيض يصب عليه حليب.

والدخيس: لبن الضأن يحلب عليه لبن المعز.

والنَفَش: القليل من اللبن، والمذقِة: اللبن يخلط بالماء ويُسمّى السّمار أيضاً.

والرثية: اللبن الحامض يخلط بحلو.

والصِّرام: آخر اللبن بعد التغزير، يعني أن تدع حلبةً بين حلبتين إذا احتاج إليه صاحبه حلبة ضرورة.

والشخب: هو ما امتدّ من اللبن إذا خرج من الضرع.

والارتجان: اختلاط الزبدة باللبن.

والوالج: اللبن يُرَدّ في الضرع بأن يُرَشّ الماء على الضرع ليرتفع اللبن فتسمن الناقة.

والغُبْر: بقية اللبن.

والرمث: بقية قليلة من اللبن تبقى في الضرع.

والثجيجة: زبدة اللبن تلصق في اليد والسقاء.

والقارص: اللبن يحذي اللسان، والحازر اللبن الحامض.

وسواية الرضف: اللبن يُغلى بالرضفة منه شيء يسير قد انشوَى على الرضفة.

*

الفصل الخامس

تحقيق لغوي في الصيغ والاستعمالات

هذا بحث حققت فيه طائفة من الصيغ والاستعمالات مما يكثر في عربيتنا الحديثة المعربة. وأقصد بهذه العربية عربية الدواوين الرسمية، وعربية الصحافة والإذاعة والمقالة الأدبية. على أن هذا البحث لا يقتصر على هذه النماذج من اللغة الحديثة، بل يتعدى ذلك للتحقيق في طائفة من الاستعمالات العربية التي عرفت في عربيتنا الفصيحة القديمة. وأنا إذ أبحث في هذا اللون من العلم اللغوي لا أقصد أن أشير إلى مكان التجاوز، أو قل مواطن الخطإ في هذه العربية الحديثة، ولكني أريد أن أشير إلى أن هذه العربية الحديثة هي لغة هذا العصر الحاضر بحاجاته العديدة ووسائله المختلفة وما وجد فيه وما يجد من أشياء ومستحدثات. وهي استعمالات وصيغ قائمة دائمة أردنا أم لم ترد خضعت لسنة التطور شأن جميع اللغات في هذا الموضوع.

ومن الواجب أن نسجل هذا التجاوز، أو قل هذا الجديد لنربط بينه وبين عربيتنا الفصيحة القديمة عملاً بالمنهج اللغوي التاريخي. وسنجد أن علم اللغة في العربية لا يتنكر للجديد المولد أو قل لا يريد أن ينسب إلى الخطإ مواد كثيرة. فالشذوذ في العربية والقول باللغات الخاصة ومسائل التوهم يؤيد ما نذهب إليه في هذه الحقيقة اللغوية.

وسأتناول في هذا البحث طائفة من الصيغ تشتمل على جموع مختلفة وأفعال وغير هذا مما دخله شيء من الجديد صرفه عن الوجه الفصيح المشهور.

ألفاظ الجمع:

١ ــ لقد شاع جمع «مدير» بصيغة اسم الفاعل من «أدار» على «مدراء» في لغة الدواوين الرسمية، وكأنهم لا يعرفون أن الكلمة تجمع جمع تصحيح على «مديرون». وأغلب الظن أن الذي سهل هذا التجاوز أنهم حملوا «مدير» على «فعيل» التي تجمع على فعلاء». وربما لم يبق «مدراء» مكاناً لـ «مديرين» في الاستعمال الجاري في العراق.

٢ ــ ورد في لغة الصحف استعمال «شقاة» جمعاً لـ «شقى» والصحيح أن الكلمة تجمع على «أشقياء» كما هو مشهور معلوم، فاستعمالهم «شقاة» من باب الخطإ إذ ليس المفرد «شاقي» كما نقول: غازي غزاة ووزنه «فُعَلة».

٣ ــ ومثل هذا الخطأ الجديد استعمالهم «ثقاة» بالتاء المربوطة وهم يريدون بها جمع «ثقة» فكأن المفرد من ذلك «ثاقي» وهي تجيء في نطقهم بضم الثاء.

٤ ــ ويجمعون «سائح» على «سواح» فكأن الكلمة جاءت من فعل أجوف واوي والصحيح أن يقال «سياح» ويبدو أن الذي جر إلى هذا الخطإ ضمة السين في الكلمة المجموعة «سياح» على «فعال».

٥ ــ ويجمعون «مدينة» على «مدائن» بالهمزة، ومثلها «مصيدة» على «مصائد» بالهمزة والصحيح أن تثبت الياء لا الهمزة ذلك أن ما كان فيه الياء أو الواو أصلية لم يجز أن تبدل همزة، وعلى هذا حملت «معائش» في قراءة نافع على الخطإ في قوله تعالى: ﴿ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا

لكم فيها معايش قليلاً ما تشكرون﴾[1]. وعن ابن عامر: أنه همز على التشبيه بصحائف[2].

وقد خرج اللغويون والنحويون قراءة نافع هذه بالهمزة على أن «معيشة» وهي «مفعلة» شبهت بـ «فعيلة».

وقد وجد في لغتنا العربية الحاضرة جموع لم تعرف في المأثور من نصوص اللغة، ولكن البحث يهدي إلى شيء يمكن إن ترد إليه هذه المولدات ومن ذلك استعمالهم «مشاكل» جمعاً «لمشكلة» ومهام «جمعاً» لمهمة ولم ترد «مفاعل» جمعاً لـ «مفعلة» صيغة اسم الفاعل. وجمع المؤنث السالم يغني عن هذا التجاوز. غير أن كتب النحو تورد قول أبي ذؤيب الهذلي:

وإن حديثاً منك لو تبذلينه جنى النحل في ألبان عوذ مطافل[3]

فالمطافل جمع «مُطفل» وهي ذات طفل وقد جمعت «مطافيل» بالأشباع. وربما استطعنا حملَ «المشاكل» على «المصائب» وعلى «المراضع» جمع «المرضعة» كما في قوله تعالى: ﴿وحرمنا عليه المراضع من قبل﴾[4].

٦ ـ وقد يعرض لشيء من ألفاظ الجمع خطأ في الشكل فيقولون: «زخارف» يضم الراء و «تجارب» بضم الراء أيضاً و «قنابل» بضم الباء وبذلك خرجت هذه المجموع عن الصيغة الصحيحة الفصيحة وهي «فعالل» بكسر اللام، والذي أراه أن الضمة اجتلبت من ضمة المفرد

---

(١) الأعراف ١٠.

(٢) الزمخشري الكشاف ٢/٨٠ (طبعة الاستقامة القاهرة ١٣٦٥).

(٣) الرضى، شرح الشافية ٤/١٥٥.

(٤) الزمخشري الكشاف ٣/٣٩٦.

فالمفردات هي «زخـرف» بضم الراء و «تجـرُبة» بضم الـراء على النطق العامي السائر فكأنها ليست مصدر «جرب» على «تفعلة». ومثلهما «قنبلة» بضم الباء وجمعها «قنابل».

٧ ـ وربما تحول الجمع في هذه العربية الـدارجة إلى مفـرد في الاستعمال ومن ذلك استعمالهم «آونة» فكأنها تحولت عن جمع ل «أوان» وهي لذلك تعقب في الاستعمال أحياناً لفظ «طوراً» أو «حيناً» ولذلك أيضاً خفيت على كثيرين من طلاب الدرس.

٨ ـ وقد يجمعون «حاجة» على «حـاجيات» فيقـولون «الحـاجيات المنزلية» ولا ندري كيف جيء بهذه الياء.

٩ ـ وقد تتوهم صيغة الجمع في ألفاظ منها: «أثاث» فيقولون: أثاث المنزل والصيغة تشعر باستعمال الجمع. ودلالة «الأثاث» معروفة فهي تدخل على مواد من رياش ومتاع. وفي كتب اللغة أن الأثاث المال أجمع، الإبل والغنم والعبيد والمتاع. وقال الفراء: الأثاث لا واحد لها، كما أن المتاع لا واحد له. وجاءت الكلمة في لغة التنزيل: ﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثـاثاً ورئيـا﴾[١] وقولـه: ﴿ومن أصوافهـا وأوبارهـا وأشعارهـا أثاثـاً ومتاعاً﴾[٢].

على أن هذا المعنى يثبت للكلمة في صورتها العبرانية وإذا تتبعنـا فرائد العربية وجدنا شيئاً يدلنا على وجود هذه الكلمة في صورة أخرى في مادة عربية وهي «لات» النافية العاملة عمل «ليس» وكأن النحويين قد وقفوا على التاء في «لات» وفطنوا إلى أن النافية هي «لا» ثم ركبت مع التاء، ولكنهم لم يهتدوا إلى حقيقة التاء فقد قال جماعة: أنها تاء التأنيث، وقال

(١) مريم ٧٤.

(٢) النحل ٨٠.

آخرون: إنها للمبالغة، وقالوا أنها لكلتيهما[1]. والذي يرجحه التحقيق أن «لات» هي: «لا أيت» ثم خففت وركبت على نحو ما ركبت «ليس» التي هي «لا أيس» و «أيس» تعني «وجود» فكأن «لا أيس» لا شيء، ويدل على هذا أن العبرية «إيش» تعني وجود أو قل إن «شيء» مقلوب «إيش».

ومثل «أثاث» في الإفراد «رفات» ولكن العربية الحديثة حملتها على جمع المؤنث لوجود الألف والتاء. والرفات الحطام من كل شيء تكسر. وفي التنزيل العزيز: ﴿أئذا كنا عظاماً ورفاتاً﴾[2] وقد عرض هذا الخطأ للغة السيد أحمد الصافي النجفي فقد استعمل الكلمة جمعاً غير مرة في شعره.

١٠ ــ وقد منعت لغتنا الدارجة الحديثة ـ ولاسيما ما نسمعه على ألسنة المذيعين في العراق ـ الصرف عن الجموع على زنة «أفعال» فقد منعوا «ألوان» و «أغراض» وأنحاء غير ذلك من الصرف وكأنهم حملوا ذلك على «أشياء» وما علموا أن في منع «أشياء» من التنوين كلاماً كثيراً لا نرى حاجة لنعرض له في هذا المكان.

مواد أخرى:

يقال الآن: «رجل مجرب» بصيغة اسم الفاعل وهو قياس صحيح، فالرجل المجرب هو الذي عرف الأمور وجربها، أما المجرب بالفتح فهو من جربته الأمور وأحكمته. والذي نعرفه أن الكلمة في صيغة المفعول هي التي تكلمت بها العرب وجاءت في كلامهم، ولا بد أن نسجل هنا أن اللغة الحديثة عدلت عن اسم المفعول إلى اسم الفاعل وذلك لاختلاف النظر إلى الفعل وعلاقة الفعل بالفاعل من حيث الإيجاب والسلب وهذا لون من ألوان التطور اللغوي.

---

(١) ابن عقيل، شرح ألفية ابن مالك.
(٢) الإسراء ٩٨.

ندب:

التزمت العربية المعاصرة بصيغة «انتدب» في حالة التعدي والفصيح المشهود هو الفعل «ندب» يقال: ندب القومَ إلى الأمر يندبهم ندباً، وندبت فلاناً ولا يقول: انتدبته. أما «انتدب» فهو فعل لازم يقولون: انتدبوا إليه أي أسرعوا، وانتدب القومُ من ذوات أنفسهم أيضاً دون أن يندبوا له.

قال الجوهري في الصحاح: ندبه للأمر فانتدب له أي دعاه له فأجاب وفي الحديث: انتدب الله لمن يخرج في سبيله أي أجابه إلى غفرانه. ويتبين من هذا استعمال الفعل «انتدب» بمعنى «ندب» كما في عربيتنا الفصيحة شيء لم تجر به لغة العرب الفصيحة القديمة. ولم يشذ عن أصحاب المعجمات في هذه المادة إلا الفيومي في «المصباح المنير» فقد أثبت أن «انتدب» مثل «ندب» ولم يشر إلى مرجع يؤيده في هذا على غير عادته في ذكر المراجع.

استهتر:

والاستهتار الولوع بالشيء والمستهتَر بزنة اسم المفعول المولع، وفي الحديث المستهترون بفتح التاء الثانية المولعون بالذكر والتسبيح، وجاء في حديث آخر: هم الذين استهتروا بذكر الله أي أولعوا ومنه: إن لله ملائكة مستهترين به. وأريد أن أقف على هذه المادة بصيغتها في البناء للمجهول وبصيغة اسم المفعول لأسجل أن عربيتنا المعاصرة بنت الفعل للعلوم وينبنى على هذا أن الوصف منه بزنة اسم الفاعل وليس بزنة المفعول ثم إن «المستهتر» في لغتنا الحاضرة الخارج عن القصد والمتزيد من العبث واللهو «فالمستهتر» قد يكون المكثر من شرب الخمر والذي لا يحترم الحدود في عبثه ولهوه. وهذا التحول في المعنى والصيغة لون من ألوان التطور جاءت به عربيتنا الحديثة.

سهم:

السهم النصيب والقدح الذي يقارع به. واستهم الرجلان تقارعاً. وساهم القومَ فسهمهم سهماً قارعهم فقرعهم، وأسهم بينهم أي أقرع. هذا هو المعروف في كتب اللغة، ولكن عربيتنا الحاضرة توسعت وأفادت من الاشتقاق فأخذت من «السهم» بمعنى النصيب «أسهم» أو «ساهم» بمعنى شارك وهذان الفعلان من المولدات الحديثة التي لا نجدها في الفصيحة القديمة. وهذا التوليد باب يظهر غنى العربية في توليد الألفاظ للإفادة منها في معان جديدة اقتضاها عصرنا الحاضر.

احتج:

ترد هذه اللفظة في لغة السياسة في أيامنا فيقال مثلاً: «احتجت الحكومة الأردنية على الاعتداءات اليهودية المتكررة». والمراد استنكرت الصنيع واعتبرته اعتداءاً ورفعت بذلك شكوى إلى الهيأة الدولية. وورد «الاحتجاج» بهذا المعنى في لغة هذا العصر من الجديد المولد الذي حفلت به العربية. وهو مخالف للاستعمال في كتابات المتقدمين، وعندهم «احتج بالشيء: اتّخذه حجة ليس غير».

فالاحتجاجات كما يرد في الاستعمالات الصحفية جديد لم تعرفه العربية القديمة.

شجب:

يرد هذا الفعل في عربيتنا الحديثة ولا سيما ما يكتبه أهل السياسة وأهل الصَحافة فيقال مثلاً: «شجبت الصحافة العربية تأيده ألمانيا الغربية لإسرائيل والمراد أنها نددت بالتأييد واستنكرته. وهذا معنى جديد لم يرد في العربية قبل عصرنا هذا. وقد استعمل المتقدمون «شجب» بمعنى «حزِن» أو «هلك» وقد ورد «شجَب» بالفتح «يشجُب» بالضم شجوباً، و «شجب» بالكسر «يشجب شجباً» فهو «شاجب وشَجِب» و «أشجبه الله»

أهلكه. وليس في هذه المعاني ما يقرب مما نحن فيه من الاستعمال الحديث.

فشل:

وهذا الفعل من الأفعال الشائعة. في كتابات أهل هذا العصر، وهو يعني ما يعنيه الفعل «خاب». يقال: فشل في مسعاه أو كانت نتيجة الفشل. والذي نعرفه من استعمال هذا الفعل لا يقرب من هذا. قال تعالى:

﴿ولا تنازعوا فتفشلوغا وتذهب ريحكم﴾. والفشل في الآية الجبن أي تجبنوا عن عدوكم إذا اختلفتم. وفَشِل الرجل فَشَلاً، فهو فَشِل: كَسِل وضعف وتراخى وجبن. ومن هنا تبين لنا بعد هذا الاستعمال الفصيح القديم عما نستعمله الآن.

خابر:

وهذا الفعل يستعمل فيما يستعمل الفعل «أخبر» أي «أنبأ» وأكثر ما خص الاستعمال هذا الفعل هو الإخبار بالهاتف «التلفون» يقال: خابره أي كلمة وأنبأه مستعيناً بهذه الآلة، وفي كل هذا ابتعاد عن الاستعمال الفصيح المشهور. والمخابرة من لغة الدواوين الرسمية في أيامنا هذه في العراق. يقال: جرت مخابرة في شأن هذا الموضوع، أي حدث سؤال وجواب ومكاتبة بين جهات عدة في هذا الموضوع.

والمخابرة في الاستعمال القديم شيء غير هذا، ولا يقرب منه في شيء. فهي المزارعة ببعض ما يخرج من الأرض. والخَبَر أن تزرع على النصف أو الثلث، وهي المخابرة، وهي الخبرة بكسر الخاء أيضاً. وعن رسول الله ﷺ أنه نهى عن المخابرة. والمخابرة المؤاكرة، والخبير الأكّار، قال الشاعر:

تجز رؤوس الأوس من كل جانب   كجزِّ عقاقيل الكروم خبيرها

عاش:

استعمل هذا الفعل استعمالاً جديداً في أيامنا على طريقة المجاز، يقال: عاش المسألة أو القضية أو المحنة أو الفترة، بمعنى كابدها واحتملها وخبر من نتائجها. وهذا الاستعمال كما يبدو نقل للأسلوب الأعجمي، ففي الفرنسية يقال: *IL a Vecu* في الكلام على شيء مثل هذا. وفي الاستعمال الفرنسي يتعدى الفعل بصورة مباشرة وقد انتقل هذا التعبير إلى العربية من الاستعمال الأعجمي فشاع هذا الفعل في هذا الاستعمال الجديد إلى مشتقاته الأخرى كما في قولهم: (الواقع المعاش) بزنة اسم المفعول من غير الثلاثي، وكان الصحيح أن يقال: المعيش بالرجوع إلى صيغة الثلاثي.

هدف:

والهدف: الغرض المنتَضل فيه بالسهام. والهدف: كل شيء عظيم مرتفع، وقد صار الهدف في العربية المعاصرة الغاية والمقصد. وقولهم: «يهدف إلى» جديد.

المقارنة:

والأصل فيها المصاحبة، ولكن المعربين في عصرنا أرادوا بها «الموازنة» التي عرفناها في كتاب «الموازنة بين أبي تمام والبحتري» للآمدي.

مبرر:

ومن هذه المادة فعل مضعف هو «برّر» على «فعّل» وهو من الأفعال الشائعة التي حفلت بها لغتنا الحديثة فهم يقولون مثلاً: «الغاية تبرر الواسطة» أي تجوزها. وهذا شيء جديد لم يرد في كتب اللغة.

عِوَض:

والعِوض البدل. وهذه الكلمة لا تتبع إلا بحرف الجر «من» فيقال «عوض من» على أننا لا نقول إلا: «عوض عن» في عربيتنا السائرة

الدارجة. ومثل هذا التجاوز في استعمال حروف الجر قد حصل كثيراً في لغتنا الحاضرة بحيث خفي الصواب في أفعال كثيرة وسنعرض لجملة من ذلك.

كلم:

ومن هذه المادة يرد الفعل «تكلم» فيعدونه بحرف «عن» والوجه فيه أن يقال: «تكلم على الشيء» و «الكلام على الشيء» ولا نقول: تكلم عن الشيء كما هو شائع في لغتنا الحاضرة.

جوب:

وفي هذه المادة يرد الفعل «أجاب» فيعدونه بحرف الجر «على» والوجه فيه أن يقال: «أجاب عن السؤال» و «الجواب عن السؤال» ولا نقول: أجاب على السؤال كما هو معروف في لغتنا الحاضرة.

طمّن:

وهذا فعل جديد شاع في لغتنا الحاضرة وهو مضعف على «فعّل» فيقولن «يطمن الرغبات» أي «يكفي الحاجات ويسد النقص». وهذا الفعل لا وجود له في العربية الفصيحة القديمة، وهو مولد على طريقة التضعيف والحزم من «طَمْأنَ[1]» والطمأنينة والاطمئنان معروفان.

---

(١) لم يرد «طمأن» الرباعي على هذا النحو في معجمات اللغة وإنما ورد مقلوبة «طأمن» كما ورد المزيد «اطمأن» وذهب سيبوية إلى أن «اطمأن» المزيد بالهمزة والتضعيف مقلوب ومعنى ذلك أن الأصل هو «طأمن» وحجة سيبويه أن «طامن» غير ذي زيادة. ويبدو لي من هنا أن «طأمن» بهذا الشكل جاء من «أمن» ثم زيدت الطاء على هذا النحو الذي لم يجر كثيراً في العربية.

قرن:

ومن هذه المادة الفعل «قارن» وقارن الشيءُ الشيءَ مقارنةً وقراناً اقترن به وصاحبه. ولغتنا الحاضرة تستعمل الفعل «قارن» في قولهم: «قارن الشيء بالشيء» على نحو غير الذي أثبتته كتب اللغة وهو استعمال جديد. والمقارنة في لغتنا اليوم لا يراد بها الاقتران والصاحبة وإنما يراد بها «الموازنة» فهم إذا وازنوا بين موضعين من الموضوعات أحدثوا «المقارنة» بمعناها الجديد. والموازنة هي الكلمة.

ضلع:

ومن هذه المادة يرد الفعل «تضلّع» فيعدونه بحرف الجر «الباء» فيقولون: «تضلع بالشيء» والوجه أن يقال: «تضلع من الشيء» و «هو ضليع من الشيء».

عمق:

ومن هذه المادة يرد الفعل «تعمق» وهو من الأفعال التي تتعدى بنفسها في لغتنا الحديثة، فيقولون: «تعمق الشيء» والوجه أن يتعدى بحرف الجر «في» فيقال: «تعمق في الأمر».

بدل:

والفعل من هذه المادة «بدّل» فضعف على وزن «فعّل» وتبدّل و «استبدل» وهذه الأفعال ترد في لغتنا العربية في عصرنا الحاضر وهم يستعملونها على النحو الآتي: «بدل الكتاب بكتاب آخر» و «استبدل الشيء بشيء آخر» وحرف الجر في هذا الاستعمال يباشر ما أخذ عوضاً من الشيء. وهذه الاستعمال لا يجري على ما جاء في لغة التنزيل فقد جاء في

قوله تعالى: ﴿لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج﴾[1] وفي قوله تعالى: ﴿وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب﴾[2].

وفي قوله تعالى: ﴿ومن يتبدل الكفر بالإيمان﴾[3] وفي قوله تعالى: ﴿قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير﴾[4]. على أن هذا الفعل قد يأتي في لغة التنزيل دون أن يتعدى بالحرف: ﴿وليبدلنّهم من بعد خوفهم أمناً﴾[5].

كفء:

الكفيء: النظير وكذلك الكُفء والمصدر الكفاءة بالفتح والمد، ويقال لا كفاء له أي لا نظير له وهو في الأصل مصدر. ومن الكُفء الكفاءة في النكاح، وهو أن يكون الزوج مساوياً للمرأة في حسبها ودينها ونسبها وبيتها وغير ذلك. وهكذا فإن المعنى الذي تنصرف إليه هذه المادة وهو المساواة حاصل في كثير من المشتقات غير أن عربيتنا الحاضرة قد عدلت عن هذا المعنى وصار الكفء فيها هو «الكافي» القدير فيقولون: هو كفء في عمله أي قادر ذو كفاية وكان الصحيح أن يقال: هو كاف في عمله. وعلى هذا فإن «الكفاءة» قد أخذت هذا المعنى المولد الجديد وهو القدرة على الشيء و «فلان ذو كفاءة» يراد به «ذو كفاية».

والكفاية هي المتطلبة في هذا الاستعمال فقولهم: «رجل كافٍ وكفيً» أي يكفي الأمر، ويقال: رجل كافيك من رجل.

---

(١) الأحزاب ٥٢.
(٢) النساء ٢.
(٣) البقرة ١٠٨.
(٤) البقرة ٦١.
(٥) النور ٥٥.

وأرى أن سبب هذا الوهم أدى إلى أن يكون «الكفء» «كافياً» عدم فهم الكلمة حين وردت في كلام الله تعالى في سورة الإخلاص: ﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾[1] وقد وقعت الكلمة منصوبة خبراً «كان» وقد سهلت الهمزة إلى الواو فصارت الكلمة ترسم بالواو خطأ «كفؤ» وقد حرف معناها إلى معنى «الكافي» الذي أشرنا إليه.

ومن الخطإ في الرسم بالواو وانحراف الهمزة عن مكانها على الواو تولدت كلمة جديدة لا وجود لها في مفردات العربية وهي «كفوء» على وزن «فعول» للدلالة على معنى القدرة والجدارة فقد قالوا: «فلان كفوء بين أقرانه» ثم حلا للمتكلمين بهذه اللغة أن يؤنثوا الكلمة فيقولوا: «العناصر الكفوءة» وهكذا فقد ولد الخطأ في الرسم كلمة مولدة جديدة شاعت في كتابات أبناء هذا العصر ولا تعدم أن تجدها فيما يكتبه المتأدبون.

سبق:

نقرأ في لغة الدواوين الرسمية في العراق كلمة «مُسَبّق» وهي بزنة اسم المفعول المشتق من الرباعي «أسبق» فيقال مثلاً: «وكانت النتائج قد نشرت مسبقاً» والكلمة تستعمل ظرفاً. وإذا نظرنا إلى الفعل الرباعي «أسبق» في كتب اللغة وجدناه في قولهم: «أسبق القوم إلى الأمر وتسابقو بادروا» وهذا الاستعمال بعيد عما يستعمل في لغة الدواوين الرسمية في أيامنا.

فني:

يقال: «التفاني في سبيل الوطن» والمراد: بذل النفس في سبيله، وحقيقة التفاني لا تفيد هذا المعنى الذي شاع في عربيتنا الحاضرة، فإذا قلنا «تفانى القوم» فالمراد قتل بعضهم بعضاً.

---

(١) الأخلاص.

وعى:

وشاع عندما يقرب من سنتين مصدر جديد هو «توعية» على أن فعل هذا المصدر المضعف «وعى» لم يشع بل لم يعرف. وهذا المصدر وفعله من المولد الجديد في عربيتنا الحاضرة. وقد استعملت، «التوعية» لغرض سياسي فالمراد منها «إيقاظ الجمهور وتنبيهه» نحو الوطنية الجديدة القائمة على الاشتراكية والنظم الاجتماعية الأخرى.

كتف:

ومن هذه المادة الفعل «تكاتف» وهو مادة جديدة استعملت في العربية الحديثة، ولا أحسب أنه أستعمل في الفصيح المأثور من العربية، وقد خلت معجمات اللغة من هذا الفعل، ولكن اللغة الحديثة تفيد من الاشتقاق فتتوسع فيه لمعنى من المعاني. ومن المفيد أن نقول: إن علاقة المعنى الجديد للفعل «تكاتف» بالأصل وهو «كتف» من مفردات «خلق الإنسان» مفهومة معروفة.

ضمن:

ومن هذه المادة الفعل «تضامن» والمصدر «تضامن» والفعل والمصدر من المواد التي تشيع في لغة الجيل الحاضر بمعنى «الاتحاد» فيقال مثلاً: «إن الأمة بتضامنها تبلغ الآمال». ومعنى «التضامن» في الفصيح المأثور «التكافل» وبعيد ما بين «الاتحاد» و «التكافل» ومادة «ضمن» تعنى «كفل» و «الضمين» «الكفيل». ويبدو في هذا أن «التضامن» بمعنى «الاتحاد» شيء من المولد الجديد الذي جاءت به لغة العصر.

*

إخصائي:

يراد بالإخصائي الاختصاصي أو المختص، والكلمة تستعمل وصفاً لأصحاب العلوم والفنون فالطبيب الإخصائي هو الاختصاصي بمرض معين وكذلك يقال عن أصحاب العلوم الأخرى. ومن المفيد أن نذكر أن «إخصائي» لا يمكن أن تسد سد الاختصاصي ولا يفهم منها ذلك إلا على سبيل شيوع الخطإ. فليس في مادة «خصص» شيء من هذه الكلمة. وإذا أردنا وجه الصواب فلا بد أن نقول: إن «الأخصائي» منسوب إلى «الإخصاء» وفرق بعيد بين «الاختصاص» المطلوب لأصحاب العلوم «والإخصاء» مصدر أخصى يخصي باعتبار الفعل رباعياً وإن كان الثلاثي «خصى» هو الثابت الصحيح والمصدر خَصاء بالكسر والمد.

رئيس:

والوصف بـ «الرئيس» معروف كثير في عربيتنا الحاضرة، يقال: «السبب الرئيسي» و «العنصر الرئيسي» وغير ذلك. والذي أراه أن الوصف المنسوب غير صحيح، والوجه أن يقال: «السبب الرئيس» دون نسبة «الرئيس» ولا حاجة هنا إلى أن ينسب الشيء إلى نفسه، وأكبر الظن أن هذه الصفة المنسوبة هي من بقايا ما ورثته العربية من العصور التركية، لأنه ليس المراد بهذا الوصف المنسوب كوناً خاصاً بـ «الرئيس»، فليس هو مثل الوصف بـ «الأساسي» المنسوب إلى «الأساس». وإنما هو مثل قولهم «السبب المهم».

حياتي:

وتساهل أهل هذا العصر في لغتهم حتى ارتكبوا الخطأ فقد نسبوا إلى «الحياة» قالوا: «حياتي» دون النظر إلى ألف الحياة وعلامة التأنيث فكما ينسبون إلى «وطن» ويقولون: «وطني» وكذلك نسبوا إلى «حياة» فقالوا: «حياتي» وكأن «حيوى» ليست نسبة إلى «حياة» وقد بلغ من شيوع الخطإ أن

صارت وزارة التربية التي تشرف على صيانة العربية تجعل في منهاج المدارس الابتدائية «العلوم الحياتية». وربما كان «وحدوي» أخف وطأ من هذا الارتكاب الشنيع.

مصون:

اسم المفعول من «صان» وكأن هذه الكلمة في لغة الجرائد على وزن مفعول توهماً على الخطإ، ومعلوم أن «فعول» يستوي فيها المذكر والمؤنث نحو عجوزه وغيره، ولذلك فقد كتبوا في الصحف في الأخبار عن عقد قران مثلاً: جري يوم أمس عقد قران السيد فلان على الآنسة المصون...! وقد جر التوهم إلى أخطاء كثيرة ولذلك ينبغي ألا ينصرف الذهن إلى التوهم الذي أحدث مواد لغوية نحو توهم أصالة الياء في «قيمة» فقالوا في الفعل: «قيّم» بدلاً من «قوّم» ومثله «عيّد» من «عيد».

أما التوهم الذي نباشره فهو من الأخطاء نحو توهم الياء أصلية في «يحيك» والذي جر إلى هذا «الياء» في المصدر «حياكة». ومثله الواو في «سُوّاح» بدلاً من «سُياح» والعدول عن الياء إلى الواو في هذا الجمع كان بسبب ضمة السين. التي اجتلبت الواو من أجلها خطأ.

لا زال:

من أفعال الاستمرار ومجيء «لا» قبل «زال» الفعل الماضي يمحضها للدعاء كما هو في العربية. قال ذو الرمة:

ألا يا أسلمي يا دار مَيّ على البلى ولا زال منهلاً بجرعائك القطر

على أن هذا الدعاء لم تحتفظ به عربيتنا الحاضرة. وأن متأدبي عصرنا لا يميزون بين «لا زال» و «ما زال» فيقولون: «لا زالت الأنباء تتوارد».

والأنكى من ذلك:

وهذا خطأ آخر في استعمال اسم التفضيل، فالمعلوم أن اسم التفضيل إذا كان محلى بالألف واللام لا يؤتى بالمفضل عليه مجروراً بمن، فالصحيح أن يقال: «والأنكى، والأمرّ، والأدهى» دون الإتيان بالمفضل عليه مجروراً بمن ولا حجة بالشاهد النحوي:

ولست بالأكثر منهم حصى وإنما العزة للكاثر

فقد خرج على أن «من» ليست تفضيلية بل للتبعيض أي: لست من بينهم بالأكثر حصى.

ومعظم الأسباب تؤكد...

هذا باب عود الفعل على المضاف إليه وهو غريب في العربية الفصيحة إلا في شواهد سنعرض لها. أما في العربية المعاصرة فهو استعمال شائع. ولغة اليوم في الصحيفة والإذاعة والمقالة الأدبية تعطي مئات الشواهد على ذلك.

أما في المأثور الفصيح فمنه قوله تعالى: ﴿وكنتم على شفا حفرة من النار. فأنقذكم منها﴾[1].

وقال جرير:

رأت مر السنين أخذن مني كما أخذ السرار من الهلال

وقال آخر:

وما حب الديار شغفن قلبي ....

وقال العجاج:

طول الليالي أسرعت في نقضي طوين طولي وطوين عرضي

---

(١) آل عمران ١٠٣.

ما دخلت الدار إلا ورأيت الطفل يلهو:

هذه جملة صدرت بالنفي ثم جيء بـ «إلا» بعدها وهي متلوة بالواو التي تفيد الحال. وهذه الواو ترد كثيراً في مثل هذه الجملة في لغتنا الحاضرة وربما وجدت في لغة العصر العباسي ولكن لغة التنزيل قد خلت من هذا الاستعمال. جاء في قوله تعالى: ﴿وما تأتيهم آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين﴾[1] وفي قوله تعالى: ﴿وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون﴾[2]. وفي قوله تعالى: ﴿وما يأتيهم من ذكر الرحمٰن محدث إلا كانوا عنه معرضين﴾[3].

الجملة الواقعة في جواب إذا الفجائية:

هذه الجملة تكون اسمية وهي لغة هذا العصر تكون مصدرة بـ «باء» زائد إذا كان المبتدأ ضميراً نحو: «خرجت فإذا به واقف في الباب»، وقد خلت لغة التنزيل من هذه الباء في مثل هذا الاستعمال. فقد جاء في قوله تعالى: ﴿ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾[4] وفي قوله تعالى: ﴿فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم ينظرون﴾[5].

اجتماع الشرط والقسم «لئن»:

قالوا: إن اللام في «لئن» موطئة للقسم ومعنى ذلك أن الجواب لا بد أن يكون للقسم نحو قول الشاعر:

فلئن عفوت لأعفون جللاً ولئن وهنت لأوهنن عظمي

---

(١) الأنعام ٤.
(٢) الحجر ١١.
(٣) الشعراء٥.
(٤) الزمر ٦٨.
(٥) الصافات ١٩.

ثم قال النحويون: وقد جاء قليلاً ترجيح الشرط على القسم عند اجتماعهما وتقدم القسم، وإن لم يتقدم ذو خبر، ومنه قوله:

لئن مُنِيَتْ بنا عن غِب معركةٍ لا تلفنا عن دماء القوم ننتفلُ

أقول: إن هذا الاستعمال غير قليل وترجيح الشرط على القسم عند اجتماعهما وتقدم القسم وارد عند عصور العربية الأولى.

قال عمر بن أبي ربيعة:

لئن كان ما حدّثتَ حقاً فما أرى كمثل الألى أطريت في الناس أربعا

وفي العصر العباسي نجد أبا تمام في مثل هذا المقام يأتي شعره على نحو ما أقره النحويون في استعمال «لئن». قال يمدح محمد بن يوسف الطائي:

لئن عمت بني حواء نفعاً لقد خصت بني عبدالحميد

وعلى هذا جرى في جميع قصائده. غير أن البحتري في جميع قصائده يجعل الجواب في مثل هذا الاستعمال إلى الشرط، فهو يقول:

لئن صنت شعري عن رجال أعزةٍ فإن قوافيه بوصفك أليق

وقوله:

لئن فارقتهم وبقيت حياً لقد فارقت أيام الشباب

أما شعراء هذا العصر فهم يجعلون الجواب في مثل هذا المكان للشرط ولا عبرة في هذه اللام الموطئة للقسم.

في الاستفهام:

يستفهم كثيراً بـ «ما» وبـ «من» من أدوات الاستفهام. وقد يحصل أن يتوسط ضمير الغيبة المنفصل بين اسم الاستفهام والمستفهم عنه فنقول:

«ما هي المسألة؟» و «ما هو السبب؟» و «من هو المسؤول» وهذا

الأسلوب شائع كل الشيوع في عربيتنا السائرة، غير أن الاستقراء لا يؤيد هذا الاستعمال، والإيجاز الذي هو صفة العربية في بلاغتها يأبى هذا الحشو. قال تعالى: ﴿قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها﴾[1]. وقال تعالى: ﴿قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي﴾[2].

لا يتفق والحالة الراهنة:

الواو في هذه الجملة للمعية ومعنى هذا أن الاسم التالي لها منصوب على أنه مفعول معه، ومثل هذه الجملة وكثير غيرها مما يكون فيها الفعل دالاً على المشاركة. وهذه الأفعال لا يمكن أن تأتي بعدها واو للمعية وإنما تتمحض هذه الواو إلى العطف. وإذا صح العطف فلا يمكن عطف اسم ظاهر على ضمير مستتر وإنما يجب أن يؤكد هذا الضمير المستتر بضمير منفصل حتى يتم العطف نحو:

«لا يتفق هو والحالة الراهنة». ولكن الجملة كما أثبتناها في أعلاه شائعة في لغتنا الحاضرة.

وبعد فهذه جملة مواد أجريت فيها تحقيقات لغوية لأسجل شيئاً من التاريخ اللغوي وكيف يعرض له التبدل والتطور سلباً وإيجاباً.

* *

---

(١) البقرة ٦٩.

(٢) البقرة ٦٨.

الفصل السادس
سطوة الشاعر ولغة الشعر

لا أدري كيف يكون لي أن أدرك قول الخليل بن أحمد لابن مناذر الشاعر: «إنما أنتم، معشر الشعراء، تبعٌ لي، وأنا سُكّان السفينة، إن قرَّظتكم ورضيت قولكم نَفَقتمْ وإلا كَسَدتم»[١]. قد استغربُ قولة الخليل هذه، ولا أستبعدها، ذلك أني أعرف زهد الخليل بنفسه، وبعده عن الزهو والكبر[٢]. ولكني أعود إلى نفسي فأدرك أن هؤلاء الرجال الكبار قد تمرّ بهم ساعاتٌ يعرفون فيها لأنفسهم علوَّ مكانتها فيكون منهم شيء من التنفّج لا يوصلهم إلى الزهو المقيت. ولعل من هذا ما كان من خبر خلف الأحمر (وهو فوق كونه شاعراً يعد بحق في جملة علماء الشعر)[٣].

أقول هذا وأذكر ما كان من قول الخليل. ثم أذكر ما كان من خبر خلف الأحمر إذ قال له رجل: «ما أبالي إذا سمعتُ شعراً استحسنتُه ما قلتَ أنتَ وأصحابُك فيه، «وهو يريد بأصحابه علماء الشعر». فقال له: إذا أخذتَ درهماً تستحسنُه، وقال لكَ الصيرفيّ إنه ردي، هل ينفعك

(١) الأغاني ١٨/١٨٤ (ط. دار الكتب).

(٢) جاء في «نزهة الألباء» ص ٤٧ : قال النضر بن شميل «أكلت الدنيا بعلم الخليل بن أحمد وكتبه، وهو في خُصّ لا يُشعَر به».

(٣) كالخليل بن أحمد والأصمعي. انظر المصون في الأدب لأبي أحمد العسكري ص ٦.

استحسانُك إياه[1]؟ وكأن الخليل وخلفاً الأحمر على شهرتهما في اللغة كانا من علماء الشعر، ولهما في نقده ومعرفته الخبرة التي يحتاج الشعراء أن يعرفوها. ومثل الخليل وخلف جماعة أخرى من أهل الأدب واللغة.

والجاحظ يذهب إلى هذا الذي أشرت إليه حين قال: «وطلبتُ علم الشعر عند الأصمعي فوجدته لا يحسن إلّا غريبه، فرجعت إلى الأخفش فوجدته لا يتقن إلا إعرابه، فعطفتُ على أبي عبيدة فوجدته لا ينقل إلّا ما اتصل بالأخبار وتعلّق بالأيام والأنساب، فلم أظفر بما أردت إلا عند أدباء الكتاب كالحسن بن وهب ومحمد بن عبدالملك الزيات»[2].

والجاحظ يقرأ أن أدباء الكتاب ومنهم الحسن بن وهب[3] ومحمد بن عبدالملك الزيات[4] من أهل العلم بالشعر ونقده، وإن كان للثاني شعر معروف اشتمل عليه ديوان صغير[5].

ولقد تبين فيما نقلناه من النصوص أن اللغويين والأدباء الأقدمين كانوا

---

(١) العمدة ١/١١٧ ، الموازنة ١/٣٩٢ ثم قال الآمدي في معنى قول خلف شارحاً: «... حتى إذا رمت تصرف دينار بدراهم، أو تصريف دراهم بدينار، أو ابتياع ثوب، أو شيء من الآلة، لم تثق بفهمك ولا علمك حتى ترجع إلى من يعرف ذلك دونك فتستعين به على حاجتك، ولِمَ لّما خفت الغبينة في مالك فأذعنت وسلمت وأقررتَ بقلة المعروفة، لم تخش الغبينة والوكس في عقلك فتسلّم العلم بالشعر إلى أهله؟ فإن الضرر في غبن العقل أعظم من الضرر في غبن المال». الموازنة ١: ٣٩٣ - ٣٩٤ [وكلمة خلف الأحمر أوردها ابن سلام في طبقات فحول الشعراء ١: ٧].

(٢) الكشف عن مساوىء المتنبي ص ٢٢٣ - ٢٢٤.

(٣) الحسن بن وهب الكتّاب كان يكتب لمحمد بن عبد الملك الزيات، وليَ ديوان الرسائل. انظر وفيات الأعيان، /٤١٥ - ٤١٦.

(٤) اديب شاعر كان وزيراً للمعتصم والواثق، سجنه المتوكل، وتوفي في سنة ٢٣٣ هـ. انظر وفيات الأعيان ٥/٩٤ - ١٠٣.

(٥) نشر ديوانه جميل سعيد في بغداد.

نقّداً، وهم أهل معرفة ودراية بصناعة الشعر، وإن كانوا لا يقولون الشعر. واللغويّون النقاد والأدباء الكتاب قد اضطلعوا بمهمة النقد، وكان لهم قول يعتد به في إعلاء الشاعر وخفضه.

على أني أخلص من هذا التمهيد إلى أن الشعراء أنفسهم كانوا نقاداً يتقنون صنعتهم، ويدركون أن غيرهم من أهل المعرفة لا يبلغون مبلغهم في معرفة الشعر. قال الصاحب بن عباد: وحدثني محمد بن يوسف الحمّادي قال: حضرت مجلس عبيد الله بن عبدالله بن طاهر وقد حضره البحتري فقال: يا أبا عبادة، أمسلم بن الوليد أشعر أم أبو نواس؟ فقال: بل أبو نواس، لأنه يتصرف في كل طريق، ويتنوّع في كل مذهب، إن شاء جدَّ، وإن شاء هزل، ومسلم يلتزم طريقاً واحداً لا يتعدّاه، ويتحقق مذهباً لا يتخطّاه، فقال عبيد الله: إن أحمد بن يحيى ثعلباً لا يوافقك على هذا، فقال: أيها الأمير ليس هذا من علم ثعلب وأضرابه، ممّن يحفظ الشعر ولا يقوله، وإنما يعرف الشعر من دُفع إلى مضايقه. فقال: وَرِيتْ بك زنادي يا أبا عبادة، لقد حكمتَ في عمَّيكَ حكم أبي نواس في عمَّيه جرير والفرزدق، فإنه سئل عنهما ففضَّل جريراً، فقيل له: إن أبا عبيدة لا يوافقك على هذا، فقال: ليس هذا من علم أبي عبيدة، وإنما يعرفه من دفع إلى مضايق الشعر»[1].

وقد ذهب الشعراء إلى هذا، وكأنهم أبوا على أهل النقد من اللغويين والأدباء أن يكون لهم رأي صائب فيهم، وفي هذا يحسن بنا أن نعرض لما وقع للفرزدق مع عبدالله بن أبي إسحاق الحضرمي، قال يونس: «... وكان (ابن أبي إسحاق) يردّ كثيراً على الفرزدق، ويتكلم في شعره، فقال فيه الفرزدق:

---

(١) الكشف عن مساوىء المتنبي ص ٢٢٣ - ٢٢٤.

فلو كانَ عبدُالله مولىً هجوتُهُ ولكن عبدَالله مولى مَواليا

فقال ابن أبي إسحاق: ولقد لحنْتَ أيضاً في قولك: «مولى مواليا»، وكان ينبغي أن تقول: مولى موالٍ، والحليف عند العرب مولى، ومنه قول الأخطل...

ومما رواه أبو عمرو بن العلاء: أن ابن أبي إسحاق سمع الفرزدق ينشد:

وعضُّ زمانٌ يا ابنَ مروانَ لم يدَعْ من المال إلا مُسحَتاً أو مُجَلَّفُ

فقال له ابن أبي إسحاق: على أي شيء ترفع «أو مجلَّف»، فقال: على ما يسوؤك وينوؤك...»[1].

أقول: ومن هنا نفهم ما كان الفرزدق يشعر به من سطوة الشاعر، ذلك الشعور الذي جعله يقدم على شيء من رداءة التأليف، وهو غير مبال بما يقوله اللغويون وما عابوه عليه. ومن ذلك ما ورد في قصيدة مدح بها إبراهيم بن هشام بن إسماعيل خال الخليفة هشام بن عبدالملك:

وما مثلهُ في الناس إلاّ مملّكا أبو أمِّه حيٌّ أبوه يُقاربُهْ[2]

وقد عدَّ النقاد هذا البيت من فاسد التأليف، وصار من شواهدهم في هذا الباب. ومثل هذا بيته الذي ورد في قصيدة مدح بها الوليد بن عبدالملك:

إلى مَلكٍ ما أمُّه من مُحاربٍ أبوه ولا كانت كليبٌ تُصاهرُهْ[3]

على أن هذه المداخلة في الكلام كانت مما يُعجب النحويين كقوله:

(١) نزهة الألباء ص ٢٧ ـ ٢٨.

(٢) سقط البيت من الديوان، وأضافه الصاوي الناشر ص ١٠٨ نقلاً عن الأغاني وغيره.

(٣) شواهد العيني ١/٥٥٥ ، وفي الديوان ص ٣١٢، والأغاني (بولاق) ١٩/١٥.

تعالَ فإن عـدهـدتَني لا تخـونُني نكنْ مثـل من يا ذئبُ يصـطحبانِ

وقوله:

إنــا وإيّــاك إن بـلَّغـنَ أرحــلَنــا كمن بواديه بعد المحل ممطورِ[1]

وإذا كان عبدالله بن أبي إسحاق قد ناله شيء من هجو الفرزدق له لأنه لم يسكت عمّا وقع للفرزدق من خطأ، فإن الفرزدق على سطوته التي عرف بها، وهي سطوة الشعراء الكبار، قد أذعن لِما وَجَّه إليه من نقد. لقد «أقوى» الفرزدق في بيت له جاء بقافية مضمومة فقال فيها:

على عمـائـمنـا تُـلقى وأرحـلنـا على زواحفَ تُـزْجَى مخُّهـاريـرُ[2]

لقد ضمَّ الفرزدق «رير» فوقـع في الإقواء، ولكن ابن أبي إسحـاق رواها «رير» بالكسر تصحيحاً للفرزدق، ولم يكترث لما كان من الفرزدق معه. وكأن الفرزدق أقر بما صنع ابن أبي إسحاق فعاد للبيت وغيَّـر من قافيته لتسلَم من الإقواء فقال: على زواحفَ نزجيها محاسيرِ[3].

على أن أبا عمرو بن العلاء كان يرى في شعر الفرزدق ثروة عظيمة من العربية. ولا يعني شيئاً كبيراً أن يكون الفرزدق قد عرض له الإقواء، فقد عرض لشعراء العصر الجاهلي شيء منه، فلم يسلم منه شعر النابغة في قوله:

فـبتُّ كـأنّـي ســاورتنـي ضئـيـلة من الرُّقْش في أنيابهـا السُمُّ ناقـعُ

(١) الأغاني ١٩/١٥ ، [ديوان الفرزذق: ٨٧٠، ٢٦٣.

(٢) انظر: طبقات الشعراء ص ٧، **والموشح** ص ١٠٠، والشعر والشعـراء ص ٢٥ وفيها أن ابن أبي اسحاق كان قد عاب على الفرزدق إقواءه، وفي رواية أخرى أن الذي عابه على ذلك هو عنبسة بن معدان الفيل. [طبقات فحول الشعراء لابن سلام ١: ١٧].

(٣) كذا في الديوان (ط. الصاوي) ص ٢٦٣، [طبقات فحول الشعراء ١: ١٧].

وكأنّ «الضرورة» ألجأت النابغة إلى قوله «ناقع» بدلاً من نصبه على الحال[1][2].

أقول: وليس شيئاً أن يعيب عبدالله بن أبي إسحاق ما كان من الفرزدق من مخالفة القياس وفساد التأليف؛ ذلك أن خصوم ابن أبي إسحاق أخذوا عليه ضعف عربيته على تشدّده في تحري الصواب ونقده للشعراء[3].

وإذا كان الفرزدق قد بلغ هذه المكانة في شعره، وأنه وقف من ابن أبي إسحاق موقفه الذي أشرنا إليه، فقد كان في الوقت نفسه يحسب لأقوال النحويين واللغويين ما تستحق من الحساب. ومن هذا ما كان منه في قصيدته التي مدح فيها أخواله بني ضبة، وفخر بفعلة حصين بن أصرم قاتل ابن الجون الكندي، لأنه أبى أن يقرب اللحم ويتناول الخمر حتى يقتله، فقال فيها:

غداةَ أحلَّت لابن أصرَمَ طعنةً حصينٍ عبيطاتُ السدائفِ والخمرُ

---

(١) الكتاب لسيبويه ٢/٢٢٣، أقول: ومن الإقواء في شعر النابغة قوله في الدالية «وبذاك خبَّرنا الغرابُ الأسودُ»، وفي شعر امرىء القيس وطرفة وعنترة شواهد في الإقواء.

(٢) جاء في كتاب سيبويه (ط. بولاق) ١: ٢٦١: «... وذلك قولك: فيها عبد الله قائماً، وعبد الله فيها قائماً... فصار قولك: فيها، كقولك: استقرّ عبد الله، ثم أردت أن تخبر على أية حال استقّر فقلت: قائماً. فقائم حالٌ مستقِّر فيها. وإن شئت ألغيت فيها فقلت: فيها عبد الله قائمٌ. قال النابغة:

فبتُّ كأني ساورتني ضئيلة من الرقش في أنيابها السمُّ ناقعُ

وقال الهذلي:

لا دري إن اطعمتُ نازلكم قرف الحتّي وعندي البُرُّ مكنوزُ

كأنك قلت: البرُّ مكنوزٌ عندي، وعبد الله قائم فيها.../المجلة.

(٣) انظر إرشاد الأريب ٢/٣٧١، [معجم الأدباء (ط مصر) ٧: ٨٦ ترجمة بكر بن حبيب السهمي] وانظر: غاية النهاية ١/٤١٠.

بنصب «طعنة» ورفع «عبيطات» وهذا مما لم يرضه الكسائي، فغيّر الفرزدق روايته هذه فقال:

عــداةَ أحلَّت لابن أَصـرَمَ طعنــةٌ   حصينٍ عبيطاتِ السدائفِ والخمرُ[1][2]

أقول: الشعر صنعة وشاعرية، وكأني أقدِّم الصنعة لأنها ثقافة وعلم، ثم تأتي الشاعرية معتمدةً على محصول الشاعر من صنعته. وإذا كان الشعر صنعة فهي جهدٌ ومعاناة، قال الراجز القديم:

الشعــر صعبٌ وطــويــل سُلَّمُــهْ
إذا ارتقى فيــه الــذي لا يعلَمُــهْ
زلَّتْ بــه إلى الحضيض قَــدَمُــهْ
يــريــد أن يُعــربَــه فيعجمــهْ

وقد سُئل رؤبة عن الفحل من الشعراء فقال: هو الراوية، يريد أنه إذا روى استفحل. وهو القائل:

لقــد خشيتُ أن يكـونَ ســاحـرا   راويــةً مَــرّاً ومَــرّاً شــاعــرا

استعظم حاله حتى قرنها بالسحر»[3].

---

(١) انظر الكامل للمبرد (ط. رايت) ص ٢٠٩ وقد وردت هذه الـرواية في الـديوان ص ٣١٧.

(٢) رواية المبرد في الكامل أن الفرزدق أنشد يونس بن حبيب بيته بنصب (طعنة) ورفع (عبيطاتُ... والخمر) على القلب، لأن الكلام إذا لم يدخله لبس جاز القلب للاختصار.
ولكن الكسـائي النحوي حين أنشـد يونس بن حبيب البيت رفـع (طعنـة)ونصب (عبيطات...) ثم رفع (الخمر) على معنى: وحلت له الخمرُ. فقال له يونس: ما أحسن ما قلت.
ثم قال المبرد: والذي ذهب إليه الكسائي أحسنُ في مَحْض العربيـة. وإن كان إنشاد الفرزدق جيداً/المجلة.

(٣) كفاية الطالب ص ٤٤ (لابن الأثير، من منشورات جامعة الموصل، سنة ١٩٨٢)، =

ومما رُوي أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب سأل «غالباً» أبا الفرزدق عن الغلام الذي يصحبه، فقال غالب: ابني، قال: ما اسْمه؟ قال: همّام، وقد روَّيته الشعر يا أمير المؤمنين وكلام العرب، ويوشك أن يكون شاعراً مجيداً، فقال: أقرئه القرآن، فهو خير له. فكان الفرزدق يروي هذا الحديث ويقول: ما زالت كلمته في نفسي، حتى قيّد نفسه بقيد وآلى ألّا يفكَّه حتى يحفظ القرآن، فما فكّه حتى حفظه[1]. وذكر ابن سلّام: أن راوية الفرزدق حدّثه قائلاً: «إنه لم يرَ رجلاً كان أروى لأحاديث امرىء القيس وأشعاره من الفرزدق»[2]. وقيل: إن الفرزدق سمع رجلاً يقرأ: ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسبا نكالاً من الله، والله غفور رحيم﴾، فقال: لا ينبغي أن يكون هذا هكذا، فقيل له إنما هو: ﴿عزيز حكيم﴾، قال: هكذا ينبغي أن يكون[3].

وقد يدلّنا على سعة علم الفرزدق ما حُكيَ من أن رجلاً سأل الحسن البصري فقال: «يا أبا سعيد، الرجل يقول: لا والله، وبلى والله، لا يعقد اليمين؟ فقال الفرزدق: لا شيء، فقال الحسن: وما علمك بذلك؟ قال: أوَ ما سمعتَ ما قلت؟ قال الحسن: وما قلت؟ قال: قلت:

ولستَ بمأخوذٍ بشيءٍ تقولُهُ ... إذا لم تعمّد عاقدات العزائمِ

= وفي العمدة ١/١١٤: «وسئل رؤبة عن الفحولة، قال: هم الرواة».
وكانوا: «يسمون الشاعر الذي يجمع إلى جودة شعره رواية الجيد من شعر غيره «خِنذيذاً» أي تاماً، ويجعلون الشاعر الرواية أول الشعراء قدراً» المصدر السابق.

(١) الأغاني (ط. دار الكتب) ٢١/٢٨٣، ٣٩٥، والخزانة (تحقيق هارون) ١/٢٢٢.

(٢) الشعر والشعراء ٢/٤٩٠، والبيان والتبيين ١/٤٦. [الشعر والشعراء ١/٧٠ ترجمة امرىء القيس، ولم يرد ما ذكره ابن سلام في البيان والتبين. وإنما ورد فيه (١: ٣٢١): «... فإذا كان الفرزدق وهو رواية الناس وشاعرهم وصاحب أخبارهم يقول فيه(في أبي عمرو بن العلاء) مثل هذا القول... وقال يونس: لولا شعر الفرزدق لذهب نصف أخبار الناس/المجلة].

(٣) الأغاني ٢١/٣٦٢.

قال: فسكت الحسن[1].

وقد كان لثقافة الشاعر إشارات كثيرة في إشعار الأقدمين، فهذا معقرٌ بن حمار البارقي يقول:

الشعرُ لبُّ المرء يعرضهُ والقولُ مثل مواقع النَّبْل
منها المقصّر عن رميّتِهِ ونوافذ يذهبنَ بالخَصْلِ[2]

وها هو ذا الأخطل يقول:

إن الكلامَ من الفؤاد وإنّما جُعِلَ اللسانُ على الفؤادِ دليلا[3]

ومما نُسبَ إلى طرفة وإلى حسّان بن ثابت:

وأن أشعرَ بيت أنتَ قائلُهُ بيتٌ يقال إذا أنشدتَه صَدَقا
وإنما الشعر لبُّ المرء يعرضهُ على المجالس إنْ كَيْساً وإن حمقا[4]

قلت: إن الشعر صنعة فنية، وشاعرية، وقد تكلَّمت على الصنعة وأدواتها، فما الشاعرية؟.

زعم الشعراء أنّ الشعر يأتيهم وحياً وإلهاماً، ومن هنا أشاروا إلى شياطينهم، وأن لكل شاعر شيطاناً يُلهمه، أو رئياً من الجنّ يوحي إليه، فيقول الشعر. أشارَ الأعشى إلى شَيطانه «مِسحَل» فقال:

ومـا كنتُ ذا خوفٍ، ولكن حَسِبتُني إذا مِسحَلٌ يُسدي ليَ القولَ أفرَقُ
شريكان فيما بيننا من هَوادةٍ صَفيّان إنسيٌّ وجِنٌّ موفَّقُ

---

(١) نور القبس للمرزباني ص ٤٠ - ٤١ [طبقات فحول الشعراء لابن سلام ١: ٣٣٥ - ٣٣٦، والبيت في ديوان الفرزدق ٢: ٨٥١].
(٢) العمدة ١/٩٧، وانظر الخزانة ٢/٤١٠.
(٣) الشعر والشعراء ١/٢٤١.
(٤) الأغاني ٩/١٦٠، والشعراء ١/٢٣٥ [العمدة لابن رشيق ١: ٩٥].

يقول فلا أعيا بقولٍ يقولُهُ كفانيَ لا عِيٌّ ولا هو أخرقُ[1]

وقال أيضاً:

دعوت خليلي مِسْحَلاً ودَعَوا له جِهِنّام بُعْداً للغويِّ المذمَّمِ[2]

وقال:

حباني أخي الجنّيُّ نفسي فداؤه بأفيحَ جياشِ العشيّات مرجمِ[3]

ويذهب عُوَيف القوافي إلى أبعدَ من هذا فيذكر أن رِدْفه، أي تابعه من الجنّ قد دعا القوافي فأَجبْنَه وارعوَيْنَ لصوته فيقول:

دعاهُنّ رِدْفي فارعَوَيْنَ لصوتِهِ كما رُعتَ بالجوتِ الظِّماءَ الصَواديا[4]

ويعزو الفرزدق حُسن شعره إلى «شيطان أشعر خلق الله» فيقول:

كأنها الذهبُ العِقْيان حبَّرَها لسانُ أشعرِ خلْقِ الله شيطانا[5]

وأما أبو النجم الراجز فيرى أن شيطانَه غيرَ شياطين الشعراء فهو يفوقهم، فيقول في هذا إن شيطانه أقوى من شياطين الشعراء لأنه «ذكر»، وشياطين غيره إناث:

إني وكلُّ شاعرٍ من البشَرْ شيطانُه أنثى وشيطاني ذكَرْ
فما رآني شاعرٌ إلا استَتَرْ فعلَ نجوم الليل عايَنَّ القَمَرْ[6]

---

(١) جمهرة أشعار العرب ص ٦٢.
(٢) رسائل أبي العلاء ص ٦٦،[ديوان الأعشى: ١٢٥].
(٣) الحيوان ٢٢٦/٦ ديوان الأعشى: ١٢٥].
(٤) الخزانة ٣٨٢/٦، ويقال للبعير: «جوت، جوت» إذا دعوته إلى الماء.
(٥) الحيوان ٢٢٧/٦.
(٦) الحماسة البصرية ٨٠/١، أقول وفي «رسائل المعرّي» و «ديوانه اللزوميات» و «رسالة الغفران» ما يشعر أن المعري ينكر هذا ويستعبد أن يكون للشاعر رئيّ من الجن يصدر عنه. انظر: رسائل ابي العلاء ص ٦٥ - ٦٦، وشرح سقط الزند ٩١٧/٢، ولزوم ما لا يلزم ٥٣٩/٢، ورسالة الغفران ص ٥٥٢. وقد أشار أبو العلاء إلى أن الجنيّ، واسمه الخيتعور، من قبيلة من الجن دعاها بني الشيصبان، ولعل هذا شيء ابتدعه المعري.

فهو يفاضل بين شيطانه، وشياطين الشعراء الآخرين. وإلى شيء مثل هذا ذهب أعشى سُلَيْم حين وصف شيطان الفرزدق بأنه لم يكن قدوة بين شياطين الشعراء فقال:

وما كان جنّيُ الفرزدقِ قدوةً ... وما كان فيهم مثل فحلِ المُخَبَّل
وما في الخوافي مثل عمرٍو وشيخِه ... ولا بعدَ عمرٍو شاعر مثل مِسحَلٍ [1]

وقال صبيّ بدويّ:

إنّي وإنْ كنتُ صغيراً سِنّي ... وكان في العين نبُوٌّ عنّي
فإنَّ شيطاني أميرُ الجنِّ ... يذهب بي في الشعر كلَّ فنِّ
حتى يُزيلَ عنّيَ التظنّي [2]

أقول كأن توهّم الأقدمين لشيطان الشاعر، أو جنّيّه ضرب من وهم يوشك أن يكون اعتقاداً أسطورياً، ذلك أن ذهاب هذا الصبي البدوي إلى أن شيطانه «أمير الجنّ» يشير إلى تجسيم هذا التصور في ذهنه، إن هذا التجسيم يوحي أن صاحبه طراز خاص من البشر بحيث اصطفاه شيطانه أو جنّيّه ليحتل هذه المكانة. ومن هنا كان الشاعر الكبير هو «الفَذّ» وهو «الخِنْذيذ»، وأن شعره «رُقْيَةُ شيطان» لأنه مؤثّر تأثير السحر. ومن أجل هذا كان عجب جرير من أن «رُقَى شيطانه لم تستفزّ» عمر بن عبدالعزيز:

رأيتُ رُقَى الشيطانِ لا تستفِزُّهُ ... وقد كان شيطاني من الجنِّ راقيا [3]

ويرى جرير أنه أشعر الشعراء، وأن شيطانه لذلك قد «اكتَهَلَ» وأنه «إبليس الأباليس»، فيقول:

---

(١) الحيوان ٦/٢٢٥ - ٢٢٦.

(٢) الخصائص ١/٢١٧ وردت الأشطار مع اختلاف في الوحشيات ص ١١٩، وانظر رسائل ابي العلاء ص ٦٥ - ٦٦.

(٣) ديوان جرير ص ١٠٤٣ (ط. دار المعارف بمصر).

إني لَيلقي عليَّ الشعــر مكتهــلٌ   من الشيـاطين إبليسُ الأبـاليسِ[1]

وذهب أحد الشعراء إلى أنه إذا عرض له الشعر أطلعَتْه الجنُّ على أشعارها فيصطفي منها ما يُريد بعد أن يوردَها عليه شيطانه، فيقول:

وكـنـتُ إذا مــا أردتُ الـقــريضَ   تـخـبِّـرُنــي الـجــنُّ أشـعــارَهــا
أروضُ صِعــابَ قــوافي الـقــريـ   ـضِ حـتـى تَـذلَّ فـأختـارَهـا
قــوافٍ يــورِّدُهــا صــاحــبــي   إلــيَّ وأكــفــيــهِ إصــدارَهــا[2]

لقد رأينا الشاعر يعـزو شاعـريته إلى شيـطانه أو جنيِّـه، وإن الجنّ تعرض عليه الشعر فيختار منه أجوده، ولكنه لم ينص أنه صانعٌ ماهر، وأن قوافيه تُدرك الخفي من المعاني. لقد ذهب طرفة بن العبد إلى أن شعره أدرك الخفي من المعاني فهو يدخل في مداخل لاتصل إليها مغارز الإبَر فيقول:

رأيت القــوافي يتَّلجْنَ مــوالـجــاً   تَضـايقُ عنها أن تَـولَّجها الإبَـرْ[3]

وهذه القدرة التي تصل إليها القوافي دليل صنعة خاصة لا يصل إليها إلا الشاعر الخِنذيذ، وصنعته هذه هي عمل صعب لا يُدركه إلا الشاعـر الشاعر. ومن هنا حقّ للفرزدق أن يصـرِّح أنّ ما يعـانيه من ألم في قلع ضرسٍ له أهونُ عليه من وضع القافية في موضعها[4].

---

(١) ربيع الأبرار ٣٨٤/١، ولم أجد البيت في طبعتي الديوان.
(٢) الأشباه والنظائر للخالدين ١٤٩/٢.
(٣) حلية المحاضرة ٢٥٧/١.
(٤) جاء في البيان والتبيين للجاحظ (١: ١٣٠، ٢٠٩): «وقال الفرزدق: أنا عند الناس أشعرُ العرب، ولربّما كان نزع ضرس أيسر علي من أن أقول بيت شعر». وجاء هذا القول في الشعر والشعراء ١: ٢٦، والأغاني ٢١: ٣٦٥، والعقد لابن عبد ربه ٥: ٣٢٧، وأنساب الأشراف ١١: ٦١، ومحاضرات الأدباء ١: ٥٢، والكشكول ٢: ٤١٥/المجلة.

وإذا كان للشاعر هذا الإدراك من الصنعة، فذلك موضع فخره.

ومن هنا دُعيَت قصائد زهير بن أبي سلمى بـ «الحوليّات»، ذلك أنها تقتضيه جُهْدَ عامٍ ينظمها ويبقى ملازماً لها، مجتهداً في إتقان صنعته، فحق له أن يقول:

فأبلِغْ، إن عرضتَ لهم، رسولاً بنى الصيداء إنْ نَفَع الجوارُ
بأنّ الشعر ليس له مَرَدٌّ إذا وَرَدَ المياهَ به التِجارُ[1]

ويبقى شعره متعة الركبان يُنشدونه في ظعنهم فيقول:

أولى لهم ثم أولى، أن تُصيبَهُمُ مِنّي بواقرُ لا تُبقي ولا تَذَرُ
وأن يعلّل ركبانُ المطيّ بهم بكلّ قافيةٍ شنعاءَ تشتهرُ[2]

وقال في مثل هذا أيضاً:

إني سترحَلُ بالمطيِّ قصائدي حتى تُحلَّ على بني ورقاءِ
يتوارثون بقاءَها مدحاً لهم رهنٌ لآخرهم بطولِ بقاءِ[3]

ولقد كثر فخرهم بالشعر وسيرورته حتى صار نهجاً يسلكه الشعراء على تفاوت أقدارهم، قال المسيَّب بن علس:

فلأهدينَّ مع الرياح قصيدةً منّي مُغَلْغَلةً إلى القَعْقاعِ
تَرِدُ المياهَ فلا تزالُ غريبةً في القومِ بين تمثُّلٍ وسَماع[4]

وقصيدته هذه تقوم مقام رسالة «مغلغلة» يبعث بها إلى القعقاع، وهي بقدر ما تكون أداة تبليغ تكون في الوقت نفسه مادة فنيّة تُحرز لها البقاء والخلود، يتمثل بها القوم منشدين. ومثل هذا قول الأعشى:

(١) شعر زهير بن أبي سلمى ص ٩٢.
(٢) المصدر السابق ص ٩٥.
(٣) حلية المحاضرة ١/٤٢٣.
(٤) الأغاني ١٦/١٦٨.

وإن عِتاق العِيسِ سوف يزورُكم ثناءُ على أعجازهنَّ مُعَلَّقُ
به تُنْفضُ الأحلاسُ في كلِّ منزلٍ وتُعْقَدُ أنساعُ المطيّ وتُطلَقُ(1)

وتقرأ قولَ الشاعر تميم بن أبيّ بن مُقبل فتلمح قدرةَ الشعر في شاعرية صاحبه وسطوته، قال الشاعر:

إذا متُّ عن ذكر القوافي فلن تَرَى لها تالياً مثلي أطبَّ وأشعرا
وأكثرَ بيتاً مارداً ضُرِبَتْ له حزونُ جبال الشعر حتى تيَسَّرا
أغرَّ غريباً يمسحُ الناسُ وجهَه كما تمسَحُ الأيدي الأغرَّ المُشهَّرا(2)

والشاعر يُطري شعره فيذهب إلى أن الناس يُنشدونه معجَبين متمثّلين كما يُعجَبون بالجواد «الأغرّ المشهّر» فيروحون يمسَحون بأيديهم غُرّته.

وكأنّ الفخرَ بالشعر وبناء القوافي من موادّالفخر المفضّلة، لا يختلف درجةً عن الفخر بالنَسب وبالصفات الحميدة، فأنت تجد جمهرة من شعرائهم قد أشاروا إلى هذا في بناء قصائدهم. ومن هؤلاء قول جرير:

وإني لقوّالٌ لكلّ غريبةٍ وَرَودٍ إذا الساري بليلٍ تَرَنَّما
خَروجٍ بأفواهِ الرواةِ كأنها قَرَى هُندوانيٍّ إذا هُزّ صمَّما(3)

وقال أيضاً:

وإني لَهاجيهم بكلِّ غريبةٍ شَرودٍ إذا الساري بليل تَرَنَّما
غرائبَ آلّافاً إذا حانَ وِرْدها أخذْنَ طريقاً للقصائد مُعْلَما(4)

---

(1) ديوان الأعشى (شرح د. محمد محمد حسين) ص ٢٢٣.
(٢) الأغاني ١/٣٣٨ و ١/٣٥٥ وطبقات فحول الشعراء ٢/٦٧٥ [لم ترد الأبيات الثلاثة في طبقات فحول الشعراء لابن سلام، ولكنها وردت في الشعر والشعراء لابن قتيبة ١: ٤٢٧، ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني: ٥١٢، وحلية المحاضرة للحاتمي ١: ٤٢٥ وديوان تميم بن أبي بن مقبل: ١٣٦].
(٣) نقائض جرير والفرزدق ١/٦٢.
(٤) نقائض جرير والفرزدق ١/٦٣.

وقال ذو الرمة:

فـأصبحتُ أرميكم بكـلِّ غـريبةٍ ... تجدُّ الليـالي عـارَهـا وتَـزيـدُهـا
قـوافٍ كشامِ الـوجهِ بـاقٍ حَبَارُهـا ... إذا أرسِلتْ لم يبقَ يـوماً شـرودُها
توافَى بها الركبانُ في كـلِّ موسمٍ ... ويحلو بـأفـواهِ الـرواةِ نشيـدُهـا(١)

وللفرزدق حديث في القصائد يتناشدها الركبان كسائر الشعراء ممّن استشهدنا بشعرهم، وغيرهم كثير، قال:

وإذا القصـائـدُ أوضَعَتْ ركبـانُها ... بـالغَـورِ وهي مُـمـرَّةُ التـحبيـرِ
علِمتْ هَـوازنُ أنّه قـد غَـرَّهـا ... شعـراؤهـا وغـواتُـهـا بـغـرورِ
نَبَحَت كـلابُ الجِنِّ لمّا أجحَـرتْ ... فَـرَقـاً لـدى مُتَبـهْنِسٍ مَـضْبـورِ
لـمـا رَأيْنَ صـلابـةً فـي رأسِـهِ ... أقعَيْنَ ثم صـأيْنَ بعدَ هـريـرِ(٢)

فـالركبـان تسـرع وهي تنشـد بقصـائـده فينجحـر الشعـراء ويُقعـون كالكلاب.

ودأبُ الشعراء هذا في الفخر بشعرهم قديم، فحُمَيد بن ثور، من شعراء العصر الإسلامي المتقدّم يشير إلى أن قصائده كانت موضعَ سَمر الرواة في تشهيرها بخصومه:

قصـائـدُ يَستحلي الـرواةُ نشيـدَهـا ... ويلهـو بها من لاعبِ الحيِّ سـامرُ
يعَضُّ عليهـا الشيـخ إبهـامَ كفِّـه ... ويَخْـزَى بها أحيـاؤكم والمقابـرُ(٣)

وهم يفخرون بما كان لهم من عناية في تخيّر قوافيهم وتهذيبها وبنائها كما في قول ذي الرمة:

---

(١) ديوان ذي الرمة (تحقيق عبد القدوس أبو صالح) ١٢٣٩ - ١٢٤٠.
(٢) نقائض جرير والفرزدق ٢/٩١٤.
(٣) أمالي أبن الشجري ١/٣٢٤، وانظر الحماسة البصرية ٢/٢٧٤ [وديوان حميد بن ثور الهلالي: ٨٩].

وشعـرٍ قـد أرِقتُ لـه غـريبٍ أجنِّبُـه المسـانـدَ والمحـالا
فـبـتُّ أقـيـمـه وأقـدُّ مـنـه قـوافـيَ لا أعـدُّ لهـا مثـالا[1]

وقال عديّ بن الرقاع العاملي:

وقصيـدة قـد بتُّ أجمـع بينهـا حتى أقـوِّمَ ميلَهـا وسِنـادَهـا
نـظر المثقف في كعـوب قنـاتـه حتى يـقيـمَ ثِقـافُـه مُنـآدَهـا
وأبيتُ حتى مـا أسـائـل عـالمـاً عن حرف واحدةٍ لكي ازدادهـا[2]

وإلى هذا المعنى ذهب كثير من الشعراء مفتخرين بشعرهم، وما كان لهم من العناية في بنائه ونسجه. وكأن هذه الصنعة التي كلفت الشعـراء عناية فائقة لا تفسد عليهم قولهم في «شياطين الشعراء»، وإن هذه كانت تلهمهم ما كانوا قد أبدعوا فيه. وهذا يعني أن «الإلهام»، أيّاً كان لنا أن نوجِّهَه، غيرُ الصنعة والعناية بها، وكلاهما مما يُهيِّيء للشاعر مادته وشاعريته التي حبته سطوته وقوته. أقول: كأن لغة الشاعر وتصرفه بها وما يكون له من شاعرية موهوبة قد أوحى كلُّه إلى الشاعر أنه صانع الإبداع في حيز اللغة التي يملكها ويتصرف بها.

وكأني أذهب من هنا إلى شيء غير الذي ذهب إليه علماء الشعر مما أسموه «ضرورة» شعـرية فعقـدوا له الـرسائـل وصنفوا فيـه الكتب. وإني لأستبعد هذا المصطلح الذي ينصرف إلى مساوىء الشاعر ولا يبعـد عما نـدعوه فسـاد التـأليف. ومن هنـا أعـطي مصـطلحـاً يعني «الاضـطرار»،

---

(١) ديوان ذي الرمة (تحقيق عبد القدوس أبو صالح) ١٥٣٢/٣ - ١٥٣٣.
(٢) الشعر والشعراء ٥١٦/٢، والبيان والتبيين ٢٤٤/٣، وديوان عدي بن الرقاع من منشورات المجمع العلمي العراقي. أبيات عديّ هذه التي تدل على مبلغ عنايته بشعره تذكرنا بقول أبي تمام:
خذها ابنة الفكر المهذّب في الدجى والـليـل أسـود رقعـةِ الجلبـابِ

والاضطرار يومىء إلى الضُر والضرر. ومن هنا أيضاً قيل في صاحب «الضرورة»: إنه ارتكبها، كأنها ذنب يقترفه صاحبه، ألا ترى أنهم قالوا: ضرورة حسنة أو مقبولة، وأخرى قبيحة. وليس الحسن والقبيح إلّا الابتعاد عن العربية نحواً وأبنية.

وكأني أنظر إلى «الضرورة» على أنها مما يريد أن يفرضه الشاعر الفذّ مستظهراً بشاعريته، مستعصماً بها، وليس ما يقوله النحويون واللغويون شيئاً إزاء ما يرسله هذا الصانع الأستاذ في فنه. ألا ترى أن «الضرورات» قد عرضت للفحول من الشعراء، فأما غيرهم من النظّامين فهم يكدّون ليبتعدوا عنها ليستحقوا رضا النحويين.

ولم يدرك أهل البلاغة أن للشعر لغة خاصة، وذلك لأنهم أشاروا إلى ما يقدح في الفصاحة، ولم يستشهدوا على ذلك إلا بما جاء منها في الشعر. لقد قالوا في بيت الفرزدق:

وما مثله في الناس إلا مُملَّكاً أبو أمِّه حيٌّ أبوه يقاربُهْ

إنه من أقبح الضرورة، وأهجن الألفاظ، وأبعد المعاني، ولو كا الكلام على وجهه لكان قبيحاً، وكان يكون إذا وضع الكلام في موضعه: «وما مثله في الناس حيٌّ يقاربه إلّا مملّك أبو أمّ هذا المملك، أبو هذا الممدوح، فدلّ على أنه خاله[1].

جاء في «العقد الفريد»: «... أُبيح للشاعر ما لم يبح للمتكلم من قصر الممدود، ومد المقصور، وتحريك الساكن، وصرف ما لا ينصرف، وحذف الكلمة ما لم تلتبس بأخرى»[2].

---

(١) الكامل ١٨/١، الموشح ١٠٢ ـ ١٠٣.
(٢) العقد الفريد ١١/٤ ـ ١٢.

وربما كان مفيداً لنا في معالجة ما أسميناه «ضرورة» على أنها شيء من قوة الشاعر، ما ورد من قول الخليل: «الشعراء أمراء الكلام يتصرفون فيه أنّى شاءوا، وجاز لهم فيه ما لا يجوز لغيرهم من إطلاق المعنى وتقييده»[1].

أقول: ولهذا ذهب الأعلم الشنتمري إلى أن الشعر «يحتمل فيه وضع الشيء في غير موضعه دون إحراز فائدة ولا تحصيل معنى»[2]، كالذي جاء في بيت الفرزدق المتقدم. وقال سيبويه: «... فإن قلت: كيف زيداً رأيت، وهل زيدٌ يذهب؟ قبيح ولم يجز إلا في شعر»[3]، وجعل سيبويه من يقول: «إن تأتني آتيك» قبيحاً، وجوّزه في الشعر[4]، أي أن ما يجوز في الشعر لا يجوز في سعة الكلام. وقال أبو الفتح عثمان بن جنّي: «والاضطرار يجعل الشاعر ينطق بما لم يرد به سماع»[5].

أقول: وقول ابن جني: «إن الشاعر ينطق بما لم يرد به سماع» يدلنا على أن الشاعر صاحب لغة خاصة يتصرف في أمرها، وينطق بالجديد الذي لم يطرق أسماع المعربين، وهم راضون مطمئنون. ويتوسع ابن جنّي قليلاً فيقول: «والشعر موضع اضطرار، وموقف اعتذار، وكثيراً ما يحرَّف فيه الكلم عن أبنيته، وتحال فيه المُثُل عن أوضاع صيغها لأجله»[6]. ويقف المبرّد على قول جرير:

---

(١) روضات الجنّات الخوانساري ص ٢٨٠.
(٢) تحصيل عين الذهب ١/٢٩.
(٣) الكتاب ١/٥١.
(٤) المصدر السابق ١/٦٨، وقال أيضاً (الكتاب ١/٢٧٧) في الكلام على بيت كثير: «لعزّةَ موحشاً طَلَلُ» وهذا كلام أكثر ما يكون في الشعر وأقل ما يكون في الكلام.
(٥) الخصائص ١/٣٩٦ [قال ابن جني: واعلم أن الشاعر إذا اضطر جاز له أن ينطق بما يبيحه القياس، وإن لم يرد به سماع].
(٦) الخصائص ٣/١٨٨.

فيقول: «إنما جاز للضرورة في الشعر جوازاً حسناً، ولو كان مثله في الكلام لكان عند النحويين جائزاً على بعد»(١).

أقول: وقول المبرد: «إنما جاز للضرورة جوازاً حسناً» يومىء أن الجواز هنا من صنعة الشاعر المفلق، وهي مدركة للحسن. وقد يتجاوز الشاعر هذا الذي يقرّ حسنه النحاة فيكون منه ما كان لجرير في قوله:

ولو ولَدتْ قفيرةُ جرو كلبٍ   لسبَّ بذلكَ الجَروِ الكلابا

قال ابن شرف القيرواني: «... فنَصَبَ «الكلاب» بغير ناصب، وقد تحيَّلَ له بعض النحويين بكلام كالضريع الذي لا يسمن ولا يغني من جوع»(٢).

وقال في هذا ابن جنّي: «قيل هذا من أقبح الضرورة، ومثله لا يعتدّ به أصلاً، بل لا يثبت إلا محتقراً شاذاً»(٣).

أقول: وجرير يدرك أن الذي قاله يجانب المشهور من الصواب، ولكنه يصرُّ عليه، ولا يكترث لما يكون من أقوال النحويين. وهذا يعني أنه يملك الحق فيما يقول، وأنه يفرض اللغة في سعتها وفي ضيقها، وكنا قد رأينا نظائر ذلك في شعر الفرزدق، وما كان له مع النحويين. ويدلنا على ما ذهبنا إليه من أنّ «الضرورة» قد عَرَضت لكبار الشعراء جاهيين وإسلاميين. وكأني أعدّ من التزيّد ما جاء منه في شعر لبيد وطرفة وعنترة وامرىء القيس

---

(١) المقتضب ١٤٨/٢.

(٢) أعلام الكلام ص ٣٧.

(٣) الخصائص ٣٩٧/١، وفي «شرح المفصل» لابن يعيش ٧٥/٧ ـ ٧٦ أقوال للنحويين في البيت واختلافهم فيه.

وأضرابهم. وهل يكون لي أن أنسب إلى «الضرورة» وأقدح في بيت للشاعر لبيد، وهو قوله:

«دَرَسَ المنَا بمتالعٍ فأبانِ»[1]

ويريد: المنازل.

وفي رجز العجاج، وهو الذي حفظ لنا الكثير من شوارد العربية، في قوله:

«أوالفاً مكّةَ من وُرْق الحمي»[2]

وليس لي أن أقول أن العجاج اضطره الوزن فغير «الحَمام» وجعله «الحَمي» مراعاة للوزن.

والذي أراه أن شيئاً من هذا عرفه العرب، ولم يصل إلينا. وأنا أستظهر بقول أبي عمرو بن العلاء: «ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقلّه، ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير»[3]. ويدلنا على أن الذي قيل، وعُدَّ من الضرورة، شيء عرفه العرب ما كان من قول أبي الأسود الدؤلي:

ليت شعري عن خليلي ما الذي غالَه في الحبِّ حتى وَدَعهْ[4]

فقد خفَّف أبو الأسود الدال في «وَدَعه»، والكثير فيها أن الفعل مضاعف، وظنّوه ضرورة، وفاتهم أنّ من القرّاء من قرأ ﴿ما وَدَعك ربّك وما قَلَى﴾.

ثم كيف لي أن أقولَ بالضرورة في قول الأعشى الكبير:

«وما قَصَدت من أهلها لسوائكا»

(١) الخصائص ١/٨١.

(٢) ديوان العجاج ص ٢٩٥.

(٣) نزهة الألباء ص ٣٣ [طبقات فحول الشعراء لابن سلام ١: ٢٥].

(٤) الخصائص ١/٣٩٦.

لقد جعل سيبويه قول الأعشى «سوائكا» ضرورة، لخروجها عن الظرفية لأنها ظرف لديه وقد جعل من الضرورة أيضاً قول خطام المجاشعيّ:

«وصاليـاتٍ ككمـا يُؤثـفَيـنْ»

لاستعمال الكاف اسماً بمعنى «مِثل» فأدخل حرف الجر عليه. وقد أضاف سيبويه فقال: «فعلوا ذلك لأن معنى «سواء» معنى غير، ومعنى الكاف معنى «مثل»[١]. وكأن سيبويه التمس وجهاً في قول الشاعرين».

هل لي أن أعد من الضرورة في أرجوزة جرير وهو قوله:

إني امرؤ يَبني ليَ المجدَ البانْ　　أندبُ مجداً غير مجدِ ثُنْيانْ[٢]

وأراد الباني. وكيف يكون ضرورة قول الأخطل:

جزاء يوسف إحسانٌ ومغفرةٌ　　أو مثلما جُزْيَ هارونٌ وداودُ[٣]

أقول: كيف لنا أن نعدّ ذلك ضرورة، وقد ورد نظير قول جرير في لغة التنزيل، قال تعالى: ﴿فتولَّ عنهم يوم يَدْعُ الداعِ إلى شيء نُكُر﴾[٤].

وأما قول الأخطل: «جُزْيَ» بإسكان الزاي فمن لغة العرب، وتميم قرأوا ﴿بما رَحْبَت﴾[٥] بإسكان الحاء، وهي لغتهم في الفعل الثلاثي، وبها قرأ زيد بن عليّ. ومثل هذا قراءة أبي السمال في ﴿حَسْنَ﴾[٦] بإسكان السين وهي لغة تميم[٧].

---

(١) الكتاب ٣٢/١ [١٣/١، ٢٠٣ ط بولاق].
(٢) ديوان جرير ص ٢٩٠.
(٣) شعر الأخطل ٧٧٠/٢.
(٤) سورة القمر، الآية ٦.
(٥) سورة التوبة، الآية ٢٥.
(٦) سورة النساء، الآية ٦٩.
(٧) البحر المحيط ٢٨٩/٣، وانظر غاية النهاية لابن الجزري ٢١/٢.

وهل لي أن أحمل على الضرورة بيتاً للمتنبي كان مطلعاً لقصيدة له من قصائده المحجّلة، وهو:

بـادٍ هـواكَ صبرتَ أم لم تصبـرا ... وبُكاكَ إن لم يجرِ دمعُك أو جرى

أمـر الـفؤادُ لـســانَــه وجُفُــونَــه ... فكتَمنَه وكفى بجسمكَ مُخبـرا[1]

وليس لي أن أقول أن الألف في «تصبرا» جاءت من نون توكيد ساكنة للوقف، وهي كالألف في قوله تعالى: ﴿وليُسجَنَنْ وليكونا﴾[2]، لأن الفعل سبق بـ «لم»، والتوكيد لا يلحق المنفي. ومن هنا لا بدّ لي أن أقول: إن بيت المتنبي على شاكلة الشاهد النحوي:

يحسَبُــه الجــاهــلُ مــال يعلَمــا ... شيخــاً على كـرسيِّــه مُعَمَّمــاً[3]

أقول: كيف لي أن أحمل بيت المتنبي، وهو مطلع جميـل، على الضرورة وأراني أذهب إلى أبعد من هذا فلا أحمل قوله أيضاً على مخالفة القياس:

فـلا يُبرم الأمـرَ الذي هـو حـالـلٌ ... ولا يحلل الأمـرَ الـذي هـو مبـرمُ

أقول هذا لأني أعرف أن المتنبي يعرف العربية ووجوهها، ولهذا لا بد أن يكون فك الإدغام ضرباً من كلامهم أو كلام إحدى قبائلهم، وأنا أستظهر هذا بفك الإدغام في الألسن الدارجة. إن بعض هذه الألسن تلتزم بـالإدغام في حين أن غيـرها تفـكّ الإدغام، فمنهم من يقـول: «حالِـل» و«شادِد» وآخرون يقولون في جهة أخرى: «حالّ» و«شادّ».

إن المتنبي هو الذي يقول:

أنـا الذي نـظَرَ الأعمى إلى أدبي ... وأسمَعَتْ كلمــاتي من بــه صَمَمُ

---

(١) شرح ديوان المتنبي ٢/١٦٠.

(٢) سورة يوسف، الآية ٣٢.

(٣) الكتاب لسيبويه ٣/٥١٦ [٢/١٥٢ ط بولاق].

أنـامُ مـلءَ جُفـوني عن شـوارِدِهـا ... ويَسهَـر الخلقُ جَـرّاهـا ويختصمُ

أقول: الذي يذهب إلى هذا الحد مزهواً، وله الحق في ذلك، لا يأبه لما يقوله أهل اللغة والنحو. وبعد فإني أختم هذا الموجز فأقول: لقد رأينا مكانة الشاعر القديم حين يرسل شعره فيفرض على السامعين صنعته متصرفاً ومجدِّداً، وذلك كله يتأتى مما يشعر به من سطوة المفلق المهلم، فهو ذو فنٍ وأصالة.

الباب الثاني

الفصل الأول
مقدمة في دراسة اللهجات

قلت: «اللهجات» جرياً على ما درج عليه المعاصرون في الكلام على البقايا اللغوية التي تتصل بلغات القبائل.

وكأن المعاصرين قد درجوا على خطأ، وقد قرَّ في دأبهم أن «الشذرات» اللغوية تؤلف مادة يستطيع بها الدارس أن يقيم بناءً وافياً بالغرض. ومن أجل هذا صرنا نشاهد كتباً هي مادة رسائل جامعية في الماجستير والدكتوراه موضوعها «اللهجات».

لقد آثر المعاصرون مصطلح «اللهجة» و«اللهجات» على ما أسماه أهل اللغة من القدامى «لغة»، فقول الأقدمين على لغة هذيل أو عقيل أو لغة الأزد، ونحو ذلك يتناول مواد لغوية بعينها كقولهم: جاء في «هيهات» ست وثلاثون لغة، وقولهم في «حذام» ونحوه أن أهل الحجاز يبنونه على الكسر. وافترقت بنو تميم فرقتين: فبعضهم يعرب ذلك كله بالضم رفعاً، وبالفتح نصباً وجراً. وأكثرهم يفصل بين ما كان آخره راء: كدبار اسم لقبيلة - وحضارِ اسم لكوكب - وسفارِ - اسم لماء فيبنيه على الكسر كالحجازيين، ومنه قول الفرزدق:

متى ما تردِ يوماً سفارِ تجد بها   أُديْهِمَ يرمي المستجيز المعوّرا[1]

---

(١) انظر «سفار» في معجم البلدان، وكذلك «لسان العرب».

وكذلك قولهم في اختلاف أهل الحجاز عن بني تميم في «أمس» وهذا كله مبسوط في كتب النحو القديمة. وقولهم في «هلمّ» ولزومها طريقة واحدة، ولا يختلف لفظها بحسب من هي مسندة إليه، وهذا كله لغة أهل الحجاز، أما بنو تميم فيلحقونها الضمائر فيقولون هلما وهلموا وهلمُمْنَ.

وقولهم: «ذو» الطائية بمعنى الذي، حكى الفراء: «بالفضل ذو فضلّكم الله، والكرامةِ ذاتُ أكرمكم الله بها»(1).

وعقيل وهذيل يقولون «الذون» رفعاً و«الذين» نصباً وجراً(2)، وقد ورد منه قول أبي حرب بن الأعلم أحد بني عقيل:

نحن الذون صبّحوا الصباحا ... يومَ النُّخَيل غارةً مِلْحاحا

وقد يكون أمر «اللغة» في أن الكلمة العربية تدل لدى قبيلة ما غير ما تدل عليه لدى سائر القبائل، ومن هذا قولهم في «ييأس» قوله تعالى: ﴿أفلم ييأس الذين آمنوا﴾: إنها بمعنى «يعلم»، وهي لغة النخع وهوازن، قال سُحيم:

أقول لهم بالشِّعْبِ إذ يأسرونني ... ألم تعلموا أنّي ابنُ فارسِ زَهْدَمِ(3)

وقد أشار صاحب «اللغات في القرآن» إلى ما آثر عن ابن عباس من أن القرآن اشتمل على لغة.

أقول: إن ما اصطلح عليه المعاصرون «لهجة» هو «لغة» في العلم اللغوي القديم. وكأني أقول: إن القدماء على عدم وضوح العلم في هذه المواد ونسبتها إلى أصحابها واختلافهم في النسبة، أسدّ طريقاً من المعاصرين. إن المعاصرين احتفلوا «بلهجاتهم» هذه، وأرادوا أن يلقوا

(1) قطر الندى لابن هشام ص ١٠٤.
(2) المصدر السابق ص ١٠٧.
(3) المصدر السابق ص ٦١.

عليها ضوءاً من علوم العصر في التفسير والتعليل، كما أرادوا تخيّلاً أن يضعوا لها نظاماً صوتياً، وليس ذلك في طوقهم لأن العلم بالأصوات لا يمكن أن نصل إليه بما أثر من «شذرات» لغوية تتصل باختلافهم في الحركات وأصوات المدّ الطويلة في طائفة من الكلم.

قلت: إن القدماء كانوا أسد منهجاً في هذا العلم ففي حين احتفل النحاة بالشواهد اللغوية النادرة من لغات القبائل التي خرجت عن المأثور المتوارث، وهو الشائع المشهور[1]، نجد اللغويين تنكبوا هذا السبيل فسموا بعض الظواهر اللغوية باللغات المذمومة[2]. كالكشكشة والكسكسة، والعنعنة والغمغمة وغيرها.

لقد اهتم المستشرقون بهذه المخلفات اللغوية، ولكنهم ذهبوا إلى أوضح قسمة فيها تلك التي شاعت في كتب النحو واللغة، وهي لغة الحجاز ولغة تميم. ومن هؤلاء: فولرز (Vollers) ورابن (Rabin)، وكأن المستشرقين قد رأوا في لغات القبائل الأخرى مواد يتيمة، فأنت لا تجد من لغة بلحارث بن كعب غير التزام المثنى للألف، ومواد معجمية أخرى.

وبقدر ما احتفل النحاة بالنماذج النادرة من ظواهر الكلم، تجنّب نفر آخر من اللغويين والنحاة هذه المواد حتى احتالوا على المسموع منها برواية

---

(١) جاء في شواهدهم الغريبة في باب المثنى ولزومه الألف والنون المفتوحة قول الراجز.
أعرف منه الجيدَ والعينانا. ومنخرِين أشبها ظبيانا (انظر شرح ابن عقيل ٧١/١)
أقول: لو كان التزام الراجز بالألف في المثنى لغة بلحارث بن كعب أو غيرهم، فلم عدل عنها في قوله: «منخرين».

(٢) قال الفراء: خلت لغة قريش من مستقبح اللغات ومستتج الألفاظ، ومن ذلك: الكشكشة .. وقال ابن فارس في الصاحبي باب اللغات المذمومة، وذكر منها العنعنة والكشكشة.. انظر المزهر ٢٢/٢١/١.

أخرى ليبتعدوا عن الخروج عن قواعد نحو العربية، ألا ترى أنهم غيروا المشهور من قول أمرىء القيس:

فاليوم أشربْ غير مُستحقبٍ إثماً من الله ولا واغلِ

بجزم «أشربْ» وليس من جازم، إلى رواية أخرى هي:

فاليوم ألهو غير مستحقبٍ إثماً من الله ولا واغل[1]

على أن الديوان قد أشار إلى الرواية الأولى.

ولعلي أميل إلى أن اللغويين النحاة قد أكثروا من القول في هذه الروايات التي خرجت إلى غير المشهور المعروف من قواعد النحو، ومن ذلك ذهابهم إلى أنّ «أن» الناصبة وردت جازمة، واستدلوا عليها بقول امرىء القيس:

إذا ما ركبنا قال وِلدانُ أهلنا تعالَوا إلى أن يأتنا الصيد نَحطِبِ

وكأني أذهب إلى أن هذا هو الأصل، وأما الرواية التي أُثبتت في الديوان[2] والتي جاءت سليمة، وأنّ «أنْ» فيها ناصبة:

«تعالوا إلى أن يأتي الصيد نحطب»

فمن صنع صاحب الرواية الذي لا بد أن يكون قد أعمل فيها ما رآه ليبعدها عن الخروج والشذوذ.

ومما أورده السيوطي من نماذج الخروج والشذوذ ما ذكره في «لن» وأنها جازمة في لغة بعض العرب[3] وابن هشام[4]، والأشموني[5]،

---

(١) لسان العرب «حقب» و «غل».
(٢) ديوان امرىء القيس (ط. المعارف) ص ٣٨٩.
(٣) همع الهوامع ٢/٤، والموفي في النحو الكوفي ص ١٢٠.
(٤) المغني ١/٢٢١.
(٥) شرح الأشموني ٣/٢٧٨.

والشنقيطي[1] قد نقلوا عن اللحياني الجزم بها أيضاً واستشهدوا بقول كثير:

«فلن يحلَ للعينين بعدكِ منظرُ»

والشاهد في رواية الديوان:

أيادي سَبَا يا عَزُّ ما كنتُ بعدكم فلم يحلَ للعينين بعدكِ منظرُ[2]

وهذه أيضاً الرواية في «اللسان» و«أساس البلاغة».

وقد عُرف «اللحياني» بنوادره التي شذت عن المألوف من سنن العربية، ومن ذلك قوله بمجيء النصب بـ«لم»، وهي لغة[3].

وقالوا: إنها لغة لبعض العرب، وعليها جاءت قراءة من قرأ: ﴿ألم نشرحَ لك﴾، وكذلك استدلوا عليها بقول الحارث بن المنذر الجرمي:

في أيِّ يومَيَّ من الموت آخِرْ أيومَ لم يُقدَرَ أم يومَ قُدِرْ[4]

أقول:

وهل لنا أن نجعل هذه القراءة على شذوذها مادة لغوية ثابتة، وفي القراءات الكثير من الغرائب؟.

ولِمَ لا نقول في البيت: إنه ورد كذلك، وأن لغة الشعر أو ما سُمِّي بالضرورة قد اقتضَى ذلك؟ وإن لم ينصَّ على هذا في الضرائر، والشاعر قبل أن يكون ممتحناً امرؤ جريء ذو سطوة يفرض بها لغته، والأمثلة كثيرة.

وليس لي أن أقول بقول صاحب «اللهجات العربية في التراث»[5]،

---

(١) همع الهوامع ٢/٤.
(٢) شرح ديوان كثير (ط. الجزائر) ١/٦٠.
(٣) همع الهوامع ٢/٢٦.
(٤) حاشية الصبان على الأشموني ٤/٨.
(٥) المغني ١/٢١٧.

وهو أن الفتحة في ﴿نشرحَ﴾ في القراءة جاءت اتباعاً لحركة الراء قبلها. إن هذا القول يذكّر بأقوال النحاة في تخريجاتهم لما ورد بعيداً عن المألوف المشهور، وهو تمحّل وتزيّد. ثم قال: صاحب «اللهجات» السيد علم الدين الجندي: أو أن الحركة اتباع لحركة اللام بعدها، ثم إن الحاء من حروف الحلق، وهي تؤثر الفتح[1].

أقول: وإعطاء الأصوات قوة تجعلها «تُؤثر» الفتح أو غيره من أصوات اللين القصيرة لا يمت إلى العلم اللغوي بصلة، وإن فشا في الاستقراء، على أن ما يخالف هذا فاشٍ أيضاً فأنت تجد: صَعِدَ، كما تجد عَلِمَ وأنت تجد «يفرُغ» في لغة التنزيل، وهي «يفرَغ» في اللغة التميمية.

وقال الجندي:

و«لم» في الشاهد أي قول الجرمي جازمة لا ناصبة، والأمر لا يعدو أن الشاعر ألغى حركة همزة «أم» وهي فتحة على «راء» يقدر مراعاة لحبك النسق الصوتي[2].

أقول: كيف جاز للجندي أن يعزو هذا الدأب النحوي الذي لا يخلو من حذلقة إلى شاعر جاهلي تقوده سليقته وطبعه بعيداً عن هذه التخريجات التي ألصقها اللغويون بالعربية الجاهلية في سماحتها وسعتها!!.

وليس لي أن أوافق الجندي الذي اتكأ على شيء مما ذكره ابن جني في «الخصائص»[3].

قلت: إن النحاة قد يثبتون شيئاً يفيدهم فيما ذهبوا إليه، ومن ذلك

---

(١) اللهجات العربية في التراث (المقدمة ي).
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.

مثلاً قولهم بالتوهم مستدلين عليه بقول زهير بن أبي سلمى:

بدا ليَ أني لست مدركَ ما مضى   ولا سابق شيئاً إذا كان جائيا[1]

بجر «سابق» على توهّم أنها معطوفة على «مدرك» الذي من حقه الجر بالباء الزائدة، وهو خبر «ليس».

أقول: هذا من اختراع النحاة، ورواية الديوان «صنعة ثعلب»: و«لا سابقاً» على الأصل في سماحته ووضوحه، وأين هذا «التوهم» من طبع زهير الذي تجري لغته على أصلها الذي عرفته العربية؟.

ثم إن القول باللغات القديمة تعتوره مشكلات أولها معرفة البقعة الجغرافية التي تفهم من قولهم: لغة الحجاز، ولغة تميم، ونحن نعرف أن «الحجاز» على حضريته لا يخلو من جيوب قبائلية، وأن تميماً عرفت في أمكنة شاسعة مترامية الأطراف، وهل يعقل أن يكون ما ينسب إليها قد عرفته تميم في هذه المواطن؟.

إذا كانت الحجاز حضرية، فأين هذه الحجاز، ومن الطبيعي أن يدخل في الحجاز الحواضر وهي مكة والمدينة والطائف، في حين نجد الإشارات اللغوية تعزو لأهل المدينة طريقة لغوية، وكذلك لأهل مكة وأهل الطائف.

وأنت ترى أن الإشارة إلى لغة قريش توحي إلى أنها غير لغة الحجاز، والذي نعرفه تاريخياً أن قريشاً في مكة ومكة من حواضر الحجاز. ثم إن بعض القبائل عرفت في نجد كما عُرف شيء منها في الحجاز، فكيف يتصدّى الباحثون في عصرنا فيعقد أحدهم بحثاً في «لهجة تميم»، وآخر في لغة هذيل، وكأن تميماً ناحية معروفة في عصرنا في طوق الباحث

---

(١) الخصائص ٣/٩٥، وسر صناعة الإعراب ١/٨٥.

أن يُلمَ بها درساً وتحليلاً كما يفعل المعاصرون في دراسة اللغات المحكية.

إن الجغرافيين العرب القدماء لم يفلحوا في مدنا بالعلم الجيد عن مساحة الحجاز، ومثل هذا قالوا في مواطن تميم.

ثم كيف لنا أن نقول في مواطن القبائل الأخرى، وهي متنقلة أبداً. أنقول أن هذيلاً حضرية، وهي داخلة في الحجاز أم بدوية في المواطن النجدية، هذا من شأنه أن يقال في مواطن القبائل، فكيف نقول في نسبة «الشذرات» اللغوية وهي تتصل بكلمات بعينها، قال القالي في «الأمالي»[1]:

لغة الحجاز ذأى يذأى، وأهل نجد يقولون: ذوي يذوي، وأهل الكوفة: ذويَ.

لقد اختلط في رواية القالي هذه ما هو حضري وما هو بدوي، فكيف نقول، والذي نعرفه أن الكوفة مواطن لقبائل عدة عدنانية وقحطانية.

ثم نأتي إلى شيء آخر يتصل بلغة قريش فنجد اللغويين قد أجمعوا على أن لغة قريش أفصح اللغات فقد أثر عن الفرّاء قوله:

كان العرب تحضر الموسم في كل عام وتحج البيت في الجاهلية، وقريش يسمعون لغات العرب فما استحسنوه من لغاتهم تكلموا به فصارت أفصح العرب، وخلت لغتهم من مستبشع اللغات ومستقبح الألفاظ كالكشكشة والكسكسة، والشنشنة وغيرها...[2].

وقال ابن فارس: «أخبرني أبو الحسن أحمد بن محمد مولى بني

---

(١) شرح ديوان زهير (صنعة ثعلب)، وكذلك الديوان برواية الأعلم.
(٢) المزهر ١/٢٢١.

هاشم بقزوين، قال: حدثنا أبو الحسن محمد بن عباس الحشكي، قال: حدثنا إسماعيل بن أبي عبيدالله قال: أجمع علماؤنا بكلام العرب، والرواة لأشعارهم، والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومجالسهم أن قريشاً أفصح ألسنةً وأسماهم لغة، وذلك أن الله تعالى اختارهم من جميع العرب، واختار منهم محمداً»[١].

«فكانت وفود العرب من حجّاجها وغيرهم يفدون إلى مكة، ويتحاكمون إلى قريش، وكانت قريش مع فصاحتها وحسن لغاتها... إذا أتتهم الوفود تخيّروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأسنى كلامهم، فاجتمع ما تخيّروا من تلك اللغات إلى سلائقهم التي طُبعوا عليها»[٣].

أقول: هذا ما وصل إلينا عن متقدمي اللغويين في لسان قريش وفصاحتهم، ولا أدري كيف جاز لنفر من المعاصرين أن يعتمدوا هذه الأقوال في دراساتهم، ذلك أن لغة قريش في ضوء هذه النقول شيء مصطنع، فهم أصحاب اختيار وانتقاء، وليست المسألة اللغوية التي طبع بها قوم أو شعب أو أي اجتماع بشري تقوم على الاختيار والانتقاء والاستحسان.

وعندي أن مردّ هذا الموقف من لغة قريش لدى أولئك المتقدمين متأتٍّ من إعظامهم لقريش لأنهم قوم النبي الكريم، فإعظامهم هو من إعظامهم للرسول الأمين، ومن هنا قالوا مقولتهم المشهورة من أن القرآن نزل بلغة قريش.

إن لغة قريش كما وصفوها لا يمكن أن تكون أفصح اللغات، ذلك

(١) المصدر السابق.
(٢) الصاحبي (باب القول في أفصح العرب).

أن مجتمع قريش مجتمع من شأنه أن يستقبل فيه طوائف أخرى ليست من قـريش بحكم أنهم في مكة وإليهـا يحـج جمهـور العـرب، وأن العـرب يقصـدون قريشـاً في المـوسم من أجـل التجـارة ومن أجـل المشـاورات والمذاكرات. وأن مجتمعاً هذا شأنه لا بد أن تكون لغته عامةً شاملة فيها الكثير من محاسن اللغـات الأخرى ومسـاوئها، وقـد نقف على اضطراب اللغويين في بعض ما أرسلوه من غير رويّة ولا تدبر.

قال ثعلب في أماليه: «ارتفعت قريش في الفصاحة» عن عنعنة تميم، وتلتلة بهـراء، وكسكسـة ربيعـة وكشكشـة هـوازن، وتضجّـع قيس. . . «والتضجع» من العيوب، وهو المدّ والمطّ في اللفظ مما يخرجه عن أناقته ورونقه.

ثم إن أي لغة يعرض لها الكثير من غيرها لا بد أن تحمل ضيم ما يوجد في غيرها، والدليل على هذا ما يلحظه أهل اللغة في عصرنـا في لندن ونيويورك وأن لا تملك صفاءها، ولا خواصها الصوتية الأصيلة، ولا نقاء معجمها الأصيل.

وكأن انحياز اللغويين إلى لغة قريش واستحسانهم لها متأتٍّ أيضاً من قول الرسول الكريم: «أنا أفصح من نطق بالضاد بيد أني من قريش».

أقول: ولاستحسانهم لقريش ذهبوا في شرح هذا الحـديث إلى أن معنى «بيدَ» فيه هو «لأنني» من قريش.

والذي وقفنا عليه في نصوص العربية أن «بيد» معناه «غير»، وإذا كان لها هذه الدلالة كما في النصوص يتوجّه شرح الحديث إلى ما ذهبنا إليه من أن لغة قريش ليست أفصح اللغات، وأنه ـ صلوات الله عليه ـ قد أدرك هذا فأراد في قوله: «أنا أفصح من نطق بالعربية وإن كنت من قـريش، ولغتها كيت وكيت».

وفي رواية للحديث: «أنا أفصح من نطق بالضاد بيد أني من قريش ورُبِّيت في بادية بني ساعدة» وكأن هذه التكملة تؤيد وتسدّد ما ذهبنا إليه.

ولا بد أن نشير إلى أن كثيراً من مواد اللغات الخاصة التي دخلت في «اللهجات» لدى المعاصرين، قد عد من العيوب التي دخلت في «اللغات المذمومة»[1] إن قول ثعلب الذي أشرنا إليه من أن لغة قريش قد ارتفعت من عنعنة تميم وتلتلة بهراء... يشير إلى هذا.

وقال الخليل: أفلطني لغة تميمية قبيحة[2]، والشهير فيها «أفلتني» وجاء فيها قول ساعدة بن جؤية وهو هذلي، وهذيل تدرج بين القبائل الغربية:

بأصدقِ بأس من خليلٍ ثمينةٍ وأمضىَ إذا ما أفلَطَ القائمَ اليدُ

وبسبب من استحسانهم لغة قريش ذهبوا إلى انتقاص لغات القبائل الأخرى، فراحوا يصفونها بصفات دنيا كقولهم: لغة رديئة[3] أو لغة شنعاء[4] أو هُذَلية شاذّة[5] أو لغة ضعيفة[6] أو رديئة أو قليلة[7] أو خبيثة[8].

إن التراث الذي يتصل باللغات مما ندعوها في عصرنا بـ «اللهجات» علم لا نستطيع بيسر أن نصنفه ونعزوه إلى قبيلة بعينها. ولنا أن نقول إن

---

(١) المصدر السابق.
(٢) الصاحبي «اللغات المذمومة».
(٣) الصحاح «فلطن».
(٤) أمالي ابن الشجري ٣٨١/١.
(٥) لسان العرب ١٤٩/٣، ٢٢٧/٤.
(٦) لسان العرب ٤٨٠/١٣.
(٧) المصدر السابق ١٣٩/٢٠، ٢٧١.
(٨) الكتاب ٢٩٦/٢.

في ذلك تراثاً لغوياً حضرياً يتصل بالحواضر، وتراثاً بدوياً يتصل بالتجمعات البدوية. وليس لنا أن نقول: إن هذا تميمي خالص فكثير مما ينسب إلى تميم يكون لقيس وأسد في الوقت نفسه. وليس لنا أن نحمل ما يعزى إلى الحجاز فنقول: إنه حضري فنقطع إلى الحضارة، ذلك أن شيئاً مما هو حجازي قد يكون بدوياً.

ومن هنا ما نلحظ من تداخل بين ما هو حجازي أي غربي، وما هو تميمي أي شرقي. ومن هذا ما نقف عليه مما ورد في لغة التنزيل. لقد قالوا في قوله تعالى: ﴿إن هذان لساحران﴾ وهي قراءة أبي جعفر. وقد جاء فيها فيما ذكره أبو حيان.

الذي نختاره في تخريج هذه القراءة أنها جاءت على لغة بعض العرب من إجراء المثنى بالألف دائماً وهي لغة لكنانة، حكى ذلك أبو الخطاب، ولبني الحارث بن كعب، وخثعم، وزبيد، وأهل تلك الناحية حُكي ذلك عن الكسائي، ولبني العنبر، ومراد، وعذرة[1]. وجاء في «همع الهوامع»[2]: إن التزام المثنى بالألف قد عرف في «كنانة» وبني الحارث بن كعب، وبني العنبر، وبني الهجيم، وبطون من ربيعة، وبكر بن وائل وزبيد، وخثعم، وهمدان، ومراد، وعذرة.

أقول وهل بعد هذا نستطيع أن نطمئن إلى ما دأب فيه المعاصرون من أمر النسبة والعزو والتصنيف؟.

وقد وردت هذه اللغة في الشعر كما في قول المتلمس:

فأطرق إطراق الشجاع ولو يرى مساغاً لنا بَيْهِ الشجاعَ لصَمَّما

---

(١) شرح شافية ابن الحاجب ٢/٢٤٧.

(٢) البحر المحيط ٦/٢٥٥، والنهر الماد ٥/٢٥٠.

وأنشده بعض المتأخرين من النحويين «لناباه». قال الأزهري: هكذا أنشده الفرّاء «لناباه» على اللغة القديمة لبعض العرب[1] .

ورواه الأصمعي «لنابيه»[2] .

قد يقال: إن جمهرة هذه القبائل يمنية قحطانية تقريباً، ولكننا نجد أن هذه المسألة اللغوية قد عرفتها ربيعة، وبكر بن وائل، وبني العنبر، وهؤلاء من تميم من القبائل العدنانية أو قل بحسب التصنيف المكاني إن جمهرة القسم الأول تجمعات غربية، في حين إن الآخرين تجمعات شرقية.

ونقف على مسألة آخرى هي أدغام نون «من» الجارة في لام التعريف، كما في قول كُثيِّر:

إذا وصلَتْنا خلّة كي نُزيلها　　أبَينا وقلنا الحاجبيّة أوّلُ
لها مهل لا يُستطاع دِراكُه　　وسابقةٌ مِلْحُبِّ لا تتحوّل

وقال المغيرة بن حَبناء:

إني امرؤ حنظليٌّ حين تنسُبُني　　لا مِلْعَتيك ولا أخواليَ العوقُ

وقال أبو صخر الهُذلي:

كأنّهما مِلآن لم يتغيَّرا　　وقد مرَّ للدارين من بعدنا عصرُ

وأنت ترى أن كُثيّراً من خزاعة، وهي قبيلة أزدية في حين كان لمغيرة من ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد بن تميم كما في الشعر والشعراء ص ١٥١.

ولي أن أقول: إن هذا الإدغام لم نقف عليه إلا في الشعر، فكأنه بعض اللوازم اللغوية في لغة الشعراء.

---

(١) همع الهوامع ١/٤٠.
(٢) الأصمعيات ص ٢٨٧.

وللشعراء لغتهم فقد يستعملون فيها ما لا يتصل بلغة القبيلة التي ينتسبون إليها، إن الذي نعرفه أن هذيلاً كانت تحذف النون من الأسماء الموصولة كما يحذفون الياء من «الذي»، ومن هذه الأخيرة قول الهذلي:

فكنتَ والأمر الذي قد كيدا ... كاللّذ تربّى زُبيةً فاصطيدا[1]

ومن حذف النون ما ذكره الكسائي حيث قال: سمعت هذيلاً تقول: هم اللاؤ فعلوا كذا[2] والأصل اللاؤون. ومنه ما ذكره ابن الشجري. من قول الهذلي:

«هم اللاؤون فكّوا الغِلّ عني»[3]

ونسب البغدادي حذف النون في الموصول إلى بني الحارث بن كعب وبعض ربيعة، ومنه قول الأخطل:

هم اللتا لو ولدت تميم ... لقيل فخرٌ لهم صميمُ[4]

وقول الفرزدق:

أبني كليب إن عمَّيَّ اللذا ... قتلا الملوك وفككا الأغلالا[5]

وقول أمية بن الأسكر الكناني:

قومي اللذو بعكاظٍ طيَّروا شرراً ... من روس قومك ضرباً بالمصاقيلِ[6]

فأنت ترى أن الأخطل التغلبي قد استعمل ما هو معروف في لغة هذيل، وأكثر من هذا ماجاء في قول الفرزدق المتقدم، وهو من تميم، وهو استعماله «اللذا» التي هي من خصائص لغة هذيل.

(١) المصدر السابق.
(٢) الخزانة ٤٩٨/٣، ولسان العرب ٣٤٢/١٠، وأمالي ابن الشجري ٣٠٥/٢.
(٣) أمالي ابن الشجري ٣٠٨/٢.
(٤) المصدر السابق.
(٥) الخزانة ٥٠٣/٢.
(٦) كتاب «ليس في كلام العرب» ص ٦٤.

أقول: كأن للشاعر لغة خاصة لا تتصل ضرورة بقبيلته، وهو يأتي كل لغة يكون له فيها سعة.

وبعد أليس من حق البصريين أن يذهبوا في هذه الأبيات ونظائرها إلى الضرورة؟ وقد عللوا هذا الحذف فقالوا خفف اسم الموصول لاستطالته بالصلة[1] أما الكوفيون فذهبوا إلى أن الحذف لغة، طالت الصلة أم لم تطل، حكاه عنهم ابن الشجري في «أماليه»[2].

أقول: لو صح أن بيت الفرزدق قد حمل خطأ عليه، وأن قائله الأخطل، لكان لنا أن نقول: أن الأخطل من تغلب، ولغتها غير لغة هذيل، وليس من دليل أن هذه اللغة الهذلية هي لغة بني الحارث بن كعب، حتى يتسنى للأستاذ علم الجندي أن يقول: إن تغلب من ربيعة، وربيعة فيها تلك الظاهرة[3].

وقد وقع الأستاذ الجندي فلجأ إلى ما لجأ إليه البصريون فقال في بيت أمية بن الأسكر المتقدم.

أما إذا تكلم بها أمية، وهو كما قال صاحب الأغاني ابن حُرثان بن الأسكر بن عبدالله بن سرابيل الموت بن زهرة... بن كنانة بن مدركة... بن إلياس بن مضر فتكون في شعره ضرورة لأنه لم ينصّ على أن قبيلته تختصر مثل هذا[4].

أقول: ثم كيف لا تكون هذه الظاهرة ضرورة في شعر الأخطل، وهي ضرورة في شعر أمية؟.

---

(١) الخزانة ٢/٥٠٣.
(٢) المصدر السابق ٢/٤٩٩.
(٣) المصدر السابق.
(٤) اللهجات العربية في التراث ص ٥٥٧.

وعندي أنها من لغة الشعر، وللشاعر اتساع في الأخذ والاستعمال.
ولا أدري لِمَ طوى الجنديُ ما قيل من نسبة حذف النون في الموصول إلى هذيل؟.

على أننا نجد بعض المواد اللغوية مما تختلف فيها لغة الحجاز (الغربية) عن لغة تميم (الشرقية) إذا جاز لنا أن نقول أن تميماً كلها في الجانب الشرقي من الحجاز. ومن هذه المواد: أن أهل الحجاز يفتحون حرف المضارعة، وبنو تميم يكسرون، وقد عزا أبو حيان الفتح في قوله تعالى: ﴿نستعين﴾ إلى الحجاز[1] وكذلك عزا السيرا في هذه الظاهرة[2].

وذهب الدارسون إلى أن كسر حرف المضارعة لغة تميمية، والذي ورد في المصادر القديمة أن كسر الهمزة «إخال» من لغة هذيل[3]، وكذلك ذهب الطوسي[4] في حركة نون ﴿نستعين﴾.

وفي كتاب العين للخليل[5] أن لغة هذيـل في «تَعرج» و «تَعكف» الكسر أي «تِعرج» و «تِعكف».

أقول: وأمر عزو هذه الظواهر اللغوية مشكل في مصادرنا القديمة، فأنت تجد أقوالاً مختلفة فيها، وقد يختلف القول في المصدر الواحد، ومن ذلك أن المرزوقي في «شرحه» يعزو الكسر في همـزة «إخال» إلى قبيلة طيء[6]، وكان قد عزاها كما أشرنا إلى هذيل.

---

(١) المصدر السابق ص ٥٥٨.
(٢) البحرالمحيط ١/٢٣، ٢٤.
(٣) شرح السيرا في ٥/٣١٦ (خط).
(٤) شرح الحماسة للمرزوقي ٤/٨٤٥.
(٥) البحر المحيط ١/٢٣ - ٢٤.
(٦) شرح الحماسة ١/٤٤٨.

وقد وافق التبريزي في «شرحه» المرزوقي في قوله الثاني(١).

وأنت في هذا تخرج من أن مادة «اللغات» تراث فيه خلط كثير لا يمكن أن يصنف فتنسب مواده إلى أصحابه، فالمصادر يناقض بعضها بعضاً، ثم أن النسبة قد تعزى لأكثر من قبيلة، بله الحجاز وتميم.

ومن هذا الخلط ما ورد في «خزانة الأدب» في «أخال» المفتوحة الهمزة حيث نسبت إلى قبيلة أسد(٢)، وأسد في كثير من مواد لغتها في سياق تميم التي تكسر حرف المضارعة، فتأمل.

قلت: وقد تختلف لغة المجموعة الواحدة (شرقية أو غربية) بين قبيلة وأخرى.

ومن هذا أن «الصدفين»(٣) بفتحتين لغة أهل الحجاز، وبضمتين لغة قريش(٤)، وأنت تسأل أين قريش؟ أليست هي من الحجاز!.

وتختلف لغات الجانب الشرقي عن لغات الجانب الغربي، وأشهر ما يكون هذا في أن تميماً وبعضاً من القبائل في الجانب يشيع فيهم النبر، وقريش وأهل الحجاز عامة «لا ينبرون».

على أننا لا بد أن نلاحظ أن قبائل الجانب الشرقي قد اختلفوا، فإذا كانت تميم تنبر فإن قبيلة قيس وقبيلة أسد لا ينبرون(٥) قال الطبري في قوله تعالى: ﴿ترجىء من تشاء﴾(٦).

---

(١) شرح الحماسة للتبريزي ٢٤٢/١.
(٢) خزانة الأدب ١١/٤.
(٣) ١٦ سورة الكهف.
(٤) اتحاف فضلاء البشر ص ٣٩٥.
(٥) المصدر السابق ص ٥٩.
(٦) ١٠٦ سورة التوبة، وكذلك قوله تعالى: ﴿تُرجىء من تشاء﴾ ٥١ سورة الأحزاب.

الهمز من كلام بعض قيس، وترك الهمز من لغة تميم وأسد.

وأنت تجد الاختلاف وعدم الوضوح في التقديق في مسألة النبر ونسبتها إلى أصحابها، فبينا وجدنا صاحب «الإتحاف» يشير إلى أن الهمز في قوله تعالى: ﴿وآخرون مرجئون لأمر الله﴾[1] من لغة تميم، رأينا الطبري ينفي الهمزة عن لغة تميم في آراء أخرى.

ومن هنا نجد أن أفراد المجموعة الشرقية من القبائل يختلفون فيما بينهم، فالاختلاف واقع بين تميم وقيس مثلاً، وبين لغة أسد وتميم، وبين تميم وبكر، وبين نجد وأسد. على أن هذا الاختلاف قد قيد بألفاظ ذكرت في المصادر اللغوية وكتب القراءات.

ولا نستطيع أن نفهم من ذلك أن غير هذه الألفاظ مما ورد على أبنيتها قد تكون نظائرها في هذا الذي اختلفت فيه لغة عن لغة أخرى، فإذا قيل إن «الرفقة» بضم الراء، والجمع «رفاق» في لغة تميم، وأنها مكسورة الراء، والجمع «رفق» في لغة قيس[2]، فلا يمكن أن نقيس على هذا «صُحبة» و «طُرفة» وغيرهما.

وهل لنا أن نقول: أن «تُذْنوب» بالضم ونسبها الفراء إلى بني أسد في حين أن التميمي يقول: «تَذنوب» بالفتح، أقول: هل لنا أن نحمل على هذا كل ما ورد على «تفعول»؟.

ونحن نخرج من هذا الحشد الذي وجدناه في مصادرنا غير مطمئنين إلى قوة هذا العلم وإلى سعته، وأمر نسبته إلى أصحابه.

---

(١) ١٠٦ سورة التوبة، وكذلك قوله تعالى: ﴿تُرجىء من تشاء﴾ ٥١ سورة الأحزاب.
(٢) لسان العرب ١/٣٧٦ (ذنب).

لقد أشرت إلى أن هذه مخلفات لغوية لا يمكن أن تكون مادة دراسة منهجية تخضع للتصنيف الدقيق.

وكثيراً ما وجدنا أن تميماً وقيساً تتفقان في مسألة خالفا فيها لغة أهل الحجاز، ومن ذلك كلمة «الهَدْي»، وهو ما يهدي إلى الحرم من النعم، فهو يخفف بلغة أهل الحجاز، ويثقل بلغة تميم وسفلى قيس(١).

ومنه «الوتر» من قوله تعالى: ﴿والشفع والوتر﴾، بالفتح وهي لغة أهل الحجاز، وبالكسر في لغة تميم وأسد وقيس(٢).

ولو أردت الاتساع في هذا لجئت بالشيء الكثير.

وكنت أشرت إلى أن كثيراً مما يدخل في مواد اختلاف اللغات بين القبائل كان مما يتجاهله أهل اللغة فينبزونه ويقللون من شأنه. ومن هذا ما اتصل بمواقف «الإبدال» فقد قالوا أن قبيلة هذيل تبدل العين من الحاء، ومنه «حتّى» تكون في لغتهم «عتّى». وحكاية عمر - رضي الله عنه - في هذا معروفة، فقد سمع أحدهم يقرأ: ﴿وليُسْجَنَنْ عتّى حين﴾(٣) فسأله عمّن أخذ قراءته منه، فقال: أقرأنيها عبد الله بن مسعود، فلم يكن من عمر إلا أن كتب إلى أبي موسى الأشعري عامله على الكوفة يطلب إليه أن يكف عبدالله بن مسعود عن قراءته هذه، وقد جرى فيها على لغة هذيل، وليقرىء الناس بلغة قريش(٤).

ولو أننا قرأنا بلغة تميم قوله تعالى: ﴿وحَسُن أولئك رفيقا﴾(٥) لكان

---

(١) المصدر السابق (هدي).
(٢) أمالي القالي ١/١٣.
(٣) ٣٥ سورة يوسف.
(٤) كنز العمال ١/٢٨٤.
(٥) ٦٩ سورة النساء.

علينا أن نسكن السين في ﴿حسن﴾، وهي لغتهم، ولم يكتب لمن قرأ بهذه اللغة أن تشيع قراءته[1].

ومثل هذه قراءة من قرأ: ﴿وضاقَت عليكم الأرضُ بما رَحُبَت﴾[2] بإسكان الباء في ﴿رَحْبَت﴾ على لغة تميم[3].

أقول: وهذا يعني أن نصيب لغة الحجاز في لغة التنزيل قدر وافر، ولعل من هذا ساغ لبعضهم أن يقول: نزل القرآن بلغة قريش[4] وحقيقة الأمر أن في القرآن لغات عدة غير لغة قريش، وقد أشار السيوطي في «الإتقان» إلى ما ورد في القرآن من لغات العرب.

وأراني بعد هذا العرض أخلص إلى أن ما دعاه المعاصرون بـ «اللهجات» ليس مادة علم قويم ينتهي فيه الدارس إلى القول الفصل، ولذلك نراهم يستخلصون فيه أقوالاً غير سديدة، ومن هذا ما قاله الجندي في بعض ما أثر عن لغة تميم: إن تميماً تكسر فاء «فعيل» إذا كان حلقي العين فتقول: «بِعير»، وقد قرىء ﴿بِهيمة الأنعام﴾[5].

قال الأستاذ علم الدين: «إن الانسجام من طبع البدوي، لأنه يميل بطبعه إلى الاقتصاد في المجهود عند نقطة، فإذا نطق «بِهيمة» بالكسر عمل اللسان من وجه واحد، وهو الكسر، بعكس «بَهيمة» فإن فيها مشقة لأن اللسان ينتقل من الفتح إلى الكسر»[6].

---

(١) البحر المحيط ٣/٢٨٩.
(٢) ٢٥ سورة التوبة.
(٣) انظر شواذ سورة التوبة في «البديع» لابن خالويه.
(٤) شرح السيرا في ٢/١٢٦ (مخطوط التيمورية).
(٥) سورة الأنعام، وانظر البحر المحيط ٢/٤٠٩.
(٦) اللهجات في التراث ص ٧٢.

كلمة أخيرة:

أقول: قد يكون لي أن أذهب إلى أن درس ما دُعي بـ «اللهجات القديمة» لا يمكن أن يصل فيه الدارسون إلى علم نافع.

إن مواد هذا الدرس التي نملكها ناقصة تفتقر إلى الكثير من المواد الضرورية.

إنها شذرات متناثرة مضطربة اختُلف في حقيقتها ونسبتها، ثم إنها بعيدة عن الضبط المكاني إذ ليس لنا فيها أي تصوّر لخارطة علمية يصحّ أن تكون وسائل توضيحية يفيد منها الدارسون.

وإذا كان من درس علمي فإنما يكون في اللهجات السائرة الدارجة وفي العربية المعاصرة.

الفصل الثاني
العامي الفصيح

هذا باب خاص من العامية، وخصوصيته تتأتّى من كونه عامياً دارجاً تخلو منه العربية الفصيحة المعاصرة إلّا أنه كان فصيحاً في عربية القرون الماضية. وهذا يعني أن اللفظ قد تَدَنّى في مستواه ودرجته فصار عامياً لا يلتزم به المعربون في كلامهم وكتابتهم.

ولا بد من الإشارة إلى أن تحوّل الفصيح إلى العامي، وخلو الفصيحة المعاصرة منه يرجع إلى أسباب منها:

أن الفصيح القديم مما قلّت الحاجة إليه وذلك لأنه يتعلق بدلالة بعدت عن اهتمام المعربين منها.

أو أنها مما زالت من حيّز الفصيح فقبعت في العامية، وأن غيرها يسد سدها.

أو أنها كانت لغة خاصة في بيئة معينة، فلم يكن لها من الشمول، وهي فصيحة، فتحولت لخصوصيتها إلى عامية.

ثم إن هذه العامية قد اكتسبت في عاميتها بناءً جديداً أو قل عرض لها شيء من القلب والإبدال وزيد في أحرفها أو نقص حتى ابتعدت بذلك كله عن سمتها الفصيح.

إن هذه العامية ذات الأصول الفصيحة مما استقريته في عامية أهل

العراق، وإني لواثق أن في كل بلد من بلدان العربية مادة لغوية عامية أصولها فصيحة أو أنها تحولت لسبب ما إلى العامية، وهذا يختلف في كل بلد عنه في البلد الآخر.

وسأستقري هذه المادة العامية وأدرجها على حروف المعجم.

باب الألف (الهمزة)

١ ـ أبو:

إن الفعل أَبَى يأبَى قد عُرف في الفصيح، وما زال فيها معروفاً مستعملاً، غير أن العامية ذهبت فيه إلى المزيد «تأبَّى» على «تَفَعَّلَ».

وهو في عامية أهل العراق بمعنى «امتَنَعَ» مع خصوصية دلالية، وهي أن الذي «يتَأبَّى» هو ممتنع كاره، ومن هنا كان «الامتناع» عن السلب أو قل الشر.

وبناء الفعل مما لا تعرفه العربية الفصيحة.

٢ ـ أج ج:

و «أجَّت» النار بمعنى تأجَّجَت واتَّقَدَت، والفعل اليوم «وجَّت» بالدلالة نفسها. وليس في الفصيحة المعاصرة شيء منه، وربما ذهبوا فيها المزيد «تأَجَّجَ».

٣ ـ أرَرَ:

وفي عامية العراقيين تحول الفعل «أرَّ» المضاعف إلى «وَرَّ» على البدل، والبدل وإن كان معروفاً في العربية الفصيحة في قدر كبير من الكلم إلا أنه لم يُسمى في «أرّ».

وهذا الفعل مما لا نعرفه في الفصيحة المعاصرة، ولكنه معروف في الدارجة بمعنى زاد في إيقاد النار، وهو المعنى الفصيح القديم.

٤ ــ أسس:

أقول: الأساس، والأُسُس، مفرداً وجمعاً، ما زال معروفاً في العربية المعاصرة ولكن «الآساس» بالمدّ نحو آراس وآرام وغيرهما مما لا نجده في الفصيحة المعاصرة ولكننا نجده فيما يدرج به العراقيون، وهم يستعملونه «مفرداً» وليس في إعرابهم بناء «جمع الجمع».

باب الباء

٤ ـ بجج:

وفي فصيح العربية: بَجَّ الجُرح والقُرحة يَبُجُّها بَجّاً: شَقّها، قال: جُبَيْها الأشجعي في عنز له مَنَحها لرجل ولم يردَّها:

فجاءت كأنّ القَسْورَ الجَوْنَ بجَّها عساليجهُ، والثامرُ المتناوِحُ

وقالوا: كل شقّ بَجٌّ، قال الراجز:

بَجَّ المَزادَ مُوكَراً مَوفورا

أقول: وقد توسَّع العوامّ في العراق في استعمال الفعل في كل شقّ وكسر فقالوا: بَجَّ القُفل أو الغَلَق بمعنى كَسَره من أجل فتح الباب، وهو من الأفعال التي ترد في استعمال اللصوص.

ثم ذهبوا في الفعل إلى نوع من البدل فجعلوا الجيم الفصيحة مشوبة بجيم أعجمية وهو ما يعجم بثلاث نقاط «بچ».

٥ ـ بَحْصة:

و «البَحْصة» في عامية بدو العراقيين هي «الحصباء»، وقد صير فيها إلى القَلْب وهي صغار الحَصَى.

والحَصَب والحَصَبة بمعنى صغار الحجارة والحَصَى، ليسا في العربية الفصيحة المعاصرة ولكننا نقف عليها في العامية البدوية مقلوبة «بَحْصة».

٦ ـ بَحْثر:

في فصيح العربية: بَحْثَرَ الشيءُ: بَحَثَه وبَدَّده كبَعْثَره.

أقول: وليس في الفصيحة المعاصرة هذا الفعل، ولكنه واضح في استعمال العامة بدلالته نفسها.

والفعل رباعيٌّ أدرَجَه الصرفيون في باب «الرباعيّ المجرّد»، وكأنه ضرب من النحت الذي ذهب إليه ابن فارس في «معجم مقاييس اللغة»، وكأني أرى فيه «بَحَثَ» و «بَثَرَ».

٧ ـ بَخْتِ:

هو «الحَظَ»، وقالوا إنه معرّب. وهو مما لا نجده في الفصيحة المعاصرة، ولكننا نقف عليه في الاستعمال الواسع في لغة عامة العراقيين، حتى اكتسب في سيرورته السعة في الأبنية، فقالوا: بخيت لذي الحظ السعيد، كما قالوا: مَبْخوت في المعنى نفسه.

٨ ـ بَرْخ:

من معاني «البَرْخ» في فصيح العربية الرُّخْص، وقالوا: إنها عُمانية.

وقيل: بالعبرانية أو السريانية، يقال: كيف أسعارهم، فيقال: بَرْخ أي رخيص والتبريخ: التبريك، قال الراجز:

ولو يقال بَرِّخُوا لَبَرَّخُوا
لِما سَرْجيسَ وقد تَدَخْدَخوا

أقول: والصواب: أن مادة «برخ» في العبرانية تعني «البَرَكة». وهي ما زالت بهذا المعنى في لغة العراقيين، ومن أعلام الإناث «بَرْخة» بمعنى «البَرَكة».

٩ ــ بزل:

جاء في أصول العربية: بَزَلَ الشيء يَبْزُله بَزْلاً، وَبَزَلَه فتَبَزَّلَ: شَقَّه والبَزْل أيضاً: تصفية الشراب، والمِبْزَل: ما يُصَفَّى به الشراب. وهذا وذاك لا وجود له في العربية الفصيحة المعاصرة، ولكنه فاشٍ كثير في عامية العراقيين.

١٠ ــ بشر:

جاء في فصيح العربية: أبْشَرَت الأرض إذا أخرَجَت نباتها، وبَشَرَة الأرض: ما ظهر من نباتها.

أقول: وليس شيء من هذا في الفصيحة المعاصرة، ولكننا نجد في لغة عامة العراقيين من أهل القُرَى: بَشرَّت النخلة أو الشجرة: أي أعطت باكورتها من التمر والثمر.

١١ ــ بطط:

وجاء في معجمات العربية: بَطّ الجُرحَ وغيره يبُطّه بَطّاً أي شقّه مثل بَجّه بَجّاً، والمِبَطّة: المِبْضَع.

أقول: ولا نَرى: البطًّ» هذا في الفصيحة المعاصرة، ولكننا نجدها في لغة أهل القرى في جنوبي العراق.

١٢ ــ بهق:

قالوا: البَهَق، بفتحتين: بياض دون البَرَص، قال رؤبة:

فيه خطوط من سوادٍ وبَلَقْ
كأنّها في الجسم توليعُ البَهَقْ

أقول: والكلمة بهذا المعنى في لغة أهل العراق، وهو مصدر على «فَعَلَ» ودلالته على الأعراض والأمراض كالقَرَع والعَرَج والعَمَى وغير هذا.

١٣ ـ بور:

جاء في كتب العربية: البُور: الأرض التي لم تُـزْرَع، والمَعـامي المجهولة، والأغفال ونحوها.

وفي كتاب النبيّ ﷺ لأُكَيْدِرِ دُومَـةَ: «ولكمَ البُور والمَعـامي وأغفال الأرض».

وهو بالفتح مصدراً، ورُويَ بالضم.

أقول: وهو بهذه الدلالة في لغة الزُرّاع في العراق في عصرنا، ولا نكاد نسمعه في الفصيحة المعاصرة.

١٤ ـ بوو:

قالوا: البَوُّ: الحُوار، وقيل: جلده يُحشىَ تِبْناً أو ثُمـاماً أو حشيشـاً لتعطف عليه الناقة إذا مات ولدها، ثم يُقَرَّب إلى أمّ الفصيل لتَرْأمَه فتَدِرَّ عليه.

أقول: وهو كـذلك في لغـة البدو من العـراقيين، مخصوصـاً بجلد الحوار على هذه الهيئة، والكلمة مما لا تعرف في الفصيح المعاصر.

١٥ ـ بيص:

أقول: كلمة «بَيْصَ» بفتح الباء، جاءت في قولهم: وَقَعوا في حَيْصَ بَيْصَ وكلمة «حَيْص» تعني الحَيْد عن الشيء، وقوله عزّ وجل: ﴿ومالهم من محيص﴾ أي مهرب. وكأن الكلمة أُلِف استعمالها في الحَيْد عن الشرّ خاصة ولزيادة المعنى اتبِعَت في «المثل» بكلمة «بَيْص» التي لا معنى لها تقوية للمعنى، وهذا هو الإتباع كقولهم: تفرّقوا شذَرَ مَذَر، وقولهم: أثبَته بنَصِّه وفَصِّه.

أقول: والعامة في العراق يقولون: ما يحيص ولا يبيص، ويكاد يكون المعنى نفسه، وأنت لا تجد هذا في الفصيحة المعاصرة.

بـاب التـاء

١٦ ــ ترب:

أفادت العربية الفصيحة من التراث مواد كثيرة فقالوا: تَرِب، حقيقةً ومجازاً، ومنه المَتْرَبة، قال تعالى: ﴿يتيماً ذا متربَة﴾.

وسبيل العامية أن جاء فيها «تَرَّبَ» بالتضعيف لما مَسّه التراب وغشيه.

وهذا كله مما لا نجده في الفصيحة المعاصرة.

١٧ ــ ترر:

جاء في العربية: التَّرارة: السِّمَن والبضاضة، والفعل ترَّ مثل فَرِحَ.

أقول: وفي العامية العراقية شيء من هذا قالوا: فلان يترّ أي أنه سمين بضّ، وهذا مما لا نظفر به في الفصيحة المعاصرة.

١٨ ــ تلع:

أقول: من معاني «التَّلْعة» مجرى الماء من أعلى الوادي إلى بطون الأرض.

وهذا هو السائر في عامة العراقيين من أهل القرى والبدو، وهي عندهم بكسر التاء، ولا نكاد نظفر بهذا في الفصيحة المعاصرة.

١٩ ــ تنب:

قالوا: التَّنوّب: شَجَر عن أبي حنيفة.

أقول: وهذا الضرب من الشجر يعرفه أهل البادية في العراق، وهو عندهم التّنوم، بالميم على البدل.

٢٠ ـ توو:

جاء في معجمات العربية: التَّوَّة، أيّ ساعة من الليل والنهار، قال مُلَيح:

ففاضَت دموعي تَـوَّةً ثم لم تفِضْ علَيَّ، وقد كادت لها العينُ تمرَحُ

أقول: وفي عامية أهل العراق أنهم يقولون: ذهب في هذه التوّة، أي في هذه الساعة.

وهذا مما لا نظفر به في العربية المعاصرة.

بـاب الثـاء

٢١ ــ ثبر:

الثُبور: الهلاك والخُسْر والويل.

أقول: وهو بهذه الدلالة في لغة أهل العراق العامية، وقلما نظفر بالكلمة في العربية المعاصرة إلا لدى الخاصة على سبيل التفاصح، وربما يُتشبَّث بها في لغة الشعر.

٢٢ ــ ثرب:

التثريب: هو التبكيت في بعض معانيه.

ومن هذا الفعل: ثَرَّب عليهم أي بكّتهم ونال منهم.

وهذا مما نجده في بعض العامية في العراق، وليس شيء منه في الفصيحة المعاصرة.

٢٣ ــ ثعب:

جاء: ثَعَبَ الماءَ والدم ونحوهما أي فجَّره فانثعَبَ.

أقول: وفي عامية أهل العراق، ولا سيما في الجنوب: انثَعَبَ بهذا المعنى.

بـاب الجيـم

٢٣ ـ جبب:

وجاء في معجمات العربية: امرأة جَبّاء أي رَسْحاء، لا أَلْيَتين لها.

أقول: وفي اللسان الدارج أن «الجَبَّة» بهذا المعنى، في حين خلت العربية الفصيحة المعاصرة من هذه الكلمة.

٢٣ ـ جرش:

و «المِلح الجريش: المجروش، كأنه قد حكّ بعضه بعضاً فَتَفَتَّتَ، والجريش دقيق فيه غِلظ...

أقول: والجَرْش، مصدراً، والجريش صفة من الكلم الدارج في العراق، وليس منه شيء في الفصيحة المعاصرة.

٢٥ ـ جزز:

الجَزَز، بفتحتين: الصوف لم يستعمل بعدما جُزَّ...

والجِزّة، بالكسر: ما جُزّ منه، والجِزّة صوف شاةٍ في السنة.

أقول: هذا كله وغيره في العربية القديمة، وليس شيء منه في إعراب المعربين في عصرنا، غير أن أهل العراق يعرفون في عاميتهم «الجِزّة» هذه كما وردت في المعجمات.

٢٦ ـ جلب:

جاء في معجمات اللغـة «الجَلَب»، بفتحتين، بمعنى ما جُلِبَ من خيل وإبل وتباع وهذا ما لا نعرفه في الفصيحة المعاصرة، ولكننا نعرفه في عاميّة أهل العراق، وعندهم «الجَلَب» لما يُجلَب من البقر والغنم والإبل للذّبح.

٢٧ ـ جَلَحَ:

و «الجلح» بفتحتين: ذهاب الشعر من مُقَدَّم الرأس...

أقول: وهذه الكلمة تندرج في صفات الشعر مما يدخل في «خلق الإنسان».

وهي مما نفقده في العربية المعاصرة، وكذلك كثير مما يدخل في هذه الصفات ولكننا نجده في العـامية العـراقية، وقـد يكون في غيـرها، والكلمة لدى العراقيين بالجيم الأعجمية «چَلَح» فيقال: فلان «أچلح».

٢٨ ـ جلف:

«الجَلْف» مصدر جَلَف الشيء يجلُفُه، بمعنى القَشْر، فيقال: جَلَفَ الجِلد أي قشره من الشعر ونحوه، وهو أشدّ استئصالاً من الجَرْف.

أقول: هذا من الكلم الذي لا يعرفه المعربون في عصرنا في العربية الفصيحة ولكنه متداول معروف في عاميتهم.

٢٩ ـ جوب:

جـاء في كتب اللغة أن «الجَـوْبة» فضـاء أملس سهـل بين أرضين والجَوْبة من الأرض: الدارة، وهي المكان المنجـاب الوطيء من الأرض أقول: وهي كذلك في عامية أهل العراق، ولا نكاد نسمعها في فصيحهم.

٣٠ ـ جوخ:

«الجَوْخان» من المعرَّب القديم، وأصله فارسي لجَرين التمر وهو الموضع الذي يُرْبَد فيه، وهو «الجرين» في الفصيح.

وهذا كله لا نعرفه في العربية المعاصرة، ولكن أهل النخل في جنوبي العراق ولا سيما في البصرة يعرفون «الجَوخان» في عصرنا.

ومن المفيد أن أشير إلى أن طائفة من المفردات الفلاحية في العراق مما هو متداول في عصرنا يرجع إلى أصول آرامية.

❋ ❋ ❋

بـاب الحـاء

٣١ ـ حذف:

أقول من معاني: «الحَذْف» الرمي، وحذفه بالعصا وبالسيف يحذِفُه حَذْفاً بمعنى رماه. وللكلمة خصوصيات دلالية أخرى.

وهذا مما نجده في عامية العراقيين ولكننا لا نظفر به في الفصيحة المعاصرة.

٣٢ ـ حزز:

«الحَزُّ»: الحين والوقت، قال أبو ذؤيب:

حتى إذا حَـزَزَتْ ميـاه رُزونـهِ وبـأي حَـزٍّ مَـلاوةٍ يـتـقـطَّعُ

أي بأيّ حينٍ من الدهر. و «الحَزّة»: الساعة، يقال: أيّ «حَزّة» أتيتَني قضيتُ حقّك.

أقول: وهذا مما نجده في عامية أهل العراق في بعض الحواضر والقرى، ولكننا لا نجده في فصيح العربية المعاصرة.

٣٣ ـ حسن:

«الحِسُّ» بكسر الحاء: وجع يصيب المرأة الحامل عند إحساسها بالولادة.

أقول: وهذا مما يُعرف لدى النساء في عصرنا، وهو غير مألوف في العربية المعاصرة.

و «الحِسُّ» في عامية أهل العراق: الحركة والصوت، وهذا قديم، والعربية المعاصرة تخلو منه.

٣٤ ـ حَصَفَ:

«الحَصَفَ»، بفتحتين: بَثْر صغار، يقيح ولا يعظم، وربّما خرج من مَراق البطن أيام الحرّ.

أقول: وهذا ما يعرفه العراقيون، وهو في عاميتهم، ولا نكاد نسمعه في الفصيحة المعاصرة.

٣٥ ـ حوب:

جاء في فصيح العربية: الحَوْبة والحِيبة بمعنى الهم والحزن...

أقول: والحَوبَة بهذه الدلالة في عامية العراقيين، وليس في الفصيحة المعاصرة.

٣٥ ـ حيص:

انظر: «بيص».

* * *

بـاب الخـاء

٣٦ ـ خبص:

جاء في خصوصيات «الخَبْص» في فصيح العربية معنى الخَلْط.

أقول: والخَبْص والخبيصة في لغة العراقيين الدارجة ما هو مختلط غير واضح على وجهٍ، يقال مثـلاً: في الدار خَبْصـة أو خبيصة، وفـلان مخبوص، أي مرتبك مضطرب.

وليس في الفصيحة المعاصـرة شيء من هذا، ولا نعـرف الخبيص للحلواء التي تخبَص أي تُخلَط.

٣٧ ـ خثي:

جاء في فصيح العربية: خَثَى البقرُ يَخثي خَثْياً: رَمَى بـذي بطنـه، والاسم و «الخِثْي» بالكسر. وهذا معروف في عامية أهل العراق، وليس في الفصيحة المعاصرة.

٣٨ ـ خربش:

أقول: من معاني «الخَرْبشة» إفساد العمل والكتاب، يقال: كتب كتاباً مُخَرْبشاً، وكتاب مُخَرْبَش: مُفْسَد.

وهذا مما نعرفه في الألسن الدارجة ولا نكاد نظفر به في الفصيح في عصرنا.

٣٩ ـ خرص:

جاء في معاني «الخَرْص» مصدراً: حَزْر ما على النخل من الرّطَب تمراً. وأهل «الخَرْص» الحَزْر فيما لا تَسْتَيقنه. . .

أقول: وهذا مما نعرفه في العامية لدى العراقيين، ولا سيما لدى أهل النخل في جنوبي العراق، مع بقاء معنى الحَزْر بوجه عام، وقلما أنت تسمع هذا في فصيح العربية المعاصرة.

٤٠ ـ خرمش:

«الخَرْمشة» كالخَرْبشة تعني إفساد العمل والكتاب.

أقول: و «الخرمشة» تعني هذا في عامية أهل العراق، وكأنها في الأصل عندهم لما تعمله القطّة من الخَمش، وهم يشبهون الخطّ الرديء بخراميش القِطَط. وانظر «خربش»، والباء بدل من الميم.

٤١ ـ خصص:

جاء في المعجمات: الخُصّ، بضم الخاء: بيت من شجر أو قَصَب، ونحو ذلك، جَاء في أخبار الخليل بن أحمد الفراهيدي في قول للنضر بن شُمَيل: «أكل الناس وشربوا بعِلم الخليل وهو في «خُصّ» لا يُشعَر به».

أقول: والخُصّ بهذه الصفة معروف في عامية أهل جنوب العراق، ولا نكاد نحس له وجوداً في الفصيحة المعاصرة.

٤٢ ـ خصص:

جاء في المعجمات: الخَصاص، بفتح الخاء، في خَصاص المُنْخُل والباب والبُرقُع.

أقول: وشيء من هذا في عامية أهل العراق، وعندها أن خصاص البيت ما في داره من الفُرَج والشقوق ونحو ذلك.

وهذا مما ضاع في العربية المعاصرة لعدم وجوده أو لسبب آخر.

٤٣ ـ خشش[١]:

جاء في فصيح العربية: خَشَّ في الشيء يَخُشُّ خَشّاً بمعنى مَضَى ونَفَذَ وخَشَشت في الشيء: دَخَلتُ فيه، قال زهير:

... فخَشَّ بهـا خـلال الفَـدْفَـدِ

والكلمة دارجة عامية في عصرنا.

٤٤ ـ خمم:

جاء في فصيح العربية: خَمَّ اللحم يَخِمّ ويَخُمّ، بـالكسر والضم، خَمّاً وخموماً، وهو خَمٌّ وأَخَمّ بمعنى أَنْتَنَ أو تغيَّرت رائحته...

أقول: وهذا ما يعرفه أهل العراق في اللسان الدارج، وليس شيء منه في العربية الفصيحة المعاصرة.

٤٥ ـ خنس:

جاء في كتب العربية: الخُنوس بمعنى الانقباض والاستخفاء، يقال: خَنَسَ من بين أصحابه بخنِس ويَخْنُس، بالكسر والضم، خُنوساً: انقبض وتأخَّر واستَخْفى...

أقول: وهذا ممـا نفتقده في الفصيـح المعاصـر، ولكننا نجـده في الألسن الدارجة.

٤٦ ـ خنن:

جاء في كتب العربية: الخنين: خروج الصوت من الأنف...

أقول: وهذا من اللغة الدارجة في العراق وفي بلاد أخرى، ولا نكاد نظفر به في الفصيحة المعاصرة، والصفة أخَنّ، والمصدر أيضاً الخَنَن.

---

(١) كان ينبغي أن ندرج هذه المادة قبل «خصص» أي بعد «خرمش» وهو سهو.

٤٧ ـ الخَنَا:

«الخَنَا» من قبيح الكلام، وهو الفُحْش، وخَنَا يَخْنو في منطقه.

أقول: وهذا مما سمعته لدى القرويين في جنوبي العراق، وأنت قلما تظفر به في الفصيحة المعاصرة إلا ما كان من لغة أهل التفاصُح.

٤٨ ـ خوب:

«الخَوبة»: الأرض التي لم تُمطَر بين أرْضَين ممطورتين، وهي «الخَطيطة» أيضاً.

أقول: كذا سمعته في بادية الفرات في العراق، وهو من الكلم الذي لا نعرفه في الفصيحة المعاصرة.

٤٩ ـ خور:

«الخَوْر»: مصب الماء في البحر، كذا ورد في المعجمات، وهو كذلك في عامية أهل البصرة وأهل الخليج العربي.

ولا شيء من ذلك في الفصيحة المعاصرة.

* * *

باب الدال

٥٠ ــ دبر:

قالوا: الدَّبَرة، بالتحريك، قرحة الدابة والبعير، والجمع دبَرَ وأَدبار.

أقول: وهذا مما لا نظفر به في الفصيحة المعاصرة، ولكننا نسمعه في الألسن الدارجة.

٥١ ــ دحس:

من معاني «الدَّحْس» أن تدخل يدك بين جلد الشاة وصِفاتها فتسلخها، والمعنى هنا الإدخال، ومنه أيضاً قولك: دحست الثوبَ في الوعاء بمعنى أدخَلته.

أقول: و «الدَّحْس» بمعنى الإدخال كثير في الألسن الدارجة، ولا نكاد نقوله في العربية الفصيحة المعاصرة.

٥٢ ــ دحو:

جاء في معجمات العربية أن «الدَّحْو» هو البَسْط...

أقول: وهذا نسمعه في الألسن الدارجة فيقال: المرأة تدحي الرغيف في التنّور.

والفعل في الفصيح واوي ويائي.

٥٣ ــ دعس:

أقول: من معاني «الدَّعْس» شدّة الـوَطءِ، ودعَسَت الإبل الـطريق: وَطِئته وَطْأً شديداً.

أقـول: والفعل اليـوم عـاميّ دارج، وليس بشيء منـه في العـربيـة الفصيحة.

٥٤ ــ دغر:

جاء في معجمات العربية أن «الدَّغّر» هو الدَّفْع.

وهـذا هو المسمـوع في عاميـة أهل العـراق، وليس شيء منه في الفصيحة المعاصرة.

٥٥ ــ دغش:

جاء في فصيح العربية: دَغَشَ عليهم بمعنى هجم، وتَداغَشَ القوم: اختلطوا في حَربٍ أو صَخَب.

أقول: وهذا بعض ما نسمعه في لسان أهل العراق الدارج، وليس في الفصيح المعاصر.

٥٦ ــ دفر:

«الدَّفرْ» هو الدَّفعْ. وهذا من الكلم العامي في عصرنا، وليس شيء منه في العربية الفصيحة الحديثة.

٥٧ ــ دلع:

جاء في معجمات العربية: دَلَعَ الرجل لسانَه يَدْلَعـه دَلْعاً فـاندَلَـعَ: أخرجَه.

أقول: وهذا قد ورد في عامية أهل العراق، وقد تجاوزوا في «الدَّلْع» اللسان إلى الثوب فيقولون: دَلَع ثوبه، أي فتح زِيق الثوب.

ويقولون: دَلَع الباب أي فَتَحه على مصرَاعيه.

وليس شيء من هذا كله في الفصيحة المعاصرة.

٥٨ ــ دمن:

و «الدَّمْن»: ما تَلَبَّد من السِّرْقين وصار كِرْساً على وجه الأرض، والدِّمْنة: الموضع الذي يلتبد فيه السِّرْقين.

أقول: وهذا معروف في عامية أهل العراق، ولا سيما لدى القرويين منهم، ولكننا لا نعرفه في الفصيح المتداوَل.

٥٩ ــ ديد:

أقول: هو «الدَّدُ» في العربية الفصيحة. بمعنى اللهو واللعب، وهو الدَّيْد بمعنى العادة والدأب، وهي الدَّيدان عن ابن جنيّ.

أقول: والدَّيدان هذا معروف في عامية أهل العراق، بكسر الدال... بمعنى الدأب والعادة، ولكنه غير معروف في الفصيحة المعاصرة إلا في صيغة الدَّيْدَن.

*

باب الذال

٦٠ ــ ذنب:

جاء في معجمات العربية أن ذُنابة الوادي: الموضع الذي ينتهي إليه سيله.

أقول: و «الذنايب» جمعاً بهذا المعنى في عامية أهل العراق، ولا نعرفها في الفصيحة المعاصرة.

* *

بـاب الـراء

٦١ ـ ربب:

قالوا: رَبَبْتُ الأمرَ أرُبُّه رَبّاً ورَبابةً: أصلَحْته...

أقول: ومثل هذا ما وجدته في بعض أعاريب العراقيين من أهل القرى.

وليس شيء من هذا في العربية المعاصرة.

٦٢ ـ رثع:

جاء في معجمات العربية أن «الرَّثِع» هو الشَّرَه الدنيء...

أقول: وهذا ما يُتداوَل في لغة العامة في العراق، وهو ما نُسِي في الفصيحة المعاصرة.

٦٣ ـ رجب:

و «التَرجيب» هو التعظيم، وفلان مُرَجَّب، أي عظيم محترم.

أقول: وقد سمعت هذا في البادية الشمالية في العراق، وهو مما هُجر في الفصيحة المعاصرة.

٦٤ ـ رعس:

وجاء في معجمات العربية الرَّعْس والاتعاس بمعنى الانتفاض.

أقول: وهذا ما بقي في عامية العراقيين بالصاد على البَدَل.

وليس شيء منه في العربية المعاصرة.

٦٥ ـ ركب:

ورُكّاب السفنية هم جماعة من يسافر فيها.

أقول: وركّاب السيارة أو الطائرة من يستعملها من المسافرين.

وكأنّ «ركّاب» هذه، وهي جمع راكب، قد ابتعدت عن الحاجة إليها في العربية المعاصرة.

ويندرج في هذه المادة «الراكوب أو الراكوبة» للفسيلة التي تنبت في جذع النخلة، فكأنها تركب الجذع.

وهذا شيء لا نعرفه الآن إلا في لغة أهل النخل، وليس شيء منه في العربية المعاصرة.

٦٦ ـ رهم:

الرِّهمة، بالكسر: المطر الضعيف الدائم القَطْر، والجمع رهَم ورِهام.

أقول: وهذا مما يعرفه القرويون في العراق، ولا نكاد نظفر به في الفصيحة المعاصرة.

٦٧ ـ روب:

و «الرَّوْب»: اللبن الرائب، والفعل رابَ اللبن يروب رَوباً ورؤوباً. أي: خَثُر فهو رائب، والرّوب هو اللبن الرائب.

أقول: وهذا «الرَّوب» لا نجده في الفصيحة المعاصرة، ولكننا نعرفه في اللسان الدارج.

٦٧ ــ ريع:

الرَّيْع هو النَّماء والزيادة...

أقول: هذه كلمة قديمة ما زالت في استعمال أهل القرى في العراق يخصون بها الزرع ووفرة الماء، ومنها قالوا: رَيّع الزَرْعُ بمعنى نما، وريَّع الرضيعُ بمعنى كبر ونما.

وهذا كله ما لا نجده في فصيح العربية اليوم.

بـاب الـزاي

٦٨ ــ زبَر:

و «زَبَرَ الرجلَ يزبُرُه زَبْراً»: انتهره...

أقول: وهذا مما يسمع ويُتداول في اللسان الدارج في العراق، في حين خلت الفصيحة المعاصرة من هذا.

٦٩ ــ زحر:

«الزَّحير» والزُّحار: إخراج الصوت أو النَّفَس بأنينٍ عند عمل أو شدّة، زَحَرَ يَزْحَرَ ويزحِر...

أقول: والفعل والمصدر من الكلم العامي في لغة أهل العراق، ولا نكاد نظفر بهذا في الفصيحة المعاصرة.

٧٠ ــ زحلف:

«الزُحلوفة» كالزُحلوقة، وقد تَزَحلَفَ، والزُحلوفة: آثار تزلُّج الصبيان من فوق التَلّ إلى أسفله.

أقـول: وهذا من كـلام العامـة في عصرنـا، وقـد خلت الفصيحـة المعاصرة منه.

٧١ ــ زهف:

و «أزهَفَ الرجل إزهافاً»: أخبَرَ القوم من أمره بأمر، لا يدرون أحقٌّ هو أم باطل...

أقول: في قريب من هذا يجري الاستعمال الدارج، في حين خلت الفصيحة الحديثة منه.

٧٢ ــ زهم:

«الزُّهومة»: ريح لحم سمين مُنْتِن...

أقول: ومثل هذا في عامية أهل العراق، وليس في الفصيحة شيء منه.

٧٣ ــ زهلق:

و «زَهْلَقَ» الشيء: ملَّسَه...

أقول: وهذا معروف متداول في العامي الدارج في العراق، يقال مثلاً في الفاكهة والخضراوات أنها مزهلقة، وهو علامة الفساد. وليس في العربية الفصيحة المعاصرة هذا.

بـاب السيـن

٧٤ ـ سبت:

و «سَبَت» يَسْبُت سَبْتاً: استراح وسَكَن.

أقول: وهذا متداول في العامية الدارجة وليس كذلك في الفصيحة المعاصرة.

٧٥ ـ سبد:

و «السَّبَنـدَى»: الجريء، وكـل جـريء سَبَنْـدَى وسَبَنْتَى، وقـالـوا: السَبَنتى هو النمر.

أقول: وهذا كلم قديم، وليس شيء منه في العربية المعاصرة، إلا أنه في عامية أهل العـراق: «سيبَندي» للمحتـال الخدّاع الـذكي، ويزعم المعنيّون بالمعرَّب أنه معرَّب فارسي، وليس من دليل.

٧٦ ـ سجر:

و «السَّجْر»: إيقادك في التنّور تسجُره بالوَقود سَجْراً. . .

أقول: وهذا معروف في عامية العراقيين، ومنهم من يقول: الشَجْر، بالشين على البدل، في حين يستعمل آخرون الكلمة بالسين كما وردت في العربية القديمة. وليس هذا له في الفصيحة المعاصرة.

٧٧ ـ سطم:

و «سَطَمَ» الباب: ردَّه كسَدَمَه.

أقول: وهذا معروف في عامية أهل القرى في العراق، وليس شيء منه في الفصيحة المعاصرة.

٧٨ ـ سفف:

و «سَفَفْتُ» الخوص أسُفُّه سَفّاً أي نسجته بعضه في بعض.

أقول: وهذا من الكلم العامي وليس في الفصيح المعاصر شيء منه.

٧٩ ـ سكر:

و «سَكَرَ» النهرَ يسكُرُه سَكْراً: سدَّ فاه، وكل شَقٍ سُدَّ فقد سُكِرَ والسِّكْرُ: ما سُدَّ به.

أقول: وهذا كله في عامية أهل القرى في العراق، وليس شيء منه في الفصيحة المعاصرة.

٨٠ ـ سلب:

و «السَّلَب»: هو ما سُلِبَ منك من متاع ونحوه.

أقول: وهذا هو المتداول في اللسان الدارج، وليس شيء منه في الفصيحة المعاصرة.

٨١ ـ سلت:

و «سَلَتَ» المِعَى يسلُته ويسلِته سلتاً: أخرجه بيده.

أقول: والفعل عاميّ دارج، وليس شيء من هذا في فصيح العربية في عصرنا.

٨٢ ـ سوف:

و «الساف»: صف الحجارة في الجدار...

أقول: وهذا سائر دارج لا نعرفه في الفصيحة المعاصرة.

٨٣ ــ سيب:

و «سَيَّب» الشيء: تَرَكه...

أقول: وهذا في اللغة الدارجة، وتكاد العربية المعاصرة تخلو منه في إعراب المعربين.

بـاب الشيـن

٨٤ ـ شخب:

و «الشَّخْب» و «الشُّخْب»: مـا خـرج من الضَّـرْع من اللبن إذا احتُلِبَ.

أقول: وهذا ما زال باقياً في الاستعمال الدارج، وليس شيء منه في الفصيحة المعاصرة.

٨٥ ـ شرم:

و «الشَّرْم»: قطع الأرنبة وثَفَر الناقة، ورجل أشْرَم، ومشـروم الأنف ويقال للجلد إذا تشقّق وتمزَّق: قد تشَرَّم.

أقـول: وهذا كله معـروف في العاميـة، وغير مستعمـل متداول في الفصيح في عصرنا.

٨٦ ـ شطب:

و «الشَّطْب» من الرجال والخيل: الـطويل الحَسَن الخَلْق، وجـارية شَطْبة.

أقول: وهذا من الكلم المعروف في العامية، ولكنك قلّما تظفر به في الفصيحة المعاصرة.

٨٧ ـ شعف:

و «شَعَفة» الرجل: أعلى شعره.

أقول: وهذه عامية صريحة في عصرنا، وليس شيء منها في الفصيحة المعاصرة.

٨٨ ـ شكو:

و «الشَّكْوة»: جلد الرضيع، وهو للَّبَن، وهو السِّقاء، وهو مَسْك السَّخلة.

أقول: والشكوة في عصرنا عامية، ولا تقال في الفصيحة المعاصرة.

٨٩ ـ شمخر:

ورجل «شِمَّخْر» إذا كان متكبراً.

أقول: وفي عامية أهل العراق: الشَّمْخَرة بمعنى التكبرُّ والزَّهو. وليس لنا شيء منها في العربية المعاصرة.

بـاب الصـاد

٩٠ ــ صكك:

و «الصَّكُّ»: الضَّرب الشديد، والصكَك: اضطراب الركبتين. . .

أقول: ومن هذا شيء في العامية في المواطن البدوية. وليس شيء منه في العربية الفصيحة.

٩١ ــ صوي:

و «الصاوي» من النخل: اليابس، وقد صَـوِيَت النخلة إذا عطِشَت وضَمَرت ويَبِسَت.

أقول: وهذا من لغة الفلاحين في العراق، ولا نكاد نـظفر بـه في الفصيحة المعاصرة.

* * *

باب الضاد

٩٢ ـ ضبر:

و «الضَّبْر»: الشَّدُّ، ومنه الإضبارة وهي الحزمة من الصحف.

أقول: والضبْر كلمة دارجة، وقلما نظفر بها في الفصيحة المعاصرة.

٩٣ ـ ضنء:

الضَّنْء والضِّنْء، بالفتح والكسر: الوَلَد.

أقول: وفي عامية العراق في الجهات الوسطى كلمة «الضنىَ» تعني الولد مفرداً وجمعاً، وليس شيء من ذلك في الفصيحة المعاصرة.

* * *

بـاب الطـاء

٩٤ ــ طحر:

و «الطَّحْر» والطُّحار: النَّفَس العالي، وهو مثل الزحير.

أقـول: وهذا من الكلم الـدارج في عصـرنـا وليس شيء منـه في الفصيحة المعاصرة.

٩٥ ــ طرش:

«الطَّرَش»: الصَّمَم.

أقول: والطرَش من الكلم العاميّ، ولا نجدها في فصيح العربية في عصرنا.

٩٦ ــ طرق:

و «طِراق» النعل: ما أُطبِقَت عليه فغُرِزَت به.

أقـول: و «الطِراق» هـذا من الكلم الدارج في عصـرنا، ولا نكـاد نستعمل هذه الكلمة.

٩٧ ــ طفَر:

و «الطَّفر» هو الوَثْب.

أقول: الطفر في عصرنا انصرفت إلى العـامية وليس لهـا مكان في العربية المعاصرة.

٩٨ ــ طلي:

و «الطَّلِي»: هو الحَمَل الصغير.

أقول: وهو معروف في عاميّات عصرنا، وقلّما نظفر به في الفصيحة المعاصرة.

* * *

باب العين

٩٩ ـ عبط:

و «عَبَط» الذبيحة يعْبِطُها عَبْـطاً واعتبَطَهـا: نحرهـا من غير داءٍ ولا كسر.

أقول: ما زال «العَبْط» بهذه الدلالة في اللغات العامية، ولا نكـاد نظفر به في الفصيحة المعاصرة.

١٠٠ ـ عتر:

ورجل «مُعَتَّر» غليظ كثير اللحم، والعتّار: الرجل الشجاع.

أقول: ما زال «عِتْر» في عامية أهل العراق يفيد ما يفيده «المُعَتّر» في اللغة الفصيحة، إلاّ أن هـذا كله في عصرنـا عاميّ وليس شيء منـه في الفصيحة المعاصرة.

١٠١ ـ عكب:

و «العَكَب»، بفتحتين: تداني أصابع الرجل بعضها إلى بعض. . .

أقول: وما زال هذا في لغة العامة، وليس شيء منـه في الفصيحة المعاصرة.

١٠٢ ـ عكرش:

و «العِكْرِش»: نبات شِبْه الثِّيل خَشِن.

أقول: وهو معروف في عصرنـا، وقلما نجـده في كتب النبات في عصرنا.

١٠٣ ـ عكش:

و «عكِش» النبات والشعر، وتَعَكَّش: كثر والتفَّ...

أقول: وهذا ما زال في عامية أهل العراق، ومن صفات الشعر أكَش أي ملتف، ولكننا لا نظفر بهذا في الفصيحة المعاصرة.

١٠٤ ـ عمت:

و «العميتة»: ما غُزل من الصوف...

أقول: هي في عصرنا عامية، لا نعرفها في الفصيحة المعاصرة.

١٠٥ ـ عمم:

و «العمومة» جمع عَمّ...

أقـول: وهذا جمـع شائـع في عم في اللغة الـدارجـة، وليس في الفصيحة المعاصرة، ونظيره الخؤولة والأبُوّة والأخوّة، والسهولة والخيـوطة ونحو ذلك.

باب الغين

١٠٦ ـ غرنق:

و «الغُرنوق» والغِرْنَوق والغِرْنَيْق، والغِرنيق و. . . كلّه الأبيض الشابّ الناعم الجميل.

أقول: وهو كذلك في العاميّة الدارجة، ولكننا لا نظفر به في الفصيحة المعاصرة.

١٠٧ ـ غضر:

و «الغَضار»: الصُّحفة المتخذة من الغَضارة وهي الطين الحُرّ.

أقول: و «الغَضارة» بمعنى الصُّحفة ما زالت في استعمال أهل القرى في العراق، ولكننا لا نعرفها في الفصيحة المعاصرة.

❋ ❋ ❋

باب الفاء

١٠٨ ــ فحج:

و «الفَحَج»: تباعد ما بين الساقين في الإنسان والدابة، وقيل تباعد ما بين الرجلين، وقيل. . .

أقول: والفَحَجَ، على أنه تباعد ما بين الساقين في الإنسان معروف في عامية أهل العراق، وقد يعسر عليك أن تقف عليه في العربية المعاصرة.

١٠٩ ــ فشخ:

و «الفَشْخ» هو اللَّطْم والصفع.

أقول: وهو كذلك في عامية أهل العراق مع خصوصية أن الصَّفْع يصحبه دم، ولكننا لا نجد هذا في الفصيحة المعاصرة.

١١٠ ــ فلج:

و «الفَلَج»، بفتحتين: هو الفَحَج في الساقين، أو تباعد القدَمين.

أقول: وهذا معروف في العامية وغير معروف في الفصيحة المعاصرة.

١١١ ــ فلع:

و «فَلَعَ» الشيء: شقّه. . .

أقول: وهذا فاشٍ في الألسن الدارجة، ولا نكاد نقف عليه في الفصيحة المعاصرة.

١١٢ ـ فوع:

و «فَوْعة» الطِّيب، وفَوْغته: طيب رائحته تطير إلى خياشيمك.

أقول: وفي عامية أهل العراق هذه الكلمة، فيقال: فاع الطيب، ولكننا لا نجد هذا في العربية المعاصرة.

١١٣ ـ فيص:

جاء في حديث رسول الله ﷺ: كان يقول في مرضه: «الصلاة وما ملَكَتْ أيمانكم»، فجعل يتكلم وما يُفيض بها لسانه، أي ما يبين.

أقول: وكأن الفعل «يفيص» يقترن بالنفي. ومثل هذا نجده في عامية أهل العراق، يقولون: فلان يحيص ولا يفيص. وهذا الفعل مما لا نجد فيه العربية المعاصرة.

*

*

*

باب القاف

١١٤ ـ قلب:

و «القليب»: البئر قبل أن تُطْوَى.

أقول: والقليب في معجم البدو في العراق، وهم يقولون: «جليب» على البدل وبكسر الجيم. والقليب من الكلم الذي لا نعرفه في الفصيحة المعاصرة.

١١٥ ـ قرش:

و «القَرْش» هو الكَسْب.

أقول: ومثل هذا شيء في عامية البغداديين، وهو ما لا نجـده في الفصيحة المعاصرة.

١١٦ ـ قرص:

و «قرصت» المرأة العجين، تقرُصُه قَرْصاً أي قطعته قـرصة قـرصة والقُرْصة أو القُرصْ من الخبز معروف.

أقول: وهذا مما بقي في العربية العامية، ولكننا لا نظفر به في فصيح العربية.

١١٧ ـ قفخ:

و «القفخ» هو الصَّفْع.

أقول: وهذا من عامية العراقيين، ولا يوجد في الفصيحة المعاصرة.

باب الكاف

١١٨ ـ كفت:

و «الكفْت»: صرفُك الشيء عن وجهه...

أقول: وفي استعمال العراقيين لهذا اللفظ، بالجيم الفارسية، ما يشر بهذا المعنى، وذلك في عاميتهم السائرة، على أننا لا نجـد في الفصيح المعاصر شيئاً من ذلك.

*

*

*

باب اللام

١١٩ ـ لثق:

و «اللَّثِق» بفتح فكسر: اللَّزج من الطين ونحوه...

أقول: والعامة في العراق تصرف هذه الدلالة للرجل الذي يحمل نفسه ثقيلاً لاصقاً بغيره الذي لا يرغب فيه، وهذا شيء لا نجده في الفصيحة المعاصرة.

١٢٠ ـ لصف:

قالوا: «لَصَفَ» لونه يَلْصِف لصْفاً ولصوفاً: بَرَقَ وَتَلألأ، وأنشَدَ لابن الرقاع:

مُجَلِّحة من بنات النعا م، بيضاء واضحة تلصِفُ

أقول: إن هذا الفعل في عصرنا من مادة اللغة العامية، وهو شيء لا نظفر به في العربية المعاصرة.

١٢١ ـ لفق:

وجاء في معجمات العربية أن الفعل «لَفَقَ» يستعمل في الثوب تلفِقُه، وهو أن تَضُمّ شقّة إلى أخرى فتخيطها...

أقول: والعامة صرفت هذا الفعل إلى كل تابع من الناس يلحق نفسه بغيره وليس منه ولا يقال هذا إلا عند النبز، ويكاد هذا يقترب من «لثق» الذي تقدم.

بـاب الميـم

١٢٢ ـ مرد:

و «مَرَد» الشيء: ليَّنه، ومَرَد الخبز والتمر في الماء يمـرُدُ مَرْداً أي ماثه.

أقول: وهذا كثير في الألسن الدارجة، ولا يكاد يُرَى في الفصيحة المعاصرة.

١٢٣ ـ مرق:

و «مَرَق» السهم من الرَّميّة يمرُق مَرْقاً ومـروقاً: خَـرَجَ من الجانب الآخر.

و «المُروق»: الخروج من شيءٍ من غير مدخله وكان ذلك بسرعة.

أقول: وقد تجاوز أهل جنوبي العراق في استعمال هذا الفعل فقالوا: مَرَق الرجل أي مَرّ وخرج. وهذا الفعـل لا نكاد نـظفر بـه في الفصيحة المعاصرة.

١٢٤ ـ معر:

و «المَعَر»: سقوط الشعر، ومَعِرت الناصية مَعَراً، وهي مَعْراء: سقط شعرها.

أقول: والعامة في العراق قصَـرَت «الأمعَر» صفـة للذئب، وكذلـك «الأملط»، ولا نكاد نجد الصفة بهذا القَصْر في العربية المتداولة.

١٢٥ ـ ملح:

و «الأملَح»: الأبلق بسـوادٍ وبياض، والمُمْلحة من الألـوان: بيـاض تشوبه شَعَرات سود.

أقول: ولا نكاد نظفر بهذا في ألفاظ الألوان في العربية المعاصرة، ولكنه معروف في عامية أهل العراق.

١٢٦ ـ ملط:

انظر «معر».

* * *

بـاب النـون

١٢٧ ـ نتش:

و «النتش»: النتْف للّحم وغيـره، والمِنتـاش: المنقـاش، والنَّتْش: إخراج الشوك بالمنتاش، ونتَشتُ الشيء بالمنتاش أي استخرجته.

أقول: وهذا شيء لا نقف عليه في الفصيحة المعاصرة، ولكنه كثير في الألسن الدارجة.

١٢٨ ـ نشِش:

و «نَشَّ» الماء يَنِشّ نَشّاً ونشيشاً: صوَّت عند الغليان أو الصَّبّ أقول: وهذا من المصادر الدالة على الصوت، ولا نكاد نظفر به إلا في العامية الدارجة.

١٢٩ ـ نغف:

و «النَّغَف»، بفتحتين: ما يُخرجه الإنسان من أنفه من مخاط يابس.

أقـول: وهذا من المنسي المهجـور في العربيـة المعاصـرة، ولكنه معروف في عامية أهل القرى في العراق.

١٣٠ ـ نقز:

و «النَّقْز» و «النَّقَزانِ» هو الوَثْب والقفز.

أقول: وهذا نظير «الـطَفْر» الـذي ابتعد عن المعـربون في عصـرنا لشيوعه في العامية.

بـاب الهـاء

١٣١ ــ هوش:

و «هاشت» الإبل: نفرت، والهَوْشة من ذلك.

أقول: وهذا مما يردّد العامة في نفرة الناس واضطرابهم، ولا نكاد نرى شيئاً منه في الفصيحة المعاصرة.

بـاب الـواو

١٣٢ ــ وذر:

و «الـوَذْرة»، بالتسكين، من اللحم: القـطعة الصغيـرة مثل الفِـدرة والبَضْعة.

أقول: و «الوذرة» في كلام العامة بكسر الواو بهذا المعنى وهي من ألفاظهم التي لا نظفر بها في القصيحة المعاصرة.

١٣٣ ــ وغر:

و «الوَغْرة»: شدّة توقُّد الحَرّ.

خاتمة :

أقول: هذا موجز ما انتهى إليه حفظي واستقرائي وبحثي في لغات العراقيين العامية، وأنا واثق أن لدى أهل الأمصار الأخرى شيئاً نظير هذا.

* * *

الفصل الثالث
قصة العامية في العراق: تاريخها وواقعها

ليس كلامي على العامية ضرباً من التعصب لها والاهتمام بها، ولست أرى أنها وجه من وجوه الإعراب عن المعاني التي نُمتَحن بها في عصرنا هذا، ولكني أبحث فيها على أنها ظاهرة لغوية لا بد أن نقف عليها وقفة خاصة. ثم إن فينا حاجة إلى أن نعود إليها لأنها تحمل الضيم على فصيحتنا التي نجتهد أن تكون لغة العصر ولغة الحضارة الجديدة وأن نعيد لها شيئاً مما كان لها من المكانة والقوة والسعة طوال عصور مضت. لقد كانت لغة الدنيا المتحضرة، لغة العربي وغيره مسلماً كان أم غير مسلم.

ثم لا بد من العود إلى العامية فماذا أقول؟.

لقد كانت لغات عامية طوال عصور عدة ومن غير شك أن العصور العباسية قد شهدت هذه الأنماط العامية، وأن كُتب الجاحظ لدليل وشاهد على أن البصرة والكوفة وأمصاراً أخرى كانت تصرّف أمورها في عاميات تقرب وتبعد عن اللغة الفصيحة. لقد ذكر الجاحظ أن يزيد بن مُفرّغ الحميري الشاعر وقد اقتيد في شوارع البصرة وهو على حمار لأنه نال من زياد بن سُميّة. كان الأطفال يهزأون به مرددين كلاماً فارسياً وهو يجيبهم بالفارسية مُعرّضاً بأم زياد سميّة واصفاً إياها بـ «روسبى» أي البغيّ.

وحسبك أن تعرف أن للفارسية تأثيراً كبيراً في لغة البصرة، فقد شاع في أعلامها البلدانية طريقة في التسمية جرت على النحو الفارسي؛ وهي الأعلام المختومة بألف ونون مثل: زُبَيران وهو موضع منسوب إلى الزبير، ومنه عُثمانان وطَلْحتان وزَيْدان ومُهَلَّبان وقُتَيْبان وحَمْرانان وغيرها كثير أيضاً. وهي منسوبة إلى عثمان وطلحة وزيد والمهلَّب وغيرهم. ولقد استوفاه البلاذريّ في «فتوح البلدان» وعنه أخذها ياقوت في «معجمه».

وما زال شيء من هذا في أيامنا هذه يحمل هذا الوسم الأعجمي في أعلامهم، فنحن نجد اليوم:

يوسفان و «جتبيان» بجيم أعجمية أو كتيبان بالكاف، ومن غير شك أنها قُتَيبان القديمة التي مرّ ذكرها، وعُوَّيسيان، ولا أدري إلى من نسب هذا المكان ومثله «مهيجران» بإمالة الياء، وأكبر الظن أنه «مهاجران» منسوب إلى «مهاجر» وهو أحد من الناس نجهله.

وقد عرَّض الجاحظ في «البيان» بلغة الكوفة وأشار إلى عاميتها وشيوع الدخيل الأعجميّ فيها فقال: إنهم يسمون السوق «وازار» والمرَبَّعة «جهارسو» والقثاء «خيار» وغير هذا جد كثير.

ومن المفيد أن أشير إلى أن لغة العراق في البصرة والكوفة وفي غيرهما من الأمصار قد داخلتها الألفاظ الأعجمية وشاع فيها اللحن، كما حدثتنا المصادر. ولا بد لي من أن أتبين أن ما يتصل بالحِرَف والمهن من اللغة المحكية كان عامراً بالدخيبل الأعجمي، ومن ذلك ألفاظ الملاحة والفلاحة وسائر الصناعات الأخرى.

---

(١) انظر التعقيبات على البحث في محاضر جلسات الدورة الرابعة والأربعين (جلسة السبت ٩ من ربيع الأخر سنة ١٣٩٨ هـ - ١٨ مارس سنة ١٩٧٨ م.

ألا ترى أن العراقي البصريّ إلى يومنا هذا يستعمل البَرْبَنْد وقد حولها إلى «فَرْوند» وهي الأداة المستخدمة في صعود النخل، وهي من غير شك فارسية محضة. وأن الكوفيّ وغيره من سكان المناطق الوسطى كبغداد مثلاً يستعملون التَبَلْيا للآلة نفسها وقد ذكرهما الجاحظ «في البخلاء».

والتبليا آرامية محضة، ومثله «السُكّان» لسكان السفينة و «النوخذاه» للعامل في السفينة «والمردي» الذي يدفع به الملاح سفينته وكذلك «شكاره» لقطعة صغيرة من الأرض تزرع فتعود غلتها إلى أحد من الناس يخصونه بها كما يفعل المزارعون؛ أي يعطونها إلى العامل في المضخة أو لرجل الدين الذي يساكنهم أو لغيرهما من خاصّتهم. وهي كلمة آرامية استعملها العرب وما زالوا يستعملونها في العراق.

ولولا أني أخشى الإطالة لأتيت بنماذج كثيرة من هذه البقايا الآرامية التي ما زالت حيَّة في العامية الدارجة في كثير من حواضر العراق ولا سيما مدينة الموصل الشهيرة.

ومثل هذا «التالة» أي النخلة الصغيرة وقد استعملها الزمخشري في «الأساس» في حشو مادة من المواد. ومثل هذا «الكش» أي غبار الطلع ولم ترد في المعجمات، غير أن صاحب «لسان العرب» قد ذكرها في حشو مادة «حرق» وحرق النخلة ألقى الكشّ فيها.

وأظن أن الكلمة الأعجمية كانت بالجيم على نطق عامة المصريين، وهي الكاف الثقيلة التي تشبه القاف كما جاء في كتب اللغة. وهذا يدل على أن هذا الصوت الذي خلت منه العربية الفصيحة وثبت في اللغات السامية كان عامراً في العربية العامية.

ولا أريد أن أقصر العامية العراقية في بدايتها وشيوعها على العصور العباسية ولعلها ورثت شيئاً من ذلك في عصور سلفت. ولعلي أستطيع أن

أقول: إن شيوع اللحن كان علامة بارزة في هذه العاميات التي عمّت بلاد العرب وتجاوزت ذلك مشرقاً ومغرباً.

إذا لم يكن شيء من هذا فلِمَ كانت عنايتهم بلغات الأمصار والأقاليم والقبائل؟.

ولمَ أخذوا اللغة والشعر عن قبائل بعينها ولم يأخذوا ذلك عن قبائل معروفة لم يتوسموا فيها الفصاحة لخلاط أهلها بأقوام ليسوا عرباً، وقد حمل ذلك الضيم على عربيتهم. ألم يتجنبوا الأخذ عن قبائل الشحر وتغلب وطائفة من قبائل اليمن مثلاً؟.

ثم لِمَ وَسَموا طائفة من القراءات بالشواذ وأنهم منعوا بل حرّموا أن يقرأ بقراءة الأعمش وغيره من أصحاب القراءات النادرة. أليس هذا لأن هذه الأنماط اللغوية قد حفلت بخصائص تتصل بالأصوات والأبنية مما لا تعرفه العربية الفصيحة التي ارتضوها أن تكون المثل المفضل والنموذج الذي ينبغي أن يسود ويشيع.

أقول: من أجل هذا عُني المتقدمون بتسجيل النماذج اللغوية والأدبية التي وسمت بخصائص من لغة العامة. وإني لأظن أن المفضل بن سلمة حين عقد في كتابه الفاخر باباً لـ «ما جرى على ألسنة العامة من أمثال» كان يرمي إلى هذا، وأظن أن هذا الذي جرى على ألسنتهم من المثل لا يخلو من سمات تتصل باللحن، ومن أخرى غيرها تتصف بالخروج عن الأبنية المعروفة في العربية.

ثم لننظر إلى باب الإدغام في كتاب سيبويه لتتبيّن أنه ضبط من صفات الأصوات وأحوالها ما نستطيع أن نزيد في القدر الذي نعرفه في التسعة والعشرين حرفاً. ألم تكن طرائق النطق لهذه الأصوات التي نَيَّفت على الأربعين شيئاً مما كان يباشره المعربون؟.

ألم يُشِر ابن جني في «المحتسب» أن الحسن البصري قد قرأ «تَنَزَّل الشياطون»؟.

إن النماذج التي أثبتها الجاحظ في كتبه عن هذا الموضوع لدليل على شيوع ألوان من الإعراب العاميّ في حواضر عدة في العراق وغيره. لقد ذكر أن اللحن تجاوز الحواضر حتى كان شيء منه قد عرض للغة الأعراب، وهم الذين أخذت عنهم العربية. لقد أشار إلى أن أحداً قال: «عصاتي» وهو يريد «عصايَ» وفي غير شك أن هذه الطريقة العامية هي التي بقيت في كثير من لهجاتنا المعاصرة.

ولقد بقيت العامية إلى جوار الفصيحة في العراق طوال العصور العباسية، وهكذا كان الأمر إلى نهاية عصر الدولة العثمانية. وفي هذه الحقبة المتأخرة لم يبق للفصيحة من القدر ما كان لها طوال العصور المتلاحقة بسبب من شيوع الأمية والجهل وتضاؤل التعليم، فقد اقتصر على طائفة قليلة فعفت دور العلم وقلت المدارس، وانتهى الناس إلى أميّة شاملة.

ثم جاء العصر الحديث ونظر أهل العلم في حال العربية الفصيحة، وكيف لها أن تواجه العصر الحديث بعلومه وفنونه. ولقد واجهوا مشكلة العامية وشَقُوا بها كما شقي أسلاف لهم من قبل؛ ولقد انصرف اهتمامهم بهذه المشكلة إلى أن ينظروا في العامية ويكتبوا في موادها وتاريخها اعتقاداً منهم أن ذلك شيء تحملهم عليه عنايتهم بـ «الفصيحة». ولا أودّ أن أقول «الفصحى» وأنّى لنا هذه الفصحى ونحن نلوك عامية مرذولة؟ لقد وصل الأمر ـ أيها السادة الأكرمون ـ إلى أن خطيب المسجد الجامع في خطبة صلاة الجمعة يستعمل في خطبته ويقول:

«إن العناصر الكفؤة (كذا) على مستوى المسؤولية». وقوله: «إنهم

ينطلقون من أرضية صلبة» ومثل هذا كثير غيره. ولست أجنّبه اللحن الذي يعرض لكثير من ألفاظه. لقد أشار ابن جبير الرحالة المعروف إلى شيء من ذلك منذ قرون عدّة.

أعود إلى العامية العراقية المعاصرة فأقول: إن جمهرة من أهل العلم في عصرنا قد كتبوا فيها وليس ذلك تعصباً لها ودفاعاً عنها ولكنه اجتهاد منهم في أن ذلك يخدم الفصيحة التي هي الغاية المرجوة. لقد كان بين هؤلاء فلان وفلان من صفوة الأسرة الآلوسية الشهيرة، وكان بين هؤلاء الزهاوي والشبيبي والرصافي وهم جلة العلماء والشعراء. وقد سبق هؤلاء الرجال الشيخ الطالفاني والسيد مصطفى الخليل الكرخي والسيد عبدالطيف ثنيّان والأدب أنستاس ماري الكرملي وغيرهم. ولا نشك في أن هذه الصفوة من العلماء قد شاركوا مشاركة جادة في خدمة العربية الفصيحة قبل اهتمامهم بهذه العامية.

لقد تناول هؤلاء ألوان العامية بالبحث والدرس من شعر ومثل وأساليب وألفاظ. ولقد بلغ من عناية أحدهم وهو عبداللطيف ثنيّان أن صنع معجماً للألفاظ العامية البغدادية. ثم خلف من بعد هؤلاء نفر استأنفوا العمل منهم: الشيخ جلال الحنفي وعبدالرحمٰن التكريتي وغيرهما.

ونستطيع أن نلمح في العامية العراقية ثلاثة أنماط هي:

النمط الجنوبي والنمط الأوسط والنمط الشمالي. وفي كل واحد من هذه نتبين أنه يشتمل على لون حضري وهو ما يعرف به أهل الحواضر، ونمط ريفي قروي. ولا نغفل أن يكون في النمط الجنوبي لون بدويٌّ يَتبيَّن في البادية الجنوبية التي هي لِصق بمشارف القرى والأرياف الجنوبية. ومثل هذا واضح كل الوضوح في النمط الأوسط والنمط الشمالي. ولعل من العسير علينا أن نصل إلى خرائط واضحة في الأطلس اللغوي الذي يبرز

هذا التوزيع الجغرافي؛ وذلك لتداخل هذه المواد من حيث الخصائص اللغوية أصواتاً ودلالات.

ومن المفيد أن أشير إلى أن لغة بغداد العامية شيء لا يمكن وصفه وضبطه لأن هذه المدينة الواسعة قد التقت فيها عناصر شتى من حضريين من الحواضر العراقية المختلفة وقرويين وبدو وعناصر أخرى غير عربية. ولا أريد أن أغفل ذكر الدراسة التي صنعها المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون ونشرها بالفرنسية منذ أكثر من خمسين سنة ثم ترجمها قبل أكثر من عشر سنوات الدكتور أكرم فاضل العراقي، وهذه الدراسة قديمة قد تكون غير وافية بالمطالب العلمية في عصرنا هذا. إنها تقصر في كثير من الضرورات اللغوية.

ثم إني أستطيع أن أقول: إن جمهرة هذه الأنماط تميل إلى التقارب، وذلك بفعل الاتصال بين أهل هذه الأقاليم بسبب شيوع وسائل النقل المختلفة وبسبب تبادل أنماط الحياة الجديدة التي تقتضي السفر والتنقل. ثم إن هناك ما ندعوه بـ «وسائل الإعلام» ـ وما تفرضه من نمط لغوي يميل بهذه الأنماط إلى أن تكون متقاربة بعضها من بعض.

ولا نغفل عامل التعليم فالمدرسة قد قرَّبت بين هذه اللهجات وجنحت بها إلى الفصيحة.

وقد دفعت بدفعة من طلابي وهم من بيئات مختلفة في الشمال والوسط والجنوب من العراق وطلبت إليهم أن يضبطوا الألفاظ الفصيحة التي دخلت في لغات المدن الصغيرة والقرى والأرياف. لقد انتهوا في استقرائهم إلى نتائج مفيدة كل الفائدة. وحسبك أن تعلم أن كلمات كثيرة نحو: البرنامج والحفلة والاحتفال والاجتماع والجماهير والجماهيرية وغيرها هي من ألفاظ أهل القرى الجنوبية مثلاً وهم سكنة الأهوار. ولقد كان هؤلاء قبل

أربعة عقود من السنين منقطعين كل الانقطاع عن كل ضرب من ضروب الحضارة.

وربما كان من العسير على الموصليّ مثلاً أن يُفهم ساكني الأهواز ما يريد، كما لا يفَهم الموصليّ نفسُه ما يدرج به هؤلاء الجنوبيون.

ثم ما حال العربية الفصيحة اليوم مع هذه العامية؟.

أقول: إن للفصيحة، كما يعلم الأساتذة الأجلاء، قوة تجعل منها أداة فاعلة لا تكتفي بالمقاومة والوقوف، فهي لا تنحسر أمام العامية. ولقد رأينا أن العامية قد أخذت الكثير من الفصيح وما زالت تأخذ منه كل يوم. وقد يكون هذا الفصيح مفروضاً عليها.

غير أن الفصيحة تعاني من مشكلات كثيرة أهمها أننا ما زلنا نجهل الكثير من وسائل تعلم هذه اللغة ولا سيما نحوها. وكأنّ النحو مادة لا علاقة لها باللغة يقرأها الطالب فيضيق بها ذرعاً فلا تدخل في سلوكه اللغوي. ومن ثم يشيع اللحن والخطأ ويصبح هذا اللحن والخطأ كأنه اللغة الفصيحة ويتردد هذا النمط من الخطأ المسموع، وكأن في أنفسنا ميلاً إلى الأخذ به بل نهمّ إلى هذا الأخذ نحن الذين ندعو إلى الفصيح. وبذلك تكون لغة جديدة هي العامية الفصيحة، أو بعبارة أخرى هي العامية الجديدة.

أليس من العامية أن تشيع النسبة إلى الحياة فتكون «حياتيّ» وتسود حتى ليخيل إلى عضو مجمعيّ من أساتذة الأدب أن يكتبها في مقالة له نشرت في الجزء السادس والثلاثين من مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة وُسِمت بـ «الحركة الانقلابية الأخيرة في نظام الشعر العربي».

لقد قال في الصفحة الثامنة والستين: «... أو الحالات الحياتية».

كأن هذا المجمعيّ المرجّوة له الرحمة يجهل «الحيوية» وهي النسبة

الصحيحة الفصيحة إلى الحياة. ولا أريد أن أقف على قوله في أول هذه المقالة «الغرض الرئيسي»؛ كأن الغرض منسوب إلى رئيس من الرؤساء وقد فاته أن «الرئيس» وهو وصف هو الصحيح المطلوب، وبذلك يغني عن هذا المنسوب خطأ إلى الرئيس، وذلك أن العربية تُحوِّل الاسم إلى صفة إذا أريد الوصف فتُلحق بالاسم ياء النسبة؛ نحو فلان المصريّ وفلان البغداديّ.

ومن نماذج هذه الأوهام الجديدة التي وُسمت بها فصيحتنا الجديدة التي كادت أن تكون فصيحة عامية ما يشيع من كلمات منسوبة إلى المفرد وحقها أن تنسب إلى الجمع؟ يقال: الصراع الطبقيّ وهو صراع بين الطبقات والقانون الدَّولي والعلاقات الدّوليّة، وهو القانون الدُّولي نسبة إلى الجمع والعلاقات الدُّوليّة نسبة إلى الجمع أيضاً.

والمراد هنا الجمع؛ فالقانون يسري على الدول جميعها لا على دولة واحدة، والإشارة إلى الجمع هي المتطلّبة.

وكأنّ هذا الذي استساغ هذا الأسلوب فنسب إلى المفرد قد اعتمد على كتب النحو المدرسية فلم يتجاوزها إلى استعمال الفصحاء، وفاته أن ليست اللغة محكومة بقاعدة صرفية، وقد اقتضت الحاجة أن ينسب إلى الجمع واللغة يسر لا عُسر. ألم يَشِع في كتب الرجال: فلان الطوابيقي وفلان الجلوديّ وفلان الأنماطيّ وفلان القُدوريّ وفلان الإبَريّ. وعلى هذا جرى أبو الفتح عثمان بن جني فسمى كتابه «التصريف الملوكيّ» وماذا يقال في استعمال يذهب إليه هذا اللغوي الكبير؟.

ثم أليس من العامية الجديدة أن يؤنث «البلد» و «الرأس» وهما مذكران؟ وقد سمعتهما أمس الجمعة في خطبة الصلاة. قال الخطيب: «يحتلون البلد ويدمرونها».

وقد نسيت الجملة التي وردت فيها كلمة «الرأس» مؤنثة. أليس هذا من زحف العامية المصرية على الفصيحة؟ وبذلك تهيأ لنا نمط جديد هو الفصيح العامي.

لعل القارىء يقول: إن هذا في لغة مصر العامية المعاصرة وليس في العراق.

والجواب عن هذا هو كالآتي: إن شيئاً مثل هذا يكون في العامية العراقية، وقد غزا الفصيح أيضاً ومنه «البطن» مؤنثاً وهو مذكر، و «السوق» مذكر وهو مؤنث. ومثله البئر والساق وغيرها كلها صارت مذكرة في اللغة المحكية وفي الفصيح الجاري على ألسنة المتكلمين وفي كتاباتهم.

ولا بد من رجعة إلى النسبة؛ إني أسمع من محطة الإذاعة في بغداد وأقرأ في الصحف كلمات هي: «التنموية» نسبة إلى «التنمية» والتصفوية نسبة إلى «التصفية»، ثم قالوا: «التسووية» نسبة إلى «التسوية». وقد كان للناس شيء من هذا في مطلع هذا القرن درجوا عليه فنسبوا مثلاً إلى «التربية» فقالوا: «علم النفس التربَوي».

أقول: إن في العربية سعة وفنوناً من الاستعمال فإذا تَعسَّر بناء من الأبنية أو ثقل أسلوب من الأساليب صار المعرب إلى شيء آخر. أليس سهلاً أن نلجأ إلى أسلوب الإضافة فنقول: «أنظمة التسوية» بدلاً من «الأنظمة التسووية»، والإضافة تؤدي ما يؤديه أسلوب النسب وبذلك نتخلص من الثقل البغيض الحاصل من اجتماع الواوين في حشو الكلمة الواحدة وهو «التسووية».

ومن سطوة العامية وجورها على الفصيحة الجديدة أن قانوناً صدر في العراق لاحتساب مدة الدراسة التي يقضيها الموظف الذي ترك وظيفته بسبب الالتحاق إلى معهد أو كلية وبعد أن أنهى الدراسة عاد إلى وظيفته.

فكيف تحتسب هذه المدة في الخدمة التقاعدية؟ وماذا جاء في هذه المادة القانونية؟.

لقد جاء فيها: «تحتسب المدة الأصغرية. التي يقضيها الموظف في الدراسة للحصول على شهادة من الشهادات». أي أنهم احتسبوا أصغر مدة تتطلبها الشهادة مطروحة منها أشهر العطلة الصيفية الأخيرة مثلاً.

أقول: إن هذه «الأصغرية» وهي صفة إلى المدة مظهر من مظاهر العجمة بل غيبة للفصاحة. لقد لجأوا إلى النسبة حتى يتهيأ لهم منها أن تكون الكلمة صفة، وفاتهم أن الصفة الفصيحة المتطلبة في هذا الاستعمال «المدة الصغرى» مؤنث «أصغر» مفيدة للتفضيل المطلوب، ولا حاجة إلى هذه النسبة التي أحالت الاستعمال إلى نمط عاميّ أعجمي. ومثل هذا ما يقوله كبار السياسيين وينشر؛ قولهم في الصحف «الدولتان الأعظم» فأين حكم الصفة؟ أليس هذا من الجهل باليسير من النحو العربي في موضوع مطابقة الصفة للموصوف؟.

هذه عامية جديدة ما أريد لنفسي أن أتوسع فيها. ولولا حرصي على الوقت لأفضت فيها أيّما إفاضة وبذلك يتهيأ لي معجم صغير أدعوه «معجم الفصيحة العامية».

ولا أراني شديداً فأحجر على المعربين وأضيّق عليهم، ولسنا وحدنا، نحن أهل الحفاظ على الفصيحة، في سلوك هذه السبيل، ولنا في غيرنا من الأمم الغربية أسوة حسنة.

لقد صدر في العراق قانون سلامة اللغة العربية للحفاظ عليها من غائلة العامية. وما أظن أن غير العمل الجاد المنظم عاصم لهذه اللغة الكريمة.

ولئن أطلت عليكم فأسرفت؛ لعذيري سماحة وكرم فيكم، والسلام عليكم.

الفصل الرابع
لغة الشعر العربي المعاصر

لئن فاتني الحضور إلى بغداد ومشاركة الإخوان «المربديين» في دأبهم، ولدي ما يحيل بيني وبين الاستجابة إلى هذه الدعوة، ليكونن لي بعض المشاركة في إعداد شيء لا أسميه بحثاً فأكون كالقائل:

«إن لم يكن وابل فطل».

لقد اخترت أن أقول شيئاً في هذا العنوان لأني معني به، وليس لي الكثير مما أدرج في العنوانات الأخرى. وقد كنت قد نشرت في لغة الشعر المعاصر مباحث ضمت كتباً، وشاركت في ندوات في هذا في فرنسا. قلت: اخترت هذا لأكتب فيه ورقات، ولا أدعوها بحثاً، ذلك أني بعد أن كان لي في هذا إنجاز كثير، أود أن أقول: إني قد أدركتني غائلة السنين، ولست أقوى اليوم على أن أكون غرضاً لمن أقول فيهم شيئاً لا يحملونه على محمل العلم.

لقد نالني من هؤلاء، وقد طمع في من كان يقعد مني مقعد الدرس فتصدى لي وتجاوز الحد وبلغ الظلم واقترف الإثم. وأنا أقول لهذا وذلك مقالة أبي العلاء المعري في أبي الطيب المتنبي حين زار بغداد وحضر مجلس الشريف المرتضى، وكان القوم يتحدثون في مساوي أبي الطيب، فقال أبو العلاء: لو لم يكن لأبي محسد غير قصيدته التي مطلعها:

لـك يا منـازل في القلوب منـازل ....

ولكني قد أنشد وأنا أعرض لأصحابي هؤلاء من طلابي وغيرهم، قول أبي العلاء:

أؤلــو الـفـضــل فـي أوطــانـهـم ....

فكيف لي أن أعرض لأشتات هـذا الموضـوع، بعد أن كتبت فيـه دراسات في العربية والفرنسية، وأنا قد ألقى من جمع هؤلاء ما يضيق له صدري.

لقد رأيت أحد هؤلاء، وهو اليوم شاعر يسطو في الميدان، وكلماته بـل قصيدته لها القدح المعلى، رأيته في صنعاء، وأشرت إليه أن في قصيدته نموذجاً من القول يعرفه العراقيون في عاميتهم الدارجة، ثم وقفت في قولته تلك على مجازات تأباها العربية السمحة. وأقر أني أخطأت في توجيهي، فلم يعد صاحبي هذا ذلك الطالب القديم، ولكنه الشاعر المفوه الذي لا يشق له غبار، ولكن «متى كانت هيازع من قريش... ...».

وأذكر أن أحد الأساتيذ من ذوي الرتب العسكرية المتقدمة قد كتب كتـاباً في «المصـطلح العسكـري في القـرآن»، وقـد كـان لي أن قـرأت «الكتاب» فوجدت أن الأستاذ الجليل قد تنكب الطريق وجانب الصواب، وتقوَّل في كتاب الله ـ سبحانه ـ بما لا يرضاه العلم.

لقد كتبت بحثاً في الكلام على هذا التجاوز الكبير، وكنت أحتفظ في بحثي للأستاذ الفاضل بالتجلة والاحترام. وقد شهد أهل العل أني كنت على حق، وأن السيد الكريم قد تجاوز العلم. ولكن صاحبنا هذا لم ترضه مقالتي، وصار يسلقني بلغة غير مهذبة. وأذكر أني اجتمعت به أول مرة بعد كتابتي للبحث في مجمع اللغة العربية في القاهرة، وذلك بعد مضي أربع سنوات، ولكنه ما زال يعاني من غيظه وغضبه، غفر الله له.

وأعود إلى موضوع البحث وقد قمت فيه بتجربة أعدتها مرتين طوال

أربع سنوات، وذلك أني اخترت طائفة من الشعر الجديد لجماعـة كثيرة فيهم العراقيون. والمصريون واللبنانيون وجماعة أخرى من بلدان الخليج ومن الشمالي الإفريقي. ولم أنسب هذه النماذج إلى أصحابها بل جعلتها غفلاً من ذلك، وطلبت إلى عشرين طالباً في كل مرة من طلبة الدراسات العليـا في اللغة العـربية أن يكتب كـل منهم رأيه في «إنسـانيـة الكلمـة الجديدة»، وما توحيه هذه النماذج من الفكر المعاصر.

وأود أن أقول: لم تكن النتيجة غير الذي توقعت، بل كانت مخيبة، إذ لم يتفق إثنان على رأي واحد أو مقارب.

هذه التجربة ذات دلالة، ذلك أن هذا اللون من الأدب لا يفصح عن هوية العصر، وهو لا يعدو أن يكون تحويمات غائمة لا تقف فيها على لون من الإعراب الفني عن حضارة العصـر، ومما يمـر به الـوطن الكبير من مشكلات.

وهذه الطائفة من أصحاب الكلمة الجديـدة تؤلف شخوصـاً واضحة المعالم، وفيهم من فيهم ملء السمع والبصر، فكيف يقال في أحدهم ما لا يرضاه وهو يومىء أو يتـطلع إلى الجائـزة السحريـة التي تهيأ لهـا العرب متشوقين بعد إحراز نجيب محفوظ لها.

أقول: لم يعان هؤلاء ثقل الكلمة وحيزها التاريخي، وكيف تحولت من بداوة قديمة إلى مادة حضارية تواجه التكنولوجيا.

إن العربية تراث ضخم لا بد لطالبها من أن يشقى في إدراكها، وأين هذا في عداد هؤلاء المتأدبين الذين لا أتردد معهم في ذكر كلمة أبي علي الفـارسي في أبي الفتح عثمـان بن جنّـي، وقـد رآه متصـدراً حلقته في الموصل، إذ قال: تزبب وهو حصرم.

إن أصحابنا لا يعرفون العناء الذي ينبغي لهم في إحراز هذه اللغة

الشريفة التي قال فيها الإمام محمد بن إدريس الشافعي: لا يحيط بالعربية إلا نبي. والشافعي من علماء العربية، وعنه أخذ الأصمعي أشعار هذيل.

ألم يعتبر أصحابنا المتأدبون الجدد فيملكوا من أدواتهم اللغوية ما يعين على الإعراب عن فكر جديد نير، لا أن يلوذوا بواقية من الإغماض يختبئون وراءها مدعين أن الإغماض والغموض أدب العصر لدى الأمم المتقدمة، تراهم يذكرون من الغربيين (تي. أس. إيليوت)، ولكنهم غضوا الطرف عن عناء «إليوت» هذا وشقائه في تناوله الفكر، وقد أمضى السنين الطوال في معرفة العصر ومعرفة العصور المتقدمة لدى الإغريق والرومان وسائر الأمم في الشرق والغرب، عرف العهد القديم كما عرف فلسفة الهند والصين وحضارة العرب، ولقي الدرس في أروقة الجامعات في أمريكا وأوربا.

أين أصحابنا من هؤلاء، وكيف يتاح لهم في عربية تسوَدُّ بها الصحف كل يوم أن يسجلوا خطرات الفكر المعاصر.

لقد سعى طائفة منهم بأساليب مختلفة إلى صغار الغربين ممن يقرزمون شيئاً من عربية لا تعين على ترجمة أدبهم، وظنوا بذلك أنهم بلغوا الدرجات العلى.

وقد تصدى بعضهم مع شهرته شاعراً فدخل حظيرة النقد، وصار له مقاييسه وآراؤه، وهو يتخذ من كونه محاضراً في بلد غربي ما يستظهر به على إشاعة آرائه.

يزعم هذا وكثير غيره مثله إلى أن الأدب القديم لدى العرب ليس بشيء ثم قد يغلب عليك الضحك إذا رأيته يستثني من «الشعر العمودي» الجواهري، وكأنه يفرده، وهو في الوقت نفسه ينكر شوقي وشاعريته.

ألا نقول لهذا أن شوقي من كبار شعراء العربية في رأي الجواهري

نفسه، ثم لم هذا النفاق في تملق الجواهري، والجواهري على شهرته ومكانته الفريدة في عصرنا يتكىء على الأدب القديم، وهو لا ينكر هذا، بل إن رأيه في البحتري صاحب القصائد التي دعاها النقاد «سلاسل الذهب» معروف، ورأيه معروف في إكبار أبي الطيب وأبي تمام وغيرهم من الشعراء الكبار.

كيف يتسق لهذا الشاعر الناقد أن يتملق الجواهري وينكر رأي الجواهري في شعراء العربية الذين لم يكن لهم مكان في نقد هذا الناقد العجيب!.

ثم طلعوا علينا بمصطلح «الحداثة»، والحداثة هذه ينبغي أن تكون في حيز الجديد الذي ضاعت فيه الكلمة واعتدي على حرمها، وأهينت أيما إهانة، هي إذن الإغماض الذي زعموا، والوزن المضطرب الذي كتبوا.

ومن عجب أن أحدهم قال: إنه يرى أبا تمام في قصيدته فتح عمورية أكثر حداثة من شوقي في قصيدته:

يا خالد الترك جدد خالد العرب

نسي هذا الناقد أن شوقي أعاد للكلمة التي رثّت لدى الشعراء المتأخرين في القرن الماضي رواءها وحياتها.

إن هذا وغيره ليدرك أن للجواهري طاقة فريدة، وأنه لو أدرجه مع الشعراء الذين غضّ من شأنهم لكان له أن يتحمل غضب الجواهري وما يمكن أن يسلقه به. ولو أن هؤلاء أمنوا أن لا يكون من الجواهري ما يكرهون، لكان له شأن آخر في «نقدهم» الذي زعموا.

إن «الحداثة» هذه جديدة في مصطلحهم، فأنت لا تفهمها كما وردت في شعر أبي الطيب:

وما الحداثة عن حلم بمانعة   قد يدرك الحلم في الشبان والشيب

إنهم يغضون الطرف عن فرائد الجواهري التي ترسم فيها طريقة القدماء وأتى بشيء غير قليل من لفظهم بل من تركيبهم، وأضاف إلى هذا فنظر إلى العصر الحديث، فكانت له مقصورة جليلة القدر نظر في نسجها إلى مقصورة أبي الطيب، وقد بقي أبو الطيب «أبا محسد» على إجادة الجواهري في مقصورته.

لقد نسي هؤلاء أن مادتهم اللغوية شيء مما يصنع في الصحف مأخوذاً من لغات غربية لا يشعرك بهويته، فاقداً لجملة عناصر الأصالة في الكلمة العربية التي توحي بل تشير إلى تاريخها ومسيرتها التاريخية، وما أفادته طوال القرون. ومن هنا كانت «الأصالة» ذلك أنها قوية الصلة ببيئتها، لا كما يدعي أصحاب «البنوية» الجديدة، ولا أقولها خطأ «بنيوية». إن هذه «البنوية» قد ذهبت إلى سلخ البنية اللغوية عن بيئتها وظروفها، فكيف نفهم «البعد» في كلمة «مسافة»، وهذه لم تكتسب معنى البعد إلا من ممارسة العربي القديم في بيئته البدوية الجاهلية. ذلك أن العربي إذا ضل الطريق عمد إلى قبضة من تراب «فسافه» أو «استافه» بمعنى شمه، حتى إذا كان منه ذلك أدرك أنه على هدي من سيره لا على مضلة.

وأنت تجد الكثير الوافر من هذه الإيماءات التاريخية في الكلمة العربية، ولو أن أصحابنا المتأدبين الجدد أدركوا هذا لأفادوا وأتوا بأدب فيه «هوية» عربية.

ثم لم تتشبث باجتهادات غربية نحو «البنوية» وغيرها، وقد عفا أثرها منذ سنين عندهم، ولم لا يظل للنظر العربي مقامه في هذا؟.

لقد التفت السياب إلى «الأسطورة» وحقبة السياب تدعوه إلى الإفادة من وسائل الإعراب غير المباشرة، وذهب فيها بعيداً عن دنيانا العربية فيما ترك الإغريق والرومان والفراعنة، حتى إذا نُبِّه إلى أن تاريخنا في الشرق

العربي يشتمل على شيء من هذا صرف نظره إلى ما وجـده في «العهد القديم» والأسفار الإنجيلية، وإلى الإيماءات المعبرة في التراث الإسلامي التي أومأت إليها آيات كريمة من الذكر.

ولم يكن من أصحـاب الجديـد بعد السيـاب إلا أن سلكوا سبيـل الأسطورة فراحوا يتصيدونها نوهم في غنى عنها.

إن ابن المقفع حين ترجم كليلة ودمنة وما فيها من عبر جاءت على ألسنة الحيوان والطير وغير ذلك ممـا لا يعقل، إنمـا ترجم كتـاب بيدبـا فيلسوف الهند الذي وجد أن الذهاب إلى الإيماء ضرورة ملزمة حين يصعب على المعربين قوله الحق في ثوب جميل من أدب إنساني.

ونعود إلى أصحابنا الجدد الذين كان من خطرهم ما أوحوه إلى ناشئة المتأدبين من الطلاب إلى أن نحو العربية ليس بشيء، وأن نحاة العرب قوم أعاجم لا يعرفون العربية فسعوا إلى جعلها عسيرة فاقدة لعنصر الحياة.

غيـر أنهم تنبهوا، وهم يمـارسـون «البنـويـة»، إلى أن عبـدالقـاهـر الجرجاني من علماء العربية المتقدمين قـد أشار إلى «النـظم» في كتابـه «دلائل الإعجاز».

لقد فهم هؤلاء أن «النظم» في كلام عبدالقاهر يومىء إلى «بنيويتهم» التي هللوا لها وكبروا. وحقيقة الأمر أن «النظم» في كلام عبدالقاهر هو في خدمة النحو القديم وأن «النحو القديم» قانون العربي. وليس لك أن تعمد إلى ضـرب من «تحويـل» البنى «التوليـدية» في النحـو القديم بشيء من التحـويل يتم بهـا نظام النحـو التحويلي الـذي قال بـه الخواجـا «نومـان تشومسكي».

يا قوم اتركوا تشومسكي في اجتهاداته، وله من تجربته في اللغات الغربية ما قد يعين على ما ذهب إليه، وإن كان جمهرة من أهـل العلم

الإسكندنافيين قد ردوا عليه أقواله كما ردوا (البنيوية) وذهبوا في إبطالها كل مذهب.

أقول: إن هذا لم يكن البحث الذي أردت، ذلك أن ما أريده قد حررته في أكثر من كتاب، ولدي مباحث قصرت على الكلمة المعاصرة في أدب أصحابنا العرب الذين أنكروا الأدب القديم.

لا أدري: كيف يكون لنا أن نلغي أدب قرون عدة[1] بحجة ما يزعم أصحابنا أنه أدب سلاطين وتملق أعتاب، وهو مدح وقدح، وفاتهم أن ينظروا إلى الكلمة العربية، وهي تجوز رحاب الفكر في نثر أبي حيان التوحيدي. أين هؤلاء من كلمات هذا العبقري الذي ظلمه عصره، وما زال مجهولاً لدى المعاصرين. فاتهم أن أبا حيان في «الإشارات الإلهية» على زهده وصوفيته فنان مبدع، تحدث عن «الاغتراب» بما لم يتح لجمهرة من شعراء العربية أن يأتوا به في شعرهم. ونقد المجتمع الإسلامي نقداً يفصح عن أصالة فنية قل نظيرها في أدبنا القديم.

وبعد فهذه صفحات أضعها بين يدي إخواننا المربديين لا على أنها بحث يندرج في أحد من المواد التي ذكروها.

---

(١) أدرك أصحابنا الجدد عامة الشعر القديم وما وافقه في الوزن والقافية في عصرنا في مصطلحهم الذي ابتدعوه من خطأ فقالوا: «الشعر العمودي» للموزون المقفى الذي يقابل الجديد، سمه ما شئت... «الحر» أو شيئاً آخر.
إن مصطلحهم «العمودي» قد أخذ من مصطلح قديم، وهو «عمود الشعر»، والمصطلح القديم غير متصل بالوزن والقافية، فقد قيل: إن أبا تمام خرج على «عمود» الشعر. ولو أنهم ذهبوا إلى معنى «العمود» في «شرح المرزوقي» على الحماسة أدركوا أن «العمود» يعرض للكلمة واستعمالها في حدود الحقيقة والمجاز وشيء آخر. وشعر أبي تمام وغيره من الذين خرجوا على «العمود» محتفظ بأوزانه وقوافيه.

ولئن فاتني الحضور إلى «المربد» إني لشديد الاحتفاء به.

وفقكم الله للباقيات الصالحات في خدمة الكلمة الجليلة التي قهرت الظلم وردت البغي كماحصل للعراقيين في معاناتهم للشر الوافد عليهم، وقد أذن الله فحقت كلمته، والسلام.

* * *

الفصل الخامس

الجديد في اللغة والمعجم العربي الحديث

شارك العرب الأقدمون في العلم اللغوي كما شارك غيرهم من الأمم القديمة كاليونـان والهنود والصينيين. ولعله من غيـر المجدي في عصـرنا الحاضر أن نبحث في أصل اللغة، والذي يعنينا من اللغة أنها مظهر ونشاط للطبيعة البشريـة الإنسانيـة وينبني على ذلك أنهـا مظهـر من مظاهـر علم الاجتماع الذي ينبغي بالنشاط الإنساني في مختلف أحواله.

واتصف «علم اللغة» في العصر الحاضر بالصفة العلمية الخالصة أنه لم يعد ذلك مادة يستعان على إدراكها بالتأمل. بل هو مادة موضوعية يتبع في معالجتها المنهج الوصفي ومن هنا يدخـل «التطور اللغـوي» في هذا المنهج.

إن علم اللغة بهذه الحدود الجديدة من العلوم الغربية الحديثة التي بحثها الغربيون وتشعبوا فيها، وقد كان ذلك إثر الاهتمام البالغ بما دعاه كريم *Grimm* بالقوانين الصوتية فقد كان سائداً أنها قـوانين عامـة شاملة تنطبق على جميع اللغات، وهي كالقوانين الطبيعية الأخرى.

وقـد عرضـوا لأسباب هـذا التطور في الأصـوات فـردوا ذلـك إلى الاختلاف الذي يحصل في أعضاء النـطق، وقد عـرضوا في ذلـك لجملة من الملاحظات والتجارب لإثبات ما يعتور الأصوات من تغير إذا ما حدث أي تشويه في أعضاء النطق.

ومنهم من رد هذا التطور اللغوي إلى ما يطرأ على المجتمعات من اختلاف الظروف الجغرافية والمناخية. وهم يبنون هذا على جملة وقائع عرضت لشعوب مختلفة في تطورها التاريخي. على أنهم يذهبون مذاهب عدة في تفسير هذا التطور الصوتي غير أن هذه التفاسير المختلفة لا تسلم من الطعن فيها فهي وإن كانت وجيهة فإنها تفتقر دائماً إلى الأصالة والشمول. بحيث يمكن الأخذ بها على أنها نظريات ثابتة.

وقد حلا لبعضهم أن يفسر التطور الصوتي بقوانين «مندل» في الوراثة، والرد على هذا من الأمور الهينة، وقد استعاروا طريقة تشارلز دارون العالم الإنكليزي في التطور وهو ما يدعى بالمذهب الطبيعي، قال دارون في كتابه: «أصل الأنواع *The Origin of Species*» بمسألة تنازع البقاء وظهور صفات خاصة في بعض الأفراد وانتقال هذه الصفات الخاصة بالوراثة إلى النسل وشيوع هذه الصفات وكثرتها بحيث يمكن اعتبار من يرثها من النسل نوعاً مختلفاً عمن لم يرثها. وقد طبق العالم الجيولوجي «ليل» النظريات على اللغة فقرر: «أن الأنواع في الطبيعة، واللغات في التاريخ تتغير تبعاً لنواميس متشابهة.. والعاملان الجوهريان في اللغات هما كما في الأنواع الطبيعية التغير والانتخاب. وكما يحصل في الأنواع يحصل كذلك في اللغات أيضاً نتائج عظيمة لتجمع أسباب عديدة صغيرة لا قيمة لها في حد ذاتها كإدخال عبارات أجنبية وكثرة الخطباء والكتبة والاختراعات والاكتشافات وتعلم علوم جديدة وتنازع الألفاظ إلى غير ذلك مما يغير اللغة».

ثم جاء بعد «ليل» العالم اللغوي شليخر فنشر كتابه بعنوان «دارون وعلم اللغات» وقد قرر فيه «أن مباديء دارون تنطبق جميعها على كيفية نمو اللغات فإن جميع لغات أوربا يكاد يكون لها أصل واحد هو اللغة الهندية الجرمانية، وتفرعت عدة فروع أولاً ثم تفرع من هذه الفروع أخرى، على

أن تفسير التطور اللغوي بهذه المحاولات لم يكن إلا مجرد آراء أخذ بها اللغوييون في مطلع هذا القرن وهي من غير شك محاولات لا تسلم من النقد الذي وجه إليها.

غير أنه من الثابت أن التطور اللغوي يحدث في مادة اللغة التي تؤلف بنيتها وكيانها وأعني بذلك الألفاظ التي تبنى منها اللغة. هذه الألفاظ يخضعها الاستعمال فتجد فيها خصوصيات معنوية ذات ظلال دلالية *Sémantique* جديدة يستدعيها الزمان والمكان وليست العربية بدعاً بين اللغات ذلك أن اللغات كافة تخضع لسنة التطور وأن الكلمة في كثير من اللغات مادة حية يعمل فيها الزمان ويؤثر فيها وتجد فيها الحياة فتتطور وتتبدل وربما اكتسبت خصوصيات معنوية أبعدها الاستعمال عن أصلها بعداً قليلاً أو كثيراً. وليست العربية بنجوة من الذي يطرأ على غيرها من اللغات.

وعلى هذا يتحتم على الباحثين والدارسين أن يأخذوا أنفسهم بالمنهج الوصفي. فإن كثيراً من الألفاظ انتقلت انتقالات عدة بحيث أن «المصطلح الفني» يؤلف مثلاً مرحلة معنوية من الدلالات التي انتهت إليها لفظة من الألفاظ أو تركيب من التراكيب.

فلا بد أن يعنى المعجم الحديث بهذه الناحية ويثبت هذه الألفاظ التي جدت في العربية واقتضتها ظروف المجتمعات الجديدة.

ومن العجب أن المعجم العربي لم يول هذه الناحية ما تستحقه من عناية كافية. وربما تنكر أصحاب المعجمات الحديثة إلى هذا النوع من المولد الجديد. وليس عجيباً أن يكون نفر من هؤلاء يعتبر الجديد المولد غير فصيح وإن اقتضاه عصرنا وجرى عليه الاستعمال، وشاع وقيد في النصوص والوثائق. وهذا النظر وإن تمسك به جماعة من اللغويين في عصرنا فإن المعربين كافة أخذوا أنفسهم باستعمال الجديد، وقد بحث

الأوربيون في هذه الناحية وألفوا فيها مصنفات عدة ما زالت تدرس حتى يومنا هذا.

وإذا عدنا إلى عربيتنا الحديثة وجدناها تزخر بمئات الألفاظ الجديدة المولدة والمعربة وقد أخذت طريقها إلى الاستعمال وصارت مخصصة مقيدة بنوع خاص من المعنى. غير أن اللغويين مع ذلك ما زالوا مترددين في عَدّ هذا الجديد من الفصيح.

أقول من الواجب علينا أن نفسح لهذا الجديد الذي قذف به المستعملون مكاناً في كتبنا اللغوية لأنه صار من مادة هذه اللغة وسأعرض لجملة من هذه الألفاظ ولم أرد من ذكرها إلا أن تكون أمثلة على النهج الذي أشرت إليه من ذي قبل. وهذه أشتات جمعتها من هنا وهناك ولم أتبع في جمعي هذا منهجاً خاصاً فمنها ما شاع في لغة الصحافة اليومية: ومنها ما هو جار على ألسنة المذيعين، ومنها ما هو مستعمل في لغة الكتابة غير الأدبية كالألفاظ الاقتصادية والسياسية نحو ذلك:

لعل أحداً يقول: إن هذه الألفاظ ينبغي أن تُصنَّف في مجموعات حسب الاختصاص الذي تنسب إليه كأن يكون لألفاظ السياسة مجموعة خاصة ينتظمها سفر خاص، وهكذا في سائر الاختصاصات. وهذا صحيح غير أن العربية ما زالت مفتقرة إليه.

على أن هذا لا يعني إغفال هذه الألفاظ الجديدة في المعجم اللغوي، ذلك أنها معان جديدة ينبغي أن يشار إليها بإيجاز في معجم لغوي حديث.

ودونك شيئاً من هذه المولدات والمعربات:

١ ـ **الأمبريالية**: لفظة أعجمية الأصل عربت على هيئة المصدر الصناعي، والمصدر الصناعي مادة مهمة في العربية أفيد منها كثيراً في

التوصل إلى كثير من المصطلحات العلمية. والكلمة تعريب *Impérialis* وهي تعني فيما تعنيه الاتجاه السياسي المتصف بالسيطرة والتوسع. وعلى هذا فالأمبريالية درجة عليا من درجات الاستعمار. والوصف منها «أمبريالي» هذا مقابل لـ *(Impérial)*. والأصل الأعجمي القديم الذي بنيت منه الكلمة الغربية هوالكلمة اللاتينية التي ترجع إلى العصور المتأخرة *Imperial* أو هو من «*Imperium*»، وهـذه الأخيرة تعني *empire* وهي التي عـربـوهـا «الإمبراطورية» أو «الإنبراطورية»:

والأمبريالية كلمة يستعملها صنف كبير من الكتاب السياسيين والاقتصاديين وتظهر في كتاباتهم للتعبير عن مصطلح أعجمي لا بد من توفيره في العربية. وهي كسابقتها «الإمبراطورية» من الشيوع والاستعمال.

وبعد فليس من الحق ألا يذكر المعجمي شيئاً يسيراً عن هذه المعربات:

ومن الناحية التاريخية أن الوصف بـ «الإمبريالي» *Imperialiste* كان قد عرف في سنة ١٥٤٦ م بمعنى المتعصب والمنحاز للإمبراطورية الألمانية. وفي القرن التاسع عشر كان الوصف يعني من يتعصب للأسرة النابوليونية. ثم صار يعني من يتعصب ويميل للأمبراطورية البريطانية التوسعية.

٢ ـ **الإنتاجية**: مصطلح جديد قذف به كتاب الاقتصاد ويريدون به (قابلية الإنتاج) «*Penductivité*» وقد بنى هذا المصطلح على المصدر الصناعي. وعندي أن المصطلح من كلمة واحدة خير منه إن كان مركباً من كلمتين أو أكثر.

٣ ـ **الانتهازية**: كلمة تشيع في كتابات المعاصرين للتعبير عن نمط في الأخلاق غير مستحب، فالانتهازي عندهم هو النهاز للفرص بغية

الحصول على منفعة. وعلى هذا فالانتهازي من لا يؤتمن والكلمة من غير شك ترجمة *Oppertunisme*. وهي معروفة عند الكتاب السياسيين مستعملة في كتاباتهم. الانتهازي من الساسة من يحسن الإفادة من الظروف خدمة لمصلحته.

فإذا كانت الكلمة بهذه الحدود الواضحة وبهذه الكثرة من الاستعمال فمن الغريب أن لا تحصر في معجم لغوي حديث للعربية.

٤ ـ **الانهزامية**: كلمة أخرى تشيع في كتابات المعاصرين ممن يتناولون المسائل السياسية. وهي نموذج من الخلق خاص، فالانهزامي هو الذي لا يتحمل مواجهة الأمور الصعبة والظروف الدقيقة وإنما يفضل الابتعاد عن هذه المواطن. والكلمة ترجمة للكلمة الأعجمية «*Defaitisme*».

وأظن من المناسب أن يشار إلى مثل هذه المولدات الجديدة في معجم جديد للعربية.

٥ ـ **البرجوازية**: مصطلح جديد بني على المصدر الصناعي للتعبير عن طبقة اجتماعية خاصة، وهي الطبقة الوسطى كما يذهب أصحاب علم الاجتماع. على أن الكلمة قد تكون وصفاً فيقال: المفاهيم البرجوازية أي مفاهيم هذه الطبقة وأنماط تفكيرها والكلمة تعريب للكلمة الفرنسية *Bompeolsie*.

والأصل فيها كلمة *Bourg* وتعني المدينة فكأن «البرجوازي» في الأصل ساكن المدينة *Bourgeois* ثم تطورت في الاستعمال عبر العصور فصار البرجوازي يعني المتمتع بحقوق خاصة تمليهاعليه سكنى المدن، ثم صارت تعني الرجل المرفه المترف، ثم هي عند العمال تعني رب العمل أو السيد المطاع. وربما أفادت الكلمة من هنا المعنى السلبي الذي اتصفت به في بعض الأحيان ذلك أن البورجوازي عند هؤلاء العمال في بداية عصر

التحول الصناعي، إنسان غير محبوب، وإذا كان غير محبوب فالكلمة تشير إلى النبز من هذه الناحية.

وهي في كتابات علماء الاجتماع والسياسيين صارت تعني طبقة من الناس لها أفكارها ولها أخلاقها، ثم اندست معربة في العربية بهذه الخصوصية المعنوية. وعلى هذا فمن المفيد أن يشار إليها في معجمنا الحديث.

٦ ـ **التقدمية**: مصطلح جديد يفيد طريقة التفكير وأسلوباً في العمل وفلسفة تجنح إلى التقدم والعزوف عن الجمود وهي كلمة جديدة شاعت في كتابات السياسيين وعلماء الاجتماع، في مطلع هذا القرن ولا سيما في كتابات الاشتراكيين وأنصار مذاهب «اليسار». والتقدمي هو القائل بالتقدمية والسالك في نهجها والآخذ بفلسفتها.

وهي من غير شك ترجمة لـ *Progressisme* والتقدمي هو *Progressiste*.

ومن المفيد أن نشير أن الكلمة حين استعملت في العربية أوشكت أن تكون مرادفة للاشتراكية حيناً أو للشيوعية حيناً آخر في نظر طائفة من الناس. ثم توسع في استعمالها حتى استقرت في مكانها الصحيح.

ومن المفيد أن يشار إلى هذه في معجمنا اللغوي ولو كان ذلك بإيجاز لا يخل بالفائدة المطلوبة.

٧ ـ **الثورية**: مصطلح جديد يفيد النزعة إلى الثورة والاندفاع إليها. و «الثوري» هو المتصف بهذه النزعة وهذا الاندفاع.

٨ ـ **الجمهورية**: نظام معروف في الحكم. ولا نرى حاجة للقول إن الكلمة لا بد أن يشار إليها في معجم لغوي للعربية لشيوعها واستعمالها.

٩ ــ **الديمقراطية**: ولا أرى حاجة للإسهاب في شرح هذا المصطلح الذي صار من الشيوع بحيث صار مفهوماً لدى المختص وغيره. وقد عرب الكتاب العرب هذه الكلمة وأجروها على المصدر الصناعي للتعبير عن المعاني التي تنطوي عليها كما أخذتها أمم كثيرة للتعبير عن المعاني نفسها فلا بد أن نشير إليها في معاجمنا إشارة كافية.

١٠ ــ **الديماكوجية**: وهذه كلمة جديدة أخذت سبيلها في كتابات المعاصرين من أصحاب علم الاجتماع والسياسة. وهي معربة على هذا النحو والأصل هو «*Demagogie*» وهذه تعني في السياسة الطريقة التي يتملق بها الجمهور العامة.

والكلمة من مادة إغريقية هي «*Demagogia*». والمتمذهب بهذا المذهب «*Demagogie*» أي الديماكوجي. ومن المفيد أن أشير إلى أن هذه الكلمة قد استعملها الكتبة اللبنانيون المعاصرون على هذا النحو من التعريب.

غير أنه لا بد من إشارة إلى أن آخرين قد استعملوا هذه الكلمة بعد ترجمتها «بالغوغائية» نسبة إلى «الغوغاء». للتعبير عن المعنى نفسه.

ولا بد أن يشار في معجمنا العربي الحديث إلى هذه الكلمات عملاً بالنهج العلمي الذي يؤرخ الألفاظ في علم المعجمية الحديثة *(Loxicographie)*.

١١ ــ **الرأسمالية**: مصطلح جديد من مصطلحات علم الاقتصاد الحديث. والكلمة مركبة منحوتة، فإن «رأسمال» بالهمز أو «راسمال» بالتسهيل كلمة جديدة وكأن تركيبها قد أغفل فصارت تجمع جمع تكسير على «رساميل». على أن تركيبها ما زال معروفاً في جمعها على «رؤوس أموال». والعامية قد صنعت فعلاً من هذه الكلمة هو «رسمل» واستعمالها

يفيد أن البضاعة المبيعة أحرزت «رأسمالها» فلم تخسر ولم تربح.

١٢ ــ **الرائد**: وهي كلمة معجمية قديمة. والرائد الذي يرسل في التماس النجعة وطلب الكلأ، وفي حديث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ في صفة أصحابه: يدخلون رواداً ويخرجون أدلة أن يدخلون طالبين للعلم ملتمسين للحلم ويخرجون هداة للناس. وأصل الرائد الذي يقدم القوم يبصر الكلأ ومساقط الغيث.

هذا هو استعمالها المأثور عن العرب الأقدمين، فأما الاستعمال الحديث لهذه الكلمة ففيه شيء من الجدة ينبغي أن يشار إليه ولا يكتفي بتخطئه فيقال «الزعيم الرائد» في الكلام على الرئيس جمال عبدالناصر مثلاً، أو يقال: الصحيفة الرائدة. وهذا نوع من الاستعمال جديد يوصل إليه بشيء من اللطف في التشبيه والمجاز.

١٣ ــ **الرجعية**: مصدر جديد مبني على طريقة المصدر الصناعي للتعبير عن معنى جديد هو الميل للأفكار القديمة وعدم الإقبال على الجديد من الفكر والعمل. ووصف نفر من الناس بالرجعية نبز لهم ولا يصفهم بذلك إلا أهل أنصار الجديد وأصحاب التقدمية.

والكلمة ترجمة للكلمة الأعجمية «*Reaction*». وصاحب هذه الصفات «رجعي» «*Reactionnaire*» وقد تلصق هذه النعوت بشيء كثير من التساهل والتجوز.

وعلى هذا فهذه معان جديدة استفيدت من هذه الكلمة المترجمة لا ينبغي أن تغفل في عربيتنا الحديثة. ذلك أنها تؤلف هي وغيرها مادة مهمة في لغة الصحافة والوثائق وغير ذلك.

١٤ ــ **العملاء**: وهي من كلمات النبز والشتم الجديدة. والكلمة جمع مفردها «عميل» والمراد منه أنه العامل لجهة أجنبية ضد مصلحة وطنه

ولا يوجد في العربية صفة على «فعيل» من هذه المادة فالكلمة في صورتها الاشتقاقية جديدة ومعناها جديد أيضاً. وهي تقابل *(Agent)* الأعجمية، والكلمة من الشيوع بحيث يجب أن يُنَصّ عليها إذا أريد تسجيل العربية تسجيلاً تاريخياً.

١٥ ـ **الفوضوية**: وهو اصطلاح جديد يريدون به سيطرة الدهماء والغوغاء. وهو مذهب له أنصار في المجتمعات الغربية الحديثة. وهؤلاء الأنصار نفر يحلو له أن يفكر تفكيراً غريباً مثل القول بالفوضوية والكلمة ترجمة لـ *Anarchisme*. وقد بنيت الكلمة الجديدة على كلمة «فوضى» المعروفة، وينبغي أن نعرض لهذه الكلمة التي تقلبت في الاستعمال، فالمعروف أن «فوضى» جمع على «فَعلى» وهي من غير شك «فضّى» جمع فضيض ثم عرض لها الإبدال، وكثيراً ما يعرض هذا النوع من الإبدال، ثم إن المعنى يدل على هذا الأصل، فكلمة «فوضى» تعني المفرَّقين وإلى هذا ذهب الشاعر القديم:

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جهالهم سادوا

أقول: إن هذه الكلمة أصابها التحول والتبدل بسبب الاستعمال الكثير، فقد انتقلت من الجمع إلى المصدرية إذ المعروف أن فوضى في لغتنا الحديثة تعني (عدم النظام) وما أبعد هذا عن المعنى القديم. وفي هذا عرض للتطور الذي يعتور اللغة.

١٦ ـ **الكولونيالية**: وهذا مصطلح جديد معرب على هذه الطريقة قذف به المعربون في كتاباتهم السياسية ولا سيما الكتاب اللبنانيون في عصرنا. والمراد به «الاستعمار» وكأن هؤلاء عدلوا عن الاستعمار لعمومه وشموله وعدم تحديده المراحل السياسية والحدود التي يجري عليها استعباد الشعوب، وعند هؤلاء أن «الكولونيالية» ألصق بنوع خاص من السيطرة لا تؤديه كلمة «استعمار» وهو من «*Colonisme*» ولا ندري أيكتب لهذه الكلمة

المعربة الشيوع والبقاء أم يطويها الزمن كغيرها مما يقذف به الكتاب لحاجة طارئة تقتضيهم ذلك.

١٧ ـ **مؤتمر**: هذه كلمة اصطلاحية جديدة يراد منها أن تكون مقابلاً لـ *Congres* وهو الندوة التي يجتمع فيها نفر من الناس يتشاورون في أمر ما والائتمار والاستئمار المشاورة وكذلك التآمر وكذلك المؤامرة. وعلى هذا فإن التآمر والمؤامرة بمعناهما الحديث، وهو المكيدة والغدر والخديعة، لم يكن معروفاً، ولم يرد شيء من هذا المعنى إلا في «الائتمار» ففي التنزيل: ﴿إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك﴾ قال أبو عبيدة: أي يتشاورون عليك ليقتلوك. وعلى هذا فإن هذه الكلمات: «مؤامرة» و «تآمر» من الكلمات المعروفة التي شاعت وكثر استعمالها في المعنى المشار إليه في أعلاه وهي تعد من باب المولد الجديد الذي ينبغي أن ينص عليه.

١٨ ـ **المحسوبية**: كلمة معروفة يكثر استعمالها في لغة الدواوين ويراد منها أن يكون لبعضهم من أصحاب الأمر جماعة يحسبون منه فهو يقدّمهم ويسالمهم ويؤثرهم على غيرهم وليس في ذلك مراعاة للحق والمصلحة العامة. وهذه الخصوصيات المعنوية شيء جديد اكتسبته الكلمة في الاستعمال الذي صير منها مصطلحاً خاصاً.

١٩ ـ **المسؤولية**: مصدر جديد يراد به الاضطلاع بالأمر وتحمل العواقب والتهيؤ للعمل الجاد بحيث أن صاحب المسؤولية مسؤول عما يقوم به. وهذا مما ينبغي أن ينبه عليه في كتب اللغة التي تعنى بالجديد من المعاني.

٢٠ ـ **النضالية**: وهو كلمة جديدة مبنية على طريقة المصدر الصناعي للدلالة على الاستعداد الطبيعي للعمل الشاق في سبيل تحقيق هدف سام كالأعمال الوطنية عامة والنضال ضد المستعمر مثلاً. ومجيء

الكلمـة كما قلت على طـريقة المصـدر إشعار أن هـذه الكلمة أصبحت مصطلحاً يفيد «القابلية على النضال».

٢١ ـ **الوصولية**: من المصطلحات الجديدة التي يراد منها صفة من هو «وصولي» أي من لا يقف دون حاجته ومصلحته أي شيء فهو يرتكب ما يرتكب في سبيل هذه الحاجة، وهو خلق رديء.

وعليه فالوصوليـة نبز وشتم وهي تحضـر في كتابـات السياسيين في عصرنا ولا بد من الإشارة إلى هذا النوع من التوليد الجديد.

وهذا من غير شك يقابل *Arrivisme*.

٢٢ ـ **السطحية**: والسطحي من الرجال الذي لا يتعمق في معاجلة الأمور وهذه كلمة تترجم بها الكلمة الفرنسية *Superpiciel*. ولما شاع هذا الوصف في هذا المعنى المجازي صاغوا منه المصدر الصناعي «السطحيّة» للدلالة على عدم التفكير العميق في النظر إلى الأمور.

٢٣ ـ **المواطنة**: والصفة منها «مواطن» اسم فاعل من «واطن» أي ساكنَ وعايش وهو صيغة جديدة مولدة، ذلك أن مادة «وطن» لم تنصرف إلى هذه الصيغة في الأساليب القديمة.

وكأنهم أرادوا بتوليد هذه الصيغة من هذا الفعل الجديد أن يوجدوا ما يقابل الكلمة الفرنسية *Compatriole*.

٢٤ ـ **الرتابة**: والوصف منه رتيب يقال: حياة رتيبة، والمراد حياة سائرة على وتيرة واحدة لا تبديل فيها ولا تغيير. وهم يريدون بـ «الرتيبة» الداعية إلى الملل والسأم وهذا استعمال جديد لم يرد قبل هذا العصر. وقد ورد في استعمالهم القديم «عيش راتب» أي ثابت دائم.

٢٥ ـ **الصفاقة**: والوصف منه صفيق وهو من «صفق» بمعنى ضرب. وكأن الصفيق هو المضروب ثم تطور به الاستعمال فصار يعني من لا يستحي. وهذا شيء جديد في لغة هذا العصر.

٢٦ ـ **التأميم**: مصطلح جديد من مصطلحات أهل الاقتصاد في عصرنا وهم يريدون به ترجمة الكلمات الأعجمية *Nationalisation*. والمصطلحات الاقتصادية الحديثة ولدت جميعها لتؤدي معاني الألفاظ الأعجمية مثل الاشتراكية والشيوعية والاستعمار وغيرها وقد اقتضاهم الأمر إلى أن يعربوا ولا يسلكوا طريق الترجمة، فقد قالوا: «الأمبريالية» كما مر بنا حين وجدوا أن «الاستعمار» لا يقابلها تمام المقابلة.

٢٧ ـ **التخطيط**: من مصطلحات الاقتصاديين الحديثة وهو يقابل *Planification* ودلالته معروفة. ومن المفيد أن نشير أنه ما زالت مسألة المصطلحات العلمية الحديثة متأثرة بالإقليمية فقد نستعمل التخطيط في إقليم من أقاليم العربية في حين أن الإقليم الآخر يستعمل «التصميم» لأداء المعنى نفسه ومثل هذا كثير فقد تطلع علينا صحيفة بعنوان كبير عن نشوب «مظاهرة» كبيرة في بلد ما، في حين أن صحيفة أخرى تعدل عن المظاهرة إلى التظاهر أو التظاهرة.

وفي الوقت الذي استطاعت فيه العربية أن تؤدي الكثير مما جاء به الحديث، فما زلنا نستعمل في صحفنا «المانشتات» *Manchette*، والماركات المسجلة *Marque*؛ «والكليشات» *Cliché*؛ و «المناورات» *Manoeuvre* مع العلم أن هذه ليست مما لا يمكن إيجاد ما يقابلها من أبنية العربية.

٢٨ ـ **المعطيات**: مادة جديدة شاعت في كتابات الكتاب في عصرنا هذا في السنوات الأخيرة، وهي تقابل *Donnée* الفرنسية أو قل ترجمة لها.

والكلمة الفرنسية وإن كانت تتصل بمادة «العطاء» من حيث الأصل ولكنها بعيدة عن مدلول العطاء. إن الكلمة تعني المعلومات أو الأفكار الثابتة التي تنجم عن قضية من القضايا. والقارىء العربي الذي لا معرفة له بالفرنسية أو أية لغة غربية أخرى لا يدرك معنى «المعطيات» بوضوح، وذلك لأن الفعل «أعطى» في العربية لا يعرض لها المجاز والتوسع على هذا النحو. ونجم عن ذلك أننا قذفنا باستعمال جديد لم تجر عليه العربية. ثم إن «المعطيات» ليست من المواد الصعبة والتي تدخل في حيز المصطلحات العلمية التي لا بد منها. ومن الممكن نقل الكلمة الفرنسية *Donnée* إلى غير «المعطيات» مما يدركه القارىء العام.

ومن المفيد أن نذكر عبارة معجم لاروس الصغير الفرنسي في شرح هذه الكلمة:

Point incontestable ou admis comme tel.

Idée fondamentale d'un ouvrage d'esprit.

٢٩ ـ التقني والتقنية: وهما تعريب للكلمة الفرنسية *Technique* اسماً ونعتاً فكأن «التقني» تقابل الاسم والتقنية صفة لموصوف مؤنث متخصص بها وقد ترجموا *Terme technique* بالمصطلح العلمي أو الفني. والذي ألاحظه على المعرب الجديد «التقني» عدم الوضوح في كون هذه المادة تشبه مادة «قنى» العربية من حيث بناء أصواتها، أو أنها تشبه مادة «تقن»، وعلى هذا فقد كان أكثر ملاءمة أن يعدل عن القاف في «التقني» و «التقنية» إلى الكاف في الأصل الأعجمي.

وبعد فهذا عرض لجملة من الألفاظ والمصطلحات الجديدة التي اقتضاها التطور اللغوي الذي تمليه حاجة من الحاجات ولذا فإن من الجدير باللغوي أن يشير إليها وينبه على استعمالها.

خاتمة

قلت: لقد بدأت مسيرة طويلة وكان رائدي فيها هاجس في السعي إلى إدراك مراحل هذه الرحلة، والإفادة مما بدا لي فيها. وكان من ذلك إدراكي إلى أن العربية بدأت في الحدود التي بدأت فيها هذه الرحلة كاملة مكتملة.

لقد أدركت أن العربية القديمة «الجاهلية» عرفت بدايات الفكر الإنساني في تطلّعاته الفلسفية. لقد وقفت على الخطرات الفكرية مما يتصل بالفلسفة الأخلاقية في شعر زهير بن أبي سلمى، كما وقفت على شيء من ذلك في شعر لبيد مما يتطلع بحقيقة الخالق. وإني لأقف مستفيداً وأنا أقرأ قول النابغة:

«وتوفيق أقدارٍ لأقدارِ»

فأدرك كيف تم للنابغة معرفة القَدَر، وهذا ينبىء أن العصر الذي سبق ظهور الإسلام لا ينصرف إلى البداوة الجافية، بل كان فيه أصول تمت إلى فكر متحضر. وأين نحن من مظاهر الحضارة المادية نلمحها في شعر الأعشى، ثم أين نحن من الإشارات الوافية التي تتصل بالكتابة والكتّاب مما نستطلعه في شعر امرىء القيس وغيره من شعراء تلك الأحقاب المتقدّمة.

فهرس المصادر والمراجع

١ ـ المعجمات اللغوية:
كتاب العين للخليل بن أحمد، طبع وزارة الثقافة في بغداد.
جمهرة اللغة لابن دريد، طبع بيروت، دار العلم للملايين.
الصحاح للجوهري، طبع مصر.
معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس، تحقيق عبد السلام هارون.
التهذيب للأزهري، تحقيق جماعة برئاسة عبد السلام هارون.
أساس البلاغة للزمخشري، طبع مصر.
الفائق في غريب الحديث للزمخشري، طبع مصر.
المصباح المنير للفيومي، طبع مصر.
لسان العرب لابن منظور، طبع بيروت.
النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، طبع مصر.

٢ ـ الأشباه والنظائر للخالديين، لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر ١٩٥٨ ـ ١٩٦٥ م.

٣ ـ الأعلام للزركلي، الطبعة الثانية ١٩٥٤ م.

٤ ـ الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، طبع دار الكتب، مصورة ١٩٦٩ م (مصورة).

٥ ـ الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر.

٦ ـ أمالي ابن الشجري، طبع حيدر آباد ١٣٤٩ هـ.
٧ ـ أنساب الأشراف للبلاذري، القدس ١٩٣٦ م، وطبع مصر كاملاً.
٨ ـ أوضح المسالك لابن هشام، تحقيق محيي الدين عبد الحميد ١٩٥٦ م.
٩ ـ البحر المحيط لأبي حيّان النحوي، طبع الرياض ١٣٠٦ - ١٣٠٧ هـ.
١٠ ـ البيان والتبيين للجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، (طبعة مصورة).
١١ ـ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، طبع مصر ١٣٥٧ هـ.
١٢ ـ حاشية الصبان على الأشموني ومعه شرح الشواهد للعيني، طبع دار الكتب العربية في القاهرة.
١٣ ـ الحماسة البصرية لصدر الدين أبي الفرج البصري، طبع حيدرآباد ١٩٦٤ م.
١٤ ـ الحماسة الشجرية لابن الشجري، دمشق ١٩٧٠ م.
١٥ ـ الحيوان للجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة ١٩٦٥ م.
١٦ ـ خزانة الأدب للبغدادي، طبع بولاق، وطبع السلفية.
١٧ ـ الخصائص لابن جني، طبعة مصورة عن طبعة مصر.
١٨ ـ دلائل الإعجاز للجرجاني، دار المنار بالقاهرة ١٣٣١ هـ.
١٩ ـ ديوان الأعشى، طبع مصر، وطبع دار صادر ببيروت.
٢٠ ـ ديوان ذي الرمة، تحقيق عبد القدوس أبو صالح.
٢١ ـ ديوان امرىء القيس، تحقيق أبو الفضل إبراهيم.
٢٢ ـ ديوان بشر بن أبي خازم، تحقيق عزة حسن.
٢٣ ـ ديوان جرير، تحقيق الصاوي.
٢٤ ـ ديوان سلامة بن جندل، طبع بيروت.
٢٥ ـ ديوان طرفة، طبع بيروت.
٢٦ ـ ديوان عبيد بن الأبرص، تحقيق حسين نصار، طبع مصر.
٢٧ ـ ديوان كثير، تحقيق إحسان عباس، طبع بيروت.

٢٨ ـ ديوان لبيد، تحقيق إحسان عباس، طبع الكويت ١٩٦٢ م.
٢٩ ـ ديوان المثقب العبدي، تحقيق محمد حسن آل ياسين، بغداد ١٣٤١ هـ.
٣٠ ـ ديوان النابغة، تحقيق شكري فيصل، طبع بيروت.
٣١ ـ سر صناعة الإعراب، ج ١ لابن جني، طبع القاهرة ١٩٥٤ م.
٣٢ ـ شرح التصريح للأزهري، طبع مصر ١٣١٢ هـ.
٣٣ ـ شرح الحماسة للمرزوقي، تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون، القاهرة ١٩٥١ ـ ١٩٥٣ م.
٣٤ ـ شرح الشافية للرضي، طبع مصر.
٣٥ ـ شرح الكافية للرضي، طبع بيروت ١٣٩٩ هـ.
٣٦ ـ شرح المفصل لابن يعيش، إدارة الطباعة المنيرية.
٣٧ ـ الصاحبي لابن فارس، طبع بيروت ١٩٦٤ م.
٣٨ ـ شرح المقامات الحريرية للشريشي، بولاق ١٣٠٠ هـ.
٣٩ ـ الشعر والشعراء، تحقيق أحمد محمد شاكر، مصر ١٩٥٨ م.
٤٠ ـ الكتاب لسيبويه، طبع بولاق، ونشرة عبد السلام هارون.
٤١ ـ الكامل للمبرد، تحقيق أبو الفضل إبراهيم.
٤٢ ـ الكشاف للزمخشري، طبع مطبعة السعادة بمصر.
٤٣ ـ الكشكول للعاملي، القاهرة ١٣٠٥ هـ.
٤٤ ـ مجالس ثعلب، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة ١٩٦٠ م.
٤٥ ـ المرصع لابن الأثير، دار عمّار في عمّان.
٤٦ ـ المزهر للسيوطي، مطبعة علي صبيح في القاهرة.
٤٧ ـ المقتضب للمبرد، القاهرة ١٣٨٨ هـ.
٤٨ ـ نزهة الألباء للأنباري، مكتبة الأندلس ببغداد.

*

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة

* * *

مـــن منشوراتنـــــا

ــ الكامل في اللغة والأدب للعلامة أبي العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرِّد ـ مجلد ـ

ــ نهج البلاغة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب شرح الإمام محمد عبده ـ مجلد ـ

ــ جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب تأليف السيد أحمد الهاشمي ـ مجلد ـ

ــ **نظرات في شعر مصطفى بن ذكري**

الدكتور عز الدين منصور

ــ **دراســات نقديـة ونماذج حـول بعض قضايـا الشعـر المعاصر**

الدكتور عز الدين منصور

ــ **الـوجيـز في قـواعـد الإمـلاء والإنشاء.**

د. عبدالله أنيس الطباع و د. عمر أنيس الطباع 2,25

ــ ■ **الـوسيط في قـواعـد الإمـلاء والإنشاء.**

د. عمر أنيس الطباع 5,00

دراسات في النقد تأليف ألن تيت

ترجمة الدكتور عبد الرحمن ياغي

ــ **مجمع الأمثال** للميداني ـ تحقيق محمد علي قاسم

مــــن منشوراتنــــا

- دراسات نقدية في ضوء المنهج الواقعي.

حسين مروة

- تصريف الأسماء والأفعال.

د. فخرالدين قباوة

- القسطاس في علم العروض.

جار الله الزمخشري، تحقيق د. فخرالدين قباوه

- اللفحات

أحمد الصافي النجفي

- هواجس

أحمد الصافي النجفي

- حصاد السجن

أحمد الصافي النجفي

- أشعة ملونة

أحمد الصافي النجفي

- شرح المعلقات السبع

للزوزني

- الإنسان الجديد وقصائد أخرى

(أشعار المهجر الكاملة)

أحمد زكي أبو شادي

- الفيروز الحر

أحمد زكي أبو شادي

مكتبة المعارف

بيروت

لقد صاحبت المعجم العربي القديم مصاحبة الصديق، وقد غَبَرَ لي في هذه الصحبة أعوام طوال أدركت فيها من خصائص العربية ما يشير إلى سعتها وشجاعتها. وقد بدا لي أن أجمع طائفة من وقفاتي فيه في هذا «الموجز» أجيل النظر في الماضي والحاضر، فكان لي من ذلك شيء أقدّمه للدارسين راجياً أن أكون قد أنجزت بعض ما عليّ في خدمة هذه اللغة العامرة.

المؤلف

يطلب من مكتبة المعارف ص ب ١١/١٧٦١ بيروت ـ لبنان